

نوقشت رسالة الطالب

مصطفى كمال أحمد قصاص

بعنوان:

التعليم في مدينة حلب ما بين عامي (1918-1946م)

وأجيز يوم الخميس الواقع في 2023/4/27 من قبل السادة أعضاء لجنة الحكم التالية

أسماءهم:

الاسم	الصفة	التوقيع
أ.د. محمد حلاق	عضواً مشرفاً	
أ.د. باسمه حلاوة	عضواً	
د. خديجة غريير .	عضواً	

تم إجراء التعديلات المطلوبة وأصبحت الرسالةصالحة لنيل درجة الماجستير في

التربية المقارنة والإدارة التربوية – قسم التربية المقارنة



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية التربية

قسم التربية المقارنة

التعليم في مدينة حلب ما بين عامي (1918-1946م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التربية المقارنة والإدارة التربوية

إعداد

مصطفى كمال أحمد قصاص

إشراف

أ.د محمد أحمد حلاق

الأستاذ في قسم التربية المقارنة

2023/2022 م

شكر

بسم الله الرحمن الرحيم

أتوجّه بالشكر الجزيل لمعلمي أ. د محمد حلاق الذي أرشدني ووجّهني وألهمني للبحث في تراث مدينة حلب، وتقديم الجديد والتّادر من الدّراسات والأبحاث في تاريخ التّربية، وهو الرّجل المتفهم المرن الخلق المتمكّن، الذي شجّعني وساندني طيلة إعداد البحث، وكان خير معين لإتمام هذا العمل، وكذلك أساتذتي في قسم التّربية المقارنة، الذين تفهموا ظروفهم وقدروها، وساعدوني لإنجاز مرحلة الماجستير، وزملائي الذين ما دخلوا وما ضنوا عليّ بالمساعدة، وعائلتي وزوجتي وأولادي الذين وقفوا بجانبني، وتجاوزوا عن زلاتي، والتمسوا أعذار انشغالي عنهم.

وأدعو الله تعالى أن يجعل هذا العمل مقبولاً ومفيداً ونافعاً، لبلدي سورية، ومدينتي حلب، ونفسي، وأن يسدّد خطانا، ويوفّقنا إلى ما يحب ويرضى.

وأتوجه كذلك بالدعاء والأمني إلى الله تعالى لحفظ دُرّتي بلاد الشّام، دمشق الفيحاء عاصمتي، وحلب الشّهباء مسقط رأسي، حلب التّاريخ والحضارة، حلب التي عانت وتعاني، حلب التي سقطت ونهضت مرّات ومرّات، فلم تزل بعد ذلك إلّا مأهولة بأهلها، حافظة لتراثها، عزيزة بحضارتها وقلعتها.

وكما يقول الشّاعر محمد كمال:

ليس مِنّي بل منك أنتِ العطاء أنت سرُّ الإبداع يا شهباء

كيف أخشى من الزمانِ افتقاراً وانتسابي إلى ثراكِ ثراء

وكذلك قول الشّاعر محمد قجّة:

شهباء يا مُولد التاريخ مُنتشياً بما منحت هوى في سائر الحقب

طوّقت جيد الدّنا مجدّاً ومُكرمةً حتى غدوت منارَ الدهر للعرب

إن فاخر القوم في أرض وفي نسب إذأ لفاخرتُ أني اليعربيّ الحلبي

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوعات
ب	شكر
ت	فهرس المحتويات
د	فهرس الجداول
ر	فهرس الأشكال
ز	فهرس الملاحق
س	ملخص البحث باللغة العربية
30-1	الفصل الأول: الإطار العام للبحث
2	مقدمة
3	1- إشكالية البحث
6	2- أهداف البحث
7	3- أهمية البحث
8	4- تساؤلات البحث
8	5- مصطلحات البحث
10	6- حدود البحث
11	7- منهج البحث ومصادره
22	8- دراسات سابقة
63-31	الفصل الثاني: العوامل المؤثرة في التعليم في مدينة حلب ما بين عامي 1918 - 1946م
32	مقدمة
32	تمهيد
33	1- العوامل السياسية
33	1.1- العهد العثماني (أواخره حتى 1918م)

38	2.1- العهد العربيّ الفيصليّ (1918 - 1920م)
42	3.1- عهد الانتداب الفرنسيّ (1920 - 1946م)
48	2- العوامل الاقتصادية
48	1.2- الزّراعة
49	2.2- الصّناعة
50	3.2- التّجارة
53	3- العوامل الاجتماعيّة
57	4- العوامل الدينيّة
58	5- العوامل الفكريّة
58	1.5- الطّباعة
59	2.5- الصّحافة
61	3.5- المكتبات
62	4.5- الجمعيّات
62	5.5- الصالونات الأدبيّة
63	خاتمة
90-64	الفصل الثّالث: نظام التّعليم الرّسميّ (الحكوميّ) والأجنبيّ في مدينة حلب ما بين عامي 1918-1946م
65	مقدمة
65	1- التّعليم الرّسميّ (الحكوميّ)
65	1.1- المرحلة الأولىّة والابتدائيّة
67	2.1- المرحلة الثّانويّة
70	3.1- التّعليم المسلّكيّ (المهنّي)
72	4.1- دُور المعلّمين والمعلّّمات
75	5.1- مرحلة التّعليم العالي
78	6.1- أنموذج عن مؤسّسات التّعليم الرّسميّة (الحكوميّة) في مدينة حلب "مدرسة المأمون"

81	7.1- معلومات إحصائية
84	2- التّعليم الأجنبيّ
84	1.2- التّعريف
84	2.2- القيد والمراحل والشّهادة والموازنة
84	3.2- المنهج
85	4.2- أنموذج عن مؤسّسات التّعليم الأجنبيّ في مدينة حلب "مدرسة اللاييك"
87	5.2- معلومات إحصائية
89	خاتمة
126-91	الفصل الرابع: نظام التّعليم الأهليّ (الخاص) ودور العبادة في مدينة حلب ما بين عامي 1918-1946م
92	مقدمة
92	1- التّعليم الأهليّ (الخاص)
92	1.1- التّعريف
92	2.1- القيد والشّهادة
93	3.1- المنهج والامتحان
93	4.1- فئات مدارس التّعليم الأهليّ (الخاص)
93	1.4.1- المدارس الإسلاميّة الشرعيّة (الوقفيّة)
94	1.1.4.1- مدارس المستوى الأوّل "المدرسة الخسروية"
96	2.1.4.1- مدارس المستوى الثّاني "المدرسة الصّلاحية/البهائية"
97	3.1.4.1- مدارس المستوى الثّالث "المدرسة العثمانيّة/الرّضائيّة"
99	4.1.4.1- المدارس المتخصّصة "المدرسة الأحمدية"
102	2.4.1- المدارس الإسلاميّة الخاصّة (المأجورة) "المدرسة الفاروقية"
104	3.4.1- المدارس المسيحيّة الخاصّة (التّبشيرية)
105	1.3.4.1- "مدرسة النّيرسانت"
106	2.3.4.1- "مدرسة الفرانسيكان"

107	3.3.4.1- "مدرسة الأمريكان"
108	4.3.4.1- "مدرسة الفيرير"
111	4.4.1- المدارس اليهودية الخاصة
111	1.4.4.1- "مدرسة (تلمود تورا)"
111	2.4.4.1- "مدرسة السموول"
111	3.4.4.1- "مدرسة الإليانس"
112	5.4.1- المدارس المهنية الأهلية (الخاصة)
113	6.4.1- الكتاتيب
115	7.4.1- معلومات إحصائية
118	2- نظام التعليم في دور العبادة
118	1.2- دور العبادة الإسلامية
118	1.1.2- المسجد والجامع "الجامع الأموي الكبير بحلب"
119	2.1.2- التكايا والزوايا والخانقاهات "الزاوية الهلالية"
122	2.2- دور العبادة المسيحية
122	1.2.2- الكنائس والأديار "كنيسة اللاتين"
124	3.2- دور العبادة اليهودية
124	1.3.2- الكنس (معابد اليهود) "الكنيسة الصفراء"
126	خاتمة
150-127	الفصل الخامس: أبرز رواد الفكر التربوي والتعليمي في مدينة حلب ما بين عامي 1918-1946م
128	مقدمة
128	1- فئة الأعلام
128	1.1- الأساتذة (المدارس الرسمية والخاصة)
129	- أنموذج عن المعلمين الأساتذة " العلامة خير الدين الأسدي (1900 - 1971م)"
132	2.1- الشيوخ (المدارس الأهلية الإسلامية الوقفية والخاصة)

133	- أنموذج عن المعلمين الشيوخ "الشيخ محمد راغب الطباخ (1877-1951م)"
137	3.1- الرهبان والقساوسة والمطارنة والأساقفة والبطاركة... الخ (المدارس المسيحية)
137	- أنموذج عن المعلمين المسيحيين "المطران إيسيدروس فتال (1886-1961م)"
139	2- فئة المديرين والمدرسين
139	1.2- الحاخامات والأساتذة اليهود (المدارس اليهودية)
139	- مجموعة مختارة
140	2.2- المستشرقين والمعلمين الأجانب (مدارس الإرساليات الدينية والأجنبية)
140	- أنموذج عن المستشرقين والمعلمين الأجانب "الدكتور ألفورد كارلتون (1903-1983م)"
141	3- فئة المربين والمعلمين
143	- أنموذج عن المربين والمعلمين "المرتبعة عائشة الدباغ (1927-2020م)"
144	4- الحركة الكشفية ونظام الفتوة
146	5- رواتب المعلمين والمدرسين
150	خاتمة
151-175	الفصل السادس: نتائج البحث وتفسيره ومقترحاته
152	1- نتائج البحث
163	2- تفسير نتائج البحث ومناقشتها
175	3- مقترحات البحث
176	المراجع العربية
184	المراجع الأجنبية
186	الملاحق
b	Abstract

فهرس الجداول

الصفحة	الموضوعات
54	الجدول (1) التّوزّع السّكّانيّ في حارة الجلّوم الكبرى في الرّبع الأوّل من القرن العشرين (داخل سور المدينة القديمة)
55	الجدول (2) التّوزّع السّكّانيّ في حيّ الجميليّة في الرّبع الأوّل من القرن العشرين (خارج سور المدينة القديمة)
56	الجدول (3) إحصاء نفوس مدينة حلب عام 1922م "مركز المدينة فقط"
66	الجدول (4) توزيع الدّروس الأسبوعيّة على المواد في المدارس الابتدائيّة عام 1945م
68	الجدول (5) توزيع الدّروس الأسبوعيّة على مواد الحلقة الأولى في المدارس الثّانويّة عام 1945م
69	الجدول (6) توزيع الدّروس الأسبوعيّة على مواد الحلقة الثّانية في المدارس الثّانويّة عام 1944م
71	الجدول (7) توزيع الدّروس الأسبوعيّة في المدارس الصّناعيّة (للبنين) عام 1948م
73	الجدول (8) توزيع الدّروس في دار المعلّمين في القسم الخاص بحملة شهادة الكفاءة عام 1945م
75	الجدول (9) دروس السّنة الأولى في كليّة الهندسة بحلب عام 1947م
76	الجدول (10) دروس السّنة الرّابعة في كليّة الهندسة بحلب عام 1947م
81	الجدول (11) أسماء المدارس الأميريّة (الحكوميّة) في مدينة حلب 1924م
82	الجدول (12) إحصاء المدارس الرّسميّة في مدينة حلب 1924م (أوائل الانتداب)
82	الجدول (13) إحصاء المدارس الرّسميّة في مدينة حلب 1945/1944م (أواخر الانتداب)
87	الجدول (14) إحصاء مدارس التّعليم الأجنبيّ في محافظة حلب عام 1945/1944م
117	الجدول (15) المدارس الابتدائيّة الأهليّة في مدينة حلب عام 1945م
117	الجدول (16) المدارس الثّانويّة الأهليّة في محافظة حلب عام 1945م

125	الجدول (17) دُور العبادة في مدينة حلب عام 1343هـ/1925م
149	الجدول (18) قيمة الليرة السوريّة أمام القطع الأجنبيّ والذهب عام 1943م
149	الجدول (19) معادلة رواتب المعلّمين والمديرين عام 1943م بالعام 2022م
165	الجدول (20) المؤسّسات التّعليميّة حسب النّوع عام 1945/1944م
165	الجدول (21) المؤسّسات التّعليميّة حسب المرحلة عام 1945/1944م
166	الجدول (22) المؤسّسات التّعليميّة حسب النّوع والمرحلة والجنس عام 1945/1944م
167	الجدول (23) مجموع المتعلّمين مقارنة بنفوس مدينة حلب عام 1944م

فهرس الأشكال

الصفحة	الموضوعات
88	الشكل (1) جنسيات المدارس الابتدائية الأجنبية في سورية عام 1945/1944م
89	الشكل (2) جنسيات المدارس الثانوية الأجنبية في سورية عام 1945/1944م
116	الشكل (3) عائدية المدارس الابتدائية الأهلية في مدينة حلب عام 1945/1944م
147	الشكل (4) مبتدأ رواتب الفئات في ملاكي التعليم الابتدائي والثانوي ومنتهاه عام 1943م
168	الشكل (5) نسبة توزع أنواع المدارس حسب العائدية في مدينة حلب عام 1945/1944م
168	الشكل (6) نسبة توزع المدارس الابتدائية حسب العائدية في مدينة حلب عام 1945/1944م
169	الشكل (7) نسبة توزع المدارس الثانوية حسب العائدية في مدينة حلب عام 1945/1944م
169	الشكل (8) نسبة توزع أنواع المدارس حسب جنس المتعلمين في مدينة حلب عام 1945/1944م
170	الشكل (9) نسبة توزع المدارس الابتدائية حسب جنس المتعلمين في مدينة حلب عام 1945/1944م
170	الشكل (10) نسبة توزع المدارس الثانوية حسب جنس المتعلمين في مدينة حلب عام 1945/1944م
171	الشكل (11) نسبة توزع المتعلمين على أنواع المدارس في مدينة حلب عام 1945/1944م
171	الشكل (12) نسبة توزع المتعلمين على المدارس الابتدائية في مدينة حلب عام 1945/1944م
172	الشكل (13) نسبة توزع المتعلمين على المدارس الثانوية في مدينة حلب عام 1945/1944م
172	الشكل (14) التمثيل البياني بالأعمدة لأعداد متعلمي المدارس والكتاتيب في حلب عام 1945/1944م

فهرس الملاحق

الصفحة	الموضوعات
186	الملحق (1) خريطة ولاية حلب قبل الحرب العالمية الأولى
186	الملحق (2) خريطة الدويلات السورّية التي خلقها الانتداب الفرنسي في بلاد الشام
187	الملحق (3) شهادة التّحصيل الابتدائيّ (السّرتيكا) للتّلميذ طه كيالي (الحلبي) عام 1931م موقّعة من وزير المعارف محمد كرد علي
188	الملحق (4) مدرسة الفرنسيّسكان وديرها وميتمها عام 1935م في حلب
188	الملحق (5) طالبات مدرسة الأميركان بلباس رسميّ خلال خمسينيات القرن العشرين

ملخص البحث باللغة العربية

هدف البحث التعرّف إلى: أبرز العوامل المؤثرة في التربية والتعليم في سورية عموماً وحلب خصوصاً بين عامي 1918-1946م، وتحديد الملامح العامّة لنظام التعليم في مدينة حلب، في أنواعه ومراحلته وتشكيلاته ومناهجه وشهاداته وميزانيته وإدارته...الخ، إضافة إلى عرض الجوانب التربويّة لأبرز المفكرين والمربين والمعلّمين في مدينة حلب آنذاك.

اعتمد البحث **المنهج التاريخي**، وتوصل إلى عدة نتائج، أبرزها: إن العوامل المؤثرة في التعليم، هي عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية ودينية، وقد تشكّل نظام التعليم من ثلاثة أنواع من المدارس: الرسمية، والأجنبية، والأهلية بفئاتها المختلفة. وتوصل البحث إلى تحديد مراحل التعليم، وتعليمات قيد المتعلمين وقبولهم، والشهادات الممنوحة، ونوعية المناهج، وطبيعة الامتحانات، وطريقة التمويل، إضافة إلى ذكر طبيعة التعليم الذي كان يجري في دور العبادة.

وقد بيّن البحث أثر أبرز الشخصيات العلمية والتربوية في نهضة التعليم في تلك المرحلة، وهم من الذين ألفوا أو عملوا أو نشؤوا في ميدان التربية والتعليم في مدينة حلب، إضافة إلى ذكر نموذج من المربيّات الإناث، وقد تجلّت مساهمة هؤلاء الأعلام وغيرهم في: السياسة التربويّة التعليميّة، والمناهج التعليمية، والطرائق التعليمية، وتقنيات التعليم، وغيرها.

الكلمات المفتاحية: التعليم في العهد الفيصلي (العربي)، التعليم في مرحلة الانتداب الفرنسي، حلب.

الفصل الأول

الإطار العام للبحث

مقدمة

- 1- إشكالية البحث
- 2- أهداف البحث
- 3- أهمية البحث
- 4- تساؤلات البحث
- 5- مصطلحات البحث
- 6- حدود البحث
- 7- منهج البحث ومصادره
- 8- دراسات سابقة

مقدمة

التربية المقارنة فرع من فروع علم التربية، وتختص بمقارنة النظم التربوية والتعليمية، ودراسة مشكلاتها، وتحليل أسبابها، وبيان الفروق بينها، والعوامل التي تقف وراء تشكيلها، ومحاسن ومساوئ كل نظام، بغية تحقيق الاستفادة من تجارب هذه النظم. ويمكن عدّ تاريخ التربية أداة لازمة لكل باحث يريد أن يفهم الاتجاهات والنظم التربوية والتعليمية التي نعيش فيها، فحاضر النظام التعليمي تطور لماضيه، لذلك يمكن القول إن دراسة أي نظام تعليمي دون دراسة ماضيه هي دراسة ناقصة؛ لأننا لا يمكن أن نفهم هذا النظام إلا من خلال العوامل التي شكّلتها. وهذا يؤكد أن تاريخ التربية جزء أساسي من التربية المقارنة؛ لأنه طريق أساسي لفهم المشكلات التربوية والتعليمية، ومعاينة دقائق الأمور، وإيجاد الحلول المناسبة.

وهذا يسوغ لأي باحث في هذا المجال أن يدرس نظام بلده ويفهمه أولاً، فطالما أسهمت سورّيّة - عموماً - إسهاماً رياديّاً في بلاد الشام والمنطقة على ازدهار الحركة العلمية، وشكّلت مدينة حلب - خصوصاً - إحدى هذه المحطّات المهمة على مرّ العصور، بوصفها قطباً مهماً للعلم والعلماء والمتعلّمين، فانبرى الباحثون للتعريف بها وبإنتاجاتها في مختلف المجالات، خاصة أن حلب من أقدم المدن المأهولة في التاريخ البشري، وقد قامت عليها خلال ذلك عشرات الحضارات، إذ كانت حلب خلال كل الحقب مدينة متميزة تجارياً واقتصادياً وعسكرياً وعلمياً وتراثياً، وإقليمياً، حتى عدّها المؤرخون - على سبيل المثال لا الحصر - أهم ثالث مدينة في العهد العثماني بعد إسطنبول والقاهرة، وقد أولى الباحثون عناية فائقة بالتّاريخ المرتبط بهذه الأمور، مثل الأحداث السّياسيّة، والعوامل الاجتماعيّة، والتّغيرات الاقتصاديّة، وغيرها من ميادين التّاريخ الأخرى، توصيفاً وتحليلاً ومناقشة، ولم يولوا العناية الكافية بالتّاريخ التربوي أو التعليمي.

ولأنّ العصر الحديث - الممتد من نهاية الحرب العالميّة الأولى 1918م حتى أيامنا هذه - من أهمّ الأوقات وأخطرها؛ لما له من دور في تشكيل ملامح واقعنا وتفسيره، وبفهمه ودراسته نستطيع تجاوز العثرات التي

ما زال بعضها يعتري حالنا، ويكشف دلالات هذه الحوادث على مجرى التربية، والتعليم خاصة، فكان لا بد من دراسة هذا العصر عموماً وهذه المرحلة خصوصاً.

1- إشكالية البحث

ومن خلال اطلاع الباحث على المراجع ذات الصلة وجد أن إشكالية البحث يمكن تلخيصها بعدة نقاط:

1.1- اطلاع معظم الدراسات بجوانب التاريخ وميادينه غير التعليميّة عن مدينة حلب وتمركزها عليه.

إن معظم الدراسات -على مرّ الأزمنة- وبالتحديد بين عامي 1918-1946م- تناولت الجانب السياسي أو الأثري أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو حتى النقدي... الخ في مدينة حلب -على حدّ علم الباحث-، مثل: دراسة (الحسناوي، 2017م): "سعد الله الجابري ودوره السياسي في سورية حتى عام 1947م"، ودراسة (الjasر، 2000م): "مدارس حلب الأثرية: تاريخها وعمارتها"، التي حدّدت فيها الأسس والمعايير النّاطمة لعمارة المدارس في مدينة حلب وإبراز خصوصيّة عمارة المدارس المختلفة في هذه المدينة، ودراسة (البطوش، 2004م): "تاريخ الحياة الاجتماعيّة في مدينة حلب في النّصف الثّاني من القرن العاشر الهجريّ/ السّادس عشر ميلاديّ"، ودراسة (الأحمد، 2004م): "الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة في مدينة حلب خلال فترة الانتداب الفرنسي: 1920-1946م"، ودراسة (الحتاملة، 2019م): "مسكوكات مدينة حلب في الفترة الأيوبية".

2.1- لم تتناول الدراسات الجانب التعليميّ إلّا بأبحاث محدودة، واقتصرت على فئة من السّكان دون

أخرى، أو أنّها تناولت الحياة الفكرية دون التعليميّة، كدراسة (كاتبي، 2006م): "التّعليم الشّرعى ومدارسه في حلب في القرن الزّابع عشر الهجريّ"، ودراسة (أسود، 2009م): "المدارس الإسلاميّة وأوقافها بحلب من القرن السّادس الهجريّ حتى اليوم"، ودراسة (الملاذي، 2006م): "الاتجاهات الفكرية العربيّة في الصحافة 1920-1946م: حلب أنموذجاً".

3.1- توصيات الأوراق البحثية والمحاضرات والندوات والدراسات، والتزام الجمهورية العربية السورية بتوقيع اتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي عام 2003م وتطبيقه⁽¹⁾.

مثل الندوات التي عُقدت خلال حفل فعالية "حلب عاصمة الثقافة الإسلامية" عام 2006م، التي رأت بأننا نفقد لقواعد البيانات عن تاريخ حلب، في بناء حالة معرفية تمتد لتشمل الأزمان كلها، ووجهت دعوة إلى تصفية ما هو متاح من المعلومات وتنقيته، وتوظيفها ليتداول في خدمة البحوث، للاستفادة من التاريخ في قراءة المستقبل (طحان، د. ت، ص 209). وذلك يبدو أيضاً في موضع آخر، وهو توصية دراسة عبد المحسن⁽²⁾ (2017م) المعنونة: "الأسدي علامة حلب في حضرة الغياب"، ومن أبرز تلك التوصيات: نشر البحث العلمي والثقافة الشعبية وإحياء تراث حلب غير المادي الذي يعاني من مشكلات خطيرة نخشى عليه من النشويه والعبث والصّياغ، فلا بدّ من تشجيع الباحثين على القيام بجمع ما يستطيعون جمعه من التراث اللاماديّ الحلبّي بدءاً من الوظائف المنزليّة لطلبة المرحلة الثانويّة إلى حلقات البحث في كليات الجامعة إلى شعب التراث في المراكز الثقافيّة... الخ (ص 155). خاصة في ظلّ تعرّض حلب خلال الأزمة الزاهنة للدمار والخراب، وإغلاق دار كتبها الوطنيّة لمدة عقد كامل، ولم تُفتح إلّا مؤخراً، فضلاً عن سرقة الكثير من الوثائق والصور والصّحف والجرائد والمخطوطات والكتب الخاصّة بمدينة حلب ونقلها للخارج، أو احتراق مكّباتها وخرابها، مثل المكتبة الوقفيّة التي تضمّ 35 ألف كتاب مهم ونادر، ومكتبة الجامع الأمويّ وغيرها.⁽³⁾

⁽¹⁾ انظر اتفاقية المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) المنعقد في باريس 2003م في دورته الثانية والثلاثين لحماية التراث الثقافي غير المادي. [/https://ar.unesco.org](https://ar.unesco.org)

⁽²⁾ محمد حسن عبد المحسن (1947- م): مدرّس، أديب، باحث، شاعر، ولد في مدينة إدلب، ودرس في حلب، وانتسب إلى دار المعلمين، ثمّ إلى كليّة الآداب، فنال الإجازة والماجستير عام 1977م في اللّغة العربيّة من جامعة حلب، ثمّ الدكتوراة من جامعة دمشق عام 1988م، عضو الجمعية السوريّة لتاريخ العلوم في معهد التراث العلميّ، وعضو جمعية العاديات، وأستاذ زائر في جامعات المغرب عام 1993م، له العديد من الأبحاث والدراسات والمؤلّفات، منها: "الأدب الشعبيّ في حلب"، و"الشعر الاجتماعيّ في سورية...". (مبيض، 2004م، ج 1+2، ص 702).

⁽³⁾ انظر مقابلة المحامي علاء السيّد -مؤسس أرشيف حلب الوطنيّ ودار الوثائق الرقميّة التّاريخيّة- مع محطة DW الألمانيّة عام 2020م بحلب. [/https://www.facebook.com/678941907/videos/10159110975371908](https://www.facebook.com/678941907/videos/10159110975371908)

4.1- المرحلة الممتدة من عام 1918م حتى 1946م مبهمة تعليمياً، ومحط اختلاف، وتحتاج إلى

توضيح، ولم تُدرَس بعد دراسة أكاديمية دقيقة وواضحة، ويتجلى ذلك في التّضاد الذي يتمثّل في كتابات كثير من المؤرّخين الذين وصفوا هذه المرحلة بالجمود والتّأخّر والانحطاط، ونسبوا إليها كلّ أسباب التّخلف في واقعنا الحاضر. فلقد رأى جورج انطونيوس⁽⁴⁾ أن انتشار التّعليم الغربيّ نعمة لم تكن خالصة من الشّوائب، فقد ثبت هذا التّعليم الخلافات والانقسامات الطّائفية، وزاد عددها، وكانت هذه الانقسامات والخلافات من قبل العقبة الرئيسيّة في طريق التّقدّم القوميّ، ولقد أصبح أداة من أدوات التّغلغل (جحا، 1988م، ص95). ووجد آخرون مثل كاتب⁽⁵⁾ (2006م) أن بعض المؤرّخين وقفوا عند ظواهر الأشياء، أو أنّهم قيّموها من وجهة نظر سياسيّة دون التّطرق إلى الجوانب العلميّة والدينيّة والاجتماعيّة والبشريّة الإنسانيّة (ص10-11). ولم تقف الشّلق⁽⁶⁾ عند هذا الحد بل ذهبت إلى أنّ سورية شهدت نهضة فكريّة في ظلّ الانتداب الفرنسيّ، وعبرت عن ذلك بقولها: "والحقّ يُقال: إنّنا نعمنا بنهضة فكريّة مباركة في ظلّ الانتداب الفرنسيّ تتجلى في كثرة إقبالنا على دور العلم الّتي كان يتزايد عددها عاماً بعد عام بإطراد"، رغم أنّها ألحقت هذا القول بكلام يُفرّغ الحكم السّابق من مضامينه، ولا يخلو من التّناقض والتّشكيك، فرأت أنّ هذه النّهضة موجّهة ونفعيّة لصالح الاستعمار (الشلّق، 1948م،

(4) جورج انطونيوس (1893-1942م): كاتب ودبلوماسي، وأوّل مؤرّخ للقوميّة العربيّة، لبنانيّ الأصل، ولد في الإسكندريّة، درس في جامعة "كمبردج" في إنجلترا، ثمّ عمل موظّفاً في إدارة المعارف في القدس، من أهمّ مؤلفاته: "يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القوميّة" بالإنكليزيّة (الزركلي، 2002م، ج2، ص145).

(5) محمّد عدنان كاتب (1950- م): باحث، أديب، مؤرّخ، مُدرّس، داعية إسلامي، ولد في مدينة حلب، درس في المدرسة "الخسروية"، حاصل على إجازة في اللّغة العربيّة، ودبلوم التّأهيل التّربويّ، شارك في العديد من المؤتمرات والنّدوات العلميّة والأدبيّة، ونشر الكثير من الأبحاث في المجلّات والصحف، له الكثير المؤلّفات، وقد نال جائزة أفضل كتاب شامل عن مدينة حلب بمناسبة تسميتها عاصمة الثقافة الإسلاميّة سنة 2006م (كاتب، 2006م، ص629).

(6) مقبولة الشّلق (1921-1986م): أديبة، قصّاصة، شاعرة، مربيّة، ولدت في دمشق، رابع فتاة تتخرّج من جامعة دمشق، وأوّل من تتال فيها من السيّدات إجازة في الحقوق، عملت بالتّدرّس بعد ذلك، ثم رافقت زوجها إلى باريس، فدرست هناك قضايا الحضانة ودور رعاية الأطفال، وحين عادت إلى بلدها أسّست جمعيّة حماية الطّفل في بعض قرى دمشق، وهي أيضاً عضو اتّحاد الكُتّاب العرب، لها مجموعات قصصيّة، منها: "عرس العصفير"، وديوان شعر، أحدهما يدعى: "سيدة النّمار" (التونجي، 2001م، ص167).

(ص27). ويذهب قوطرش⁽⁷⁾ (2001م) أبعد من ذلك في دراسته التي أعدها عام 1983م في فرنسا بعنوان:

"التعليم في سورية: نشأته وتطوره"، إلى أن سورية أحدثت تقدماً ملحوظاً في التربية والتعليم خلال مرحلة الانتداب الفرنسي رغم الصعوبات المالية، والاضطرابات السياسية (ص137).

وبناءً عليه أمست المكتبة السورية والعربية بحاجة إلى بحث أكاديمي شامل، يجمع متفرقاً، ويُعين مبهماً، ويُبين خطأً، وذلك بالرجوع إلى بطون المخطوطات والوثائق والمجلات، ومؤلفات الأدباء وأمهات الكتب، والمعاجم والتراجم، التي تبين واقع التربية والتعليم في تلك المرحلة في مدينة حلب، ومن هنا تتحدد إشكالية البحث بالسؤال الرئيس الآتي:

ما ملامح التعليم في مدينة حلب ما بين عامي 1918-1946م؟

2- أهداف البحث

ولئن كان تعريف تاريخ التربية أنه: العلم الذي يدرس تطوّر الفكر التربوي بما يحتويه من آراء ومعتقدات نظرية من جهة، وتطوّر المؤسسات التربوية في نشأتها وظروف عملها وما حوته من علاقات بين المشاركين في العمليات التربوية داخل هذه المؤسسات وخارجها من جهة أخرى (حنا وحلاق، 2016م، ص21)، فبناءً عليه يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1.2- التعرف إلى أبرز العوامل المؤثرة في التربية والتعليم في سورية عموماً وحلب خصوصاً بين عامي 1918-1946م.

(7) خالد قوطرش (1912-2001م): مربي، كاتب، أديب، صحفي، مترجم، ولد في دمشق، وتعلّم في كتاتيبها ومدارسها، ثم انتسب إلى دار المعلمين وتخرّج منها 1931م، وحصل على الماجستير من جامعة السوربون 1954م في التربية وعلم النفس، وفي عام 1983م التحق بجامعة "بول فاليري" بمدينة "مونبلييه" بفرنسا، لينال الدكتوراة عن أطروحته "التعليم في سورية"، تقلّد العديد من المناصب، منها: رئيس هيئة التعليم ومفتش ومدير عام للتربية بدمشق، له الكثير من المؤلفات في التربية وعلم النفس والقصة، منها: "المدارس الحديثة" و"تأملات تربوية عن الطفل والمربي والطريقة" (قوطرش، 2001م، ص11-12-14). ويُؤخذ على أطروحته في الدكتوراة عدم تطابق محتواها مع العنوان، فهو تحدّث عن التعليم في مدينة دمشق، لا عن سورية، إضافة إلى ملاحظات أخرى ذات صلة، للمزيد انظر "تقديم المترجم" ص-ص: 11-17.

2.2- تحديد الملامح العامة لنظام التعليم في مدينة حلب، وما يتضمنه من نوعيات ومراحل وصفوف ومناهج وشهادات وميزانية...الخ.

3.2- عرض الجوانب التربوية لأبرز المفكرين والمربين والمعلمين في مدينة حلب آنذاك.

3- أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من النقاط الآتية:

1.3- جذّة الموضوع، فهو يتناول موضوعاً جديداً لم يُدرّس من قبل (على حد علم الباحث)، فتعاني المكتبة السورية والعربية من نقص الدراسات الأكاديمية الموثقة في هذا المجال.

2.3- يأتي هذا البحث مواكباً لتوجهات منظمة اليونسكو والتوجهات العالمية للاهتمام بالتراث الثقافي غير المادي للشعوب. ويحقق هذا البحث ذلك من خلال توثيق التاريخ غير المادي (التعليمي) وتأصيله وإبراز قيمته في البحث العلمي، بسبب التوجه العام من قبل معظم الباحثين إلى دراسة التاريخ السياسي بالدرجة الأولى، ثم الاقتصادي والاجتماعي، وغياب التطرق إلى ما سواها أو ذكره عَرَضاً.

3.3- إمكانية أن يُفيد هذا البحث التربويين والمعلمين والمتعلمين، من خلال توجيه اهتمامهم إلى أهم كتب التربية والتعليم في حلب وسورية التي تحمل في مضامينها كلّ ما يتعلّق بهذا الميدان وتاريخه خلال مرحلة البحث.

4.3- يستمد تاريخ التربية والتعليم في هذا البحث أهميته من أهمية مدينة حلب ذاتها، فقد فرضت نفسها على الحضارة الإنسانية منذ أقدم العصور حتّى الآن بمختلف الميادين، فتناولها المستشرقون قديماً وحديثاً بالبحث والدراسة والتأليف، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد ذلك حديثاً في دراسة المستشرق والباحث الفرنسي جون كلود دافيد (بالمشاركة مع الدكتور محمود حريتان): "حلب مدينة التاريخ" الصادرة 2011م، ودراسة المؤرخ البريطاني فيليب مانسل المعنون: "حلب: صعود وسقوط أكبر مدينة تجارية في سورية" الصادرة 2016م.

- 5.3- تحديد مدى التطور أو التراجع التعليمي الذي شهدته سورية عموماً وحلب خصوصاً في تلك المرحلة، وإمكانية استخدام هذا البحث وتطويره لأبحاث التربية المقارنة مع المدن والبلدان الأخرى.
- 6.3- تعريف التربويين والمعلمين والمتعلمين بأهم علماء سورية وحلب -مثل خير الدين الأسدي- الذين كان لهم أفضلية السبق في الأفكار التربوية المعاصرة، مما يحث القارئ على التمسك بهويته، والاعتزاز بأبناء جلدته، والافتداء بهم، والعمل على مواصلة مسيرتهم.

4- تساؤلات البحث

- 1.4- ما أبرز العوامل المؤثرة في التربية والتعليم في سورية عموماً وحلب خصوصاً بين عامي 1918-1946م؟
- 2.4- ما الملامح العامة لنظام التعليم في مدينة حلب؟ وما الذي يتضمنه من نوعيات ومراحل وصفوف ومناهج وشهادات وميزانية...الخ؟
- 3.4- ما الجوانب التربوية لأبرز المفكرين والمربين والمعلمين في مدينة حلب آنذاك؟

5- مصطلحات البحث

1.5- التعليم

- 1.1.5- في اللغة العربية: التعليم مصدر عَلَّمَ، وهو فرع من فروع التربية يتعلّق بمختلف أنواع المعارف والعلوم والفنون التي يتلقّاها المتعلّمون في مؤسسات التعليم بأنواعها (عمر، 2008م، ص1542).
- 2.1.5- اصطلاحياً: يُعرّف التعليم بأنّه: النّمو والزيادة في معارف المتعلّم، عبر اكتساب المعلومات والخبرات الجديدة التي تؤهّله لمواجهة التّحديات، والتّكيف مع المجتمع، إضافة لتعزيز القابليات بهدف تحسين الأداء والفعالية، ولا ينحصر التّعلّم بالنّمو المعرفيّ فحسب، بل يمتدّ ويتوسّع ليشمل الجوانب التربويّة أيضاً (محد، 2010م، ص28). ويُعرّف أيضاً بأنّه: تنظيم أشكال النّعلّم ومواقفه، أو تصميم التّعليم وهندسته -قصدًا-

بطريقة ما، لكي يتفاعل معه المتعلمون ويؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة، كما أنه يهتم بدراسة طرائق التعليم وتقنياته، وتُدار هذه العملية تحت إشراف المعلم (السفياني، 2020م، ص8-9).

3.1.5- إجرائياً: هو تحديد ملامح التعليم ما بين عامي 1918م- 1946م في مدينة حلب، والتعرّف على واقع مؤسساته والظروف والعوامل التي نشأت فيها، وعرض عينة لتراجم أبرز المربين والمعلمين آنذاك.

2.5- حلب Aleppo

1.2.5- لغوياً: حلب: دخلت حلب التاريخ الميلادي باسمها هذا، وهو اسم سامي كان لقباً لتل قلعتها، وشهباء: مؤنث الأشهب -صفة مشبهة-، وصفت بها في عهد العرب دون غيرهم، لأن أغلب أرضها من الحجارة الحوارة، وترابها يضرب إلى البياض (مبيض، 2004م، ج1+2، ص107)، ويرى الأسدي (1951م) أن كلمة "حلب" تتألف من جزأين، الأول "حل"، والثاني "لب"، ولفظ "حل" يشير إلى المكان في اللغات القديمة كلّها، ولفظ "لب" يشير إلى التّجمّع، وبهذا يكون معنى "حلب" مكان التّجمّع، أي دار الحرب، وذلك لأنها كانت ثغراً قائماً بين ديار السّاميين والآريين، فهي بحكم موقعها الجغرافي عرضة لسلسلة طويلة من النزاع والحروب (ص170-171). ولهذه المدينة أسماء كثيرة، وأقاويل شتى، منها: "أرمان" و"حلبا" في مملكة "إيبلا"، و"بيرويا" عند المقدونيين، و"حلباس" عند الحثيين، و"حلبو" عند المصريين، وغير ذلك الكثير (عبد المحسن، 2017م، ص32).

2.2.5- جغرافياً: ولاية حلب قبل الحرب العالمية الأولى 1914-1918م⁽⁸⁾: يحدها من الجنوب لواء حماة من ولاية سورية التي مركز واليها دمشق الشام، ومن الغرب البحر الأبيض ثم ولاية أضنة، ومن الشمال ولاية سيواس، ومن الشرق ولاية ديار بكر وولاية معمورة العزيز ولواء الزور. وولاية حلب تستوعب مسافة طولها من الشرق إلى الغرب خمس وثمانون ساعة وعرضها من الجنوب إلى الشمال تسعون ساعة، وهذه المسافة كان يحكمها من قبل الدولة العثمانية وال مركزه حلب (الغزي، 1923م، ج1، ص19). تراوحت رقعة ولاية حلب أو دولتها أو محافظتها بين اتساع وانكماش باختلاف الظروف السياسية والإدارية، فبعد أن امتدت ولاية حلب في

(8) انظر الملحق (1) خريطة ولاية حلب قبل الحرب العالمية الأولى.

الرّبع الأخير من القرن التّاسع عشر {قبل الحرب العالميّة الأولى} على مساحة قدرها (33430) كم²، أصبحت بعد نهاية الحرب العالميّة الأولى 1918، دولة حلب بتاريخ 1920/9/8م، وبذلك أقيمت هذه الدّولة على أراضي ولاية حلب القديمة حتى البوكمال، وبلغت مساحتها (72423) كم² (هلال، 2006م، ص39). وخلال الانتداب الفرنسيّ كانت تضم ثلاثة ألوية وواحد وعشرين قضاء، فخسرت منهم حلب لواءين وأحد عشر قضاء واقعة الآن في الأراضي التّركيّة، وهم لواء عنتاب وأقضيته الأربعة، وهي: أورفة، سروج، روم قلعة، وبراجيك، ولواء مرعش وأقضيته الأربعة: الرّيتون، ياوزجق، اندرين، مرعش، كما خسرت ثلاثة أقضية من لواء إسكندرون، وهي: بيلان، إسكندرون، إنطاكية (حميدة، 1992م، ص121). وغير ذلك...الخ، ثمّ باتت مساحة محافظة حلب بعد الاستقلال (1946م) (22919) كم²، وكانت تضمّ (11) قضاء، وهي: مدينة حلب، جبل سمعان، الباب، منبج، عفرين، جرابلس، عين العرب، إعزاز، معرة النّعمان، جسر الشّغور، إدلب، وحارم، وفي عام 1961م انفصلت الأقضية الأربعة الأخيرة عن محافظة حلب كي تؤلّف محافظة إدلب، وهكذا تقلّصت مساحة محافظة حلب في النّهاية إلى (15865) كم² تقريباً، فخسرت أكثر من نصف مساحتها الّتي كانت تتمتع بها منذ 400 عام على الأقل (حميدة، 1992م، ص121).

6- حدودُ البحث

- 1.6- الحدود المكانية: مركز مدينة حلب فقط، إذ اشتملت حلب ولايةً ومحافظة تاريخياً على كثير من الأقضية والألوية، مثل: لواء عنتاب، أو إسكندرونة، وقضاء مرعش وإنطاكية وإدلب، وغيرها.
- 2.6- الحدود الزّمانية: ما بين عامي 1918-1946م.
- 3.6- الحدود الموضوعيّة: العوامل المؤثّرة في التّعليم (سياسياً واقتصادياً واجتماعياً...الخ) الّتي سادت سورية عموماً وحلب خصوصاً، وواقع التّربية والتّعليم حينذاك، وأبرز الجوانب التّربويّة لمعاصري مدة البحث.

7- منهج البحث ومصادره

1.7- منهج البحث:

اعتمد الباحث **المنهج التاريخي** في بحثه، الذي يُعرّف بأنه: "المنهج الذي يصف ما مضى من وقائع وأحداث الماضي، ولا يقف عند الوصف المجرد، وإنما يدرس هذه الوقائع والأحداث، ويحلّلها ويفسّرهما، على أسس منهجية علمية دقيقة، بقصد التوصل إلى تعليمات وحقائق، لا تُساعدنا على فهم الماضي فحسب، بل كذلك فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل" (كاظم وجابر، 1973م، ص102).

2.7- خطوات منهج البحث:

يمكن حصر خطوات القيام بالبحث التاريخي في خمس خطوات وهي كالآتي:

1.2.7- الشعور بالمشكلة وتحديدّها:

على الباحث أن يراعي عند اختبار المشكلة موضع البحث وامتداده التاريخي بحيث يكون له صفة الاستمرار والدوام النسبي بما يمكن من تعقب الظاهرة والتعرف على مراحل تطورها.

2.2.7- جمع البيانات والمعلومات أو المادة التاريخية:

بعد الشعور بالمشكلة واختيار موضوع البحث يقوم الباحث بجمع البيانات والمعلومات من مصادرها.

3.2.7- تحليل المصادر ونقدّها:

يجب على الباحث التأكد من صحة المعلومات التي جمعت وذلك ليكون البحث أكثر مصداقية وأمانة في ذلك، ويكون النقد على نوعين هما: النقد الخارجي والنقد الداخلي.

4.2.7- صياغة الفروض وتحقيقها:

وهي عبارة عن حل مؤقت لإشكالية البحث والذي على أثره تتم دراسة الموضوع، وقد يكون إجابة محتملة للسؤال البحثي.

5.2.7- استخلاص النتائج وكتابة التقرير:

بعد أن يتم الانتهاء من جمع البيانات والمعلومات وتحليلها وتقييمها والتوصل إلى إثبات صدق الفروض بعد إجراء التعديلات الضرورية عليها يخلص الباحث إلى النتائج ثم يقوم بكتابة التقرير النهائي (المحمودي، 2019م، ص 42-43-44).

3.7- مصادر البحث:

لم يوصّف الباحث إلّا بعض أهمّ المصادر والمراجع والموسوعات والمخطوطات والدوريات والكتب والتراجم وأبرزها، وغيرها من الوثائق التي تتضمّن في بطونها وثناياها وبين أسطرها جوانب أو تفاصيل أو فصول فكرية وتربوية وتعليمية؛ لضعف القدرة على توصيف كلّ شيء في متن البحث، ويُذكر أيضاً أن كتب التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي... الخ تهّم المؤرخين بالدرجة الأولى وهي كثيرة وفي متناول يد الباحث. وتوزّع المصادر في المنهج التاريخي إلى ثلاثة أنواع، المصادر الأولية: وهي التي يكون فيها معدّها معاصراً للحدث، أما المصادر الثانوية: لا يكون مؤلف العمل شاهداً للحدث، بل ناقلاً له، وأخيراً المصادر التمهيدية: وتتضمن قوائم بأسماء الكتب والمجلات والوثائق وغيرها حول الموضوع الذي نبحث عنه، وتكون هذه المصادر عبارة عن فهرس للمصادر الثانوية (منصور وآخرون، 2013م، ص 57).

1.3.7- المصادر الأولية

- كتاب (إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء)، تأليف: محمد راغب الطباخ، تحقيق: محمد كمال، سبعة مجلدات، الطبعة الثانية، دار القلم العربي، حلب، 1988م. هذه المجلدات السبعة تضمّ (4035) صفحة، وتتألف من مقدّمة وقسمين، وتتألف المقدّمة من فصلين، الفصل الأول في بيان ما وضعه فضلاء الشهباء من التواريخ الخاصة بها وضمّ عشرين مؤلفاً، والفصل الثاني في بيان ما وضعوه من التواريخ العامة مرتباً ذلك على سني وفاة مؤلفيها وضمّ نحو خمسة وخمسين مؤلفاً. أمّا القسم الأول فهو في ثلاثة مجلدات يذكر فيها من ملك حلب ومن تولّاها والحوادث التي حصلت زمن ملوكها وآثارها، أمّا

القسم الثاني فهو في أربعة مجلدات خُصِّصت لتراجم الرجال الذين أنبتتهم حلب الشهباء ما بين وزير وأمير ومحدث وفقه وشريف ووجيه وخطيب وشاعر وأديب بدءاً من القرن الثالث الهجري. ويعدّ هذا المصدر من أهمّ المصادر؛ لكونه سجلاً حافلاً للحوادث التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فالمؤلف معاصر لمدة البحث ويعمل في ميدان التعليم، ويذكر في تلك المجلدات عشرات المدارس ومكانها وأوقافها وبانيها وأساتذتها وشروط واقفها ونظامها و...الخ، ولم يقف عند هذا الحد بل يحلّل ويبين رأيه في تلك المدارس مبيناً ما آلت إليه حالها في مدة البحث.

- كتاب (نهر الذهب في تاريخ حلب)، تأليف: كامل حسين الغزي، ثلاثة مجلدات، الطبعة الأولى، المطبعة المارونية، حلب، 1923م. وتلك المجلدات الثلاثة تضمّ (2017) صفحة، يعرض المجلد الأول تواريخ حلب وجغرافيتها وصنائعها ونباتاتها وحيواناتها وتجاريتها وقنواتها والممل وعدد من أقضية ولاية حلب...الخ، أما المجلد الثاني يعرض تواريخ حلب في الآثار الدينية والعلمية والخيرية في مدينة حلب، الأبواب والقلعة والأسوار والمساجد والمدارس والجوامع والكنائس والمحلات والحارات والوقفات المحررة في سجلات الأوقاف، وعدد سكانها ذكوراً وإناثاً مسلمين وغير مسلمين ووطنيين وغرباء. أما الجزء الثالث يعرض الحوادث التي طرأت على حلب والأهم التي سكنتها وحكّامها حتى دولة العثمانيين والأحداث التي جرت والحملات العسكرية حتى رحيلهم عن حلب إلى أن عُيّن الملك فيصل على سورية وتلاه دخول الجيش الفرنسي إلى حلب... وما يعيننا بالأخص هو الجزء الثاني لما فيه ذكر للتكايا والزوايا والمدارس والأوقاف والمدرسين والعلوم...الخ، ويمتاز عن كتاب الطّباخ بأنّه قدّم إحصائيات مفيدة لميدان التعليم، فالمؤلف معاصر لمدة البحث ويعمل في ميدان التعليم، إضافة إلى تنويب الميادين المختلفة وتصنيفها كلّاً على حدة، ويورد عدد المدارس لكلّ الأديان والطوائف وعدد المدرسين والتلاميذ ذكوراً وإناثاً.

- كتاب (موسوعة حلب المقارنة)، تأليف: خير الدين الأسدي، تحقيق: محمّد كمال، النسخة الرقمية (جمعية العاديات)، حلب، 2009م. كانت النسخة الورقية تضم سبعة أجزاء، نُشر الجزء الأول عام

1981م، وهذه الموسوعة هي معجم لغويّ اشتملت على خمسين ألفاً من مفردات اللهجة الحلبية، يحلّها الأسدي قولاً وتفسيراً ومعنى، ويردها إلى أصلها إن أمكن، وتمثّل هذه الموسوعة فائدة في أن المؤلّف معاصر لمدة البحث ويعمل في ميدان التعليم، وهو لا يقتصر على الجانب اللغويّ التقليديّ في موسوعته التي تضمّ (3115) صفحة بل يفسّر معنى تلك الكلمة أو الجملة أو التركيب، واستخدامها، ويسوق مثلاً، إذ يدوّن لنا في الصفحة (222) من النسخة الرقمية: "ومنذ أكثر من نصف القرن شهدنا نحن عهد تعليم القراءة أولاً وحدها في الكتاتيب وعند الخوجات لقاء خميسيات في مجموعة أوراق تسمّى: جزو (أليف با). وصف جزو (أليف با): 1- صدر هذه الكلمات تُحفظ حفظاً مع وضع السبابة على كل كلمة دون فهم كتابتها، والغاية منها الدعاء: يا فتّاح يا رزّاق..."

- كتاب (وثائق تاريخية عن حلب) أخبار اللاتين والروم وما إليهم 1855-1963م، تأليف: فردينان توتل، الجزء الرابع، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1964م. يتضمّن الأحداث والأخبار والأعلام التي عثر عليها الأب فردينان في مطالعة الكتب وقراءة المخطوطات ومراجعة الجرائد في الأديرة وفي بيوت الناس، وفي رحلاته بين الشرق والغرب على مدى نصف القرن. جاءت الوثائق مسلسلة مع السنين، وهو من المعاصرين لمرحلة البحث ويعمل في مجال التعليم، وتعدّ هذه الوثائق متممة لمؤلّفات كامل الغزيّ وراغب الطّبّاخ وسوفاجيه وغيرهم. وتكمن أهميّة هذه الوثائق بالذات بذكر أحوال المدارس المسيحية ومعلّمياها وتلاميذها التي يندر ويقلّ ذكرها في المصادر والمراجع الأخرى، فقد أفرد المؤلّف فصلاً عن المدارس المسيحية في حلب والنّهضة الثقافية المسيحية.

- مخطوط (ترجمة نفسي بخطّ يدي)، خطّها: الشّيخ محمد راغب الطّبّاخ عام (1939م)، وهو محفوظ بمكتبة جمعيّة العاديات بحلب برقم (9062). وقد كتبها نزولاً واستجابة لمطلب عديد من إخوانه المفكرين، وهذا المخطوط من القطع الصّغير (43) صفحة، إلّا أنّه يشكّل أهميّة للبحث لما فيه من شرح

وتعداد للأحداث التربوية والتعليمية المهمة التي قام بها الشيخ الطباخ كما سيرد في ترجمته في الفصل الخامس من هذا البحث.

- كتاب (الثقافة الإسلامية)، تأليف: محمد راغب الطباخ، مكتبة طباخ إخوان، حلب، 1950م. وهذا الكتاب بحث في الثقافة الإسلامية والعلوم التي تفرعت عن القرآن الكريم والحديث النبوي كالتجويد والتفسير مع بيان انتشار المذاهب الأربعة في الأقطار الإسلامية والتصوف، ثم العلوم الأدبية والتاريخية، ويختتم الكتاب ببحث عن رقاد الحركة الفكرية ويقظتها الأخيرة في البلاد العربية، وهذا الكتاب بالغ الأهمية لأنه يوثق علوم مرحلة البحث، ويصف الحركة الفكرية آنذاك.

يمكن الإشارة إلى أبرزها التي لم تذكر في الدراسات السابقة، إذ تمثل فائدة عظيمة للبحث؛ لجمعها بعض الوثائق والسجلات والمجلات التي يندر الحصول عليها الآن، إضافة إلى إمكانية العودة إلى أهم المراجع من خلال الفهارس، مثل:

- دراسة بكرو (1998م)، بعنوان: "التعليم الشرعي في حلب 1918-1958م"، حلب.
- دراسة كاتبي (2006م)، بعنوان: "التعليم الشرعي ومدارسه في حلب في القرن الرابع عشر الهجري"، حلب.

وعلى جانب آخر، هدفت بعض الدراسات إلى تعرّف آثار بعض أعلام مدة البحث وحياتهم، وما يميّز هذه الدراسات أنّ الباحثين كانوا معاصرين للأشخاص الذين يدرسونهم أو نقلوا عن عاصروهم وقابلوهم، لأن مدة الدراسة قريبة نسبياً من زماننا الحالي، فالأسدي مثلاً درس بعضاً من طلاب خمسينيات وستينيات القرن الماضي، وبعضهم ما زالوا أحياء، ومثال هذه الدراسات:

- دراسة عبد المحسن (2017م)، بعنوان: "الأسدي علامة حلب في حضرة الغياب"، حلب.
 - دراسة قلعي (1980م)، بعنوان: "العلامة خير الدين الأسدي: حياته وآثاره"، حلب
- واعتمدت معظم إحصائيات البحث على كتب ساطع الحصري، وتستمد هذه الإحصائيات أهميتها لمكانة ساطع الحصري الفكرية، والتربوية التعليمية، والقومية العربية الكبيرة من جهة، وتسلمه مرتين لمناصب تربوية

رفيعة في سورية، منها وزير المعارف في حكومة الملك فيصل بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، والثانية حينما طلبته وزارة المعارف السورية مستشاراً فنياً عام 1944م لتقديم رؤية وهيكلية إصلاحية شاملة للمعارف والتعليم في سورية من جهة أخرى، فقد كان الحصريّ أشد الباحثين اطلاعاً على الإحصاءات التعليمية الرسمية الدقيقة، فوضع:

- كتاب (تقارير عن حالة المعارف في سورية واقتراحات لإصلاحها)، عام 1944م، الجزء الأول، مطبعة الجمهورية السورية/ وزارة المعارف، دمشق. ويقع هذا الكتاب في (302) صفحة، وقدم فيه الحصريّ (16) تقريراً عن أحوال التعليم بتشكيلاته ومناهجه ومراحلته وشهاداته وإحصاءاته وغير ذلك من مكونات العملية التربوية والتعليمية بالتفصيل، ومشروعين لتعديل قانون المعارف العام، وتشكيلات وزارة المعارف.

- كتاب (تقارير عن أحوال المعارف في سورية خلال سنة 1945م)، الجزء الثاني، أصدر عام 1946م، مطبعة الجمهورية السورية / وزارة المعارف، دمشق. ويقع هذا الجزء في (142) صفحة، وتابع الحصريّ ما بدأه في الجزء الأول، فقدم فيه (8) تقارير أخرى لوزارة المعارف، متضمنة أحوال المعارف في العام الدراسي 1944/1945م، ودراسة مقارنة بين المعارف في سورية والعراق. وتجدر الإشارة إلى أنّ الحكومة السورية تبنت مشاريع ساطع الحصري وإصلاحاته في المعارف والتربية والتعليم، وأقرتها في المجلس النيابي عام 1945م، لتعمّ كلّ سورية.

- كتاب (حولية الثقافة العربية)، السنة الأولى (1949م)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، القاهرة. ووضع الحصري هذه الحولية بعد انضمامه للعمل في جامعة الدول العربية، فاستعرض فيه شؤون الأقطار العربية كلها، وكلّ قطر على حدة، مبيناً ما جرى وما يجري في أحوال التربية والتعليم.

2.3.7- المصادر الثانوية

- كتاب (علماء من حلب في القرن الرابع عشر هجري)، تأليف: محمد عدنان كاتبي، الطبعة الأولى، حلب، 2008م. ويقع الكتاب في (629) صفحة، ويشتمل الكتاب على (120) ترجمة، مما يتميز به الكتاب أن مؤلفه عرض فيه الكثير من الصور للمترجمين والمساجد التي أموا أو خطبوا فيها، والمدارس التي درسوا فيها، فيذكر صاحب الترجمة وعلمه وشيوخه وتلامذته.
- كتاب (مئة أوائل من حلب: أعلام- معالم أثرية - صور وثائقية 1901-2001م) تأليف: عامر رشيد مبيض (2004م)، الطبعة الأولى، المجلدات 1 و 2 و 3 و 4 و 5 و 6، دار القلم العربي ودار الرفاعي، حلب. والكتاب من القطع الكبير يقع في (3008) صفحة، وقد بلغ عدد تراجمه في الكتاب (100) ترجمة من أوائل حلب في مختلف المجالات السياسية والفكرية والتربوية والرياضية والموسيقية... الخ، إضافة إلى (675) علماً آخرين صنفهم بعد هؤلاء الأوائل، فيصبح مجموع التراجم كلها (775) ترجمة، وقد خصّ المفكرين والمربين والمؤلفين بفصل مستقل.
- كتاب (أساقفة الروم الملكيين بحلب في العصر الحديث)، تأليف: نايفيوس إدلبي عام 1983م، مطبعة الإحسان، حلب، سورية. يقع الكتاب في (290) صفحة، ويشتمل على (25) ترجمة لأساقفة الروم.
- كتاب (حكايات الجميلية)، تأليف: إياد جميل محفوظ عام 2021م، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية. ويقع الكتاب في (432) صفحة، وهذا الكتاب هو ما يشبه السيرة الذاتية والاجتماعية والرياضية والثقافية والفنية وغيرها من الجوانب لتاريخ حي الجميلية في حلب، الذي يعد أيضاً حياً من أحياء اليهود الحديثة، وقد أفرد فيه المؤلف كذا فصل عن اليهود، منها ما هو متعلق بمدارسهم، ومنها ما أشار فيه إلى تراجم بسيطة لبعض المعلمين اليهود. وقد تواصل الباحث مع الكاتب المهندس إياد محفوظ، وقد زوّده -مشكوراً- بهذه الفصول.

- كتاب **(اليهود في البلدان الإسلامية 1850-1950م)**، تأليف: صموئيل أتينجر، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، دار عامر للمعرفة، الكويت، 1995م. ويقع الكتاب في (446) صفحة، ويشتمل الكتاب على ما يزيد عن العشرين دراسة لأربعة من الباحثين المتخصصين في دراسة تاريخ يهود العالم العربي والإسلامي، وقدم الباحث فيه تحليلاً شاملاً للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي والفكري، وخصّص فصلاً بعنوان "التنوير والتعليم" وآخر بعنوان "الزعامة الدينية والتعليم وطريقة الحياة". ويقدم توطئة مهمة للغاية لحال تعليم اليهود وطريقتهم ومدرسيهم وأبرز مدارسهم، ثم يذكر بعض ما جرى تعليمياً في حلب ودمشق.
- كتاب **(تاريخ اليهود في حلب)**، تأليف: محمود حريتان، شعاع للنشر والعلوم، حلب، 2008م. وهذا الكتاب لا غنى عنه في البحث، ويتكلم عن تاريخ اليهود الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وما يلفت الانتباه إيراد الباحث لفقرة عن وضع المرأة الحليّة عموماً واليهوديّة خصوصاً.
- كتيّب **(مدارس حلب المسيحية في العصر الحديث)**، تأليف: اغناطيوس ديك، (د. ت). على الرغم من أن هذا الكتيب يضم 15 صفحة فقط، إلا أنه يقدم توثيقاً دقيقاً لإنشاء المدارس المسيحية وأحوالها منذ أواخر المرحلة العثمانية حتى العام 1970م.
- كتاب **(حلب في مئة عام: 1850-1950م)**، تأليف: محمد فؤاد عيتنابي وعثمان نجوى، ثلاثة أجزاء، منشورات جامعة حلب/ معهد التراث العلمي العربي، 1993م. أشار المؤلفان في المقدمة أن الكتاب وُضع لجمع المعلومات المبعثرة في الكتب والصحف والمجلات والوثائق التاريخية التي كاد الزمن أن يُلبيها ويجعلها نسياً منسياً. وهما محققان في ذلك، فقد أتيا على عرض مقالات عشرات الصحف والجرائد والمجلات خلال (100) عام من عمر مدينة حلب، وبالطبع تلك الدوريات التي يصعب الحصول عليها الآن تتضمن جوانب تربوية مهمة جداً للبحث.

- كتاب (إضاءات حلبية: تاريخ ومعالم وتراث)، تأليف: عبد الله حجار، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، شعاع للنشر والعلوم، حلب، 2011م. ويشمل هذا الكتاب مواضيع من معالم حلب المهمة وتاريخها وتراثها، وأفرد المؤلف بحثاً عن معهد الأرض المقدسة في الشيباني، فيذكر تاريخ إنشائها والعلوم التي كانت تُدرّس فيها ومراحل التعليم وعدد الطلاب... الخ، وبعض التراجم للمعلمين المسيحيين.
- كتاب (الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر)، تأليف: فريد جحا، الطبعة الأولى، دار الأهالي، دمشق، 1988م. وهو كتاب على غاية من الأهمية، لأنه يتكلم عن المدارس والتعليم والمعلمين والمطابع والصحافة والحركة الفكرية منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين، ويبحث في الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن إيراد عدد من الملاحق المهمة مثل آثار الأدباء، والكتب العربية المطبوعة في حلب.
- كتاب (الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين)، تأليف: عائشة الدبّاغ، دار الفكر، بيروت، 1972م. وهو مرجع لا غنى عنه في البحث، لأنه يتناول زمن البحث، ويعرض المؤسسات التعليمية ومراحلها وموادها والأعلام وتفاصيل كثيرة أخرى.

3.3.7- المصادر التمهيدية

- مجلة (أيام الشام)، "عدد خاص عن حلب"، مجموعة كُتّاب، العدد (11)، دمشق، 2006م. ويضمّ هذا العدد مقالات فنية وفكرية وسياسية واجتماعية وخدمية وصحية معاصرة لمدة البحث، وأبرز ما فيه مقابلة أجراها كاتب مع خير الدين الأسدي يحاوره فيها عن طريقته في التعليم، وهناك مقال آخر يتحدث عن بحثه الطويل في الجانب اللغوي للكلمات.

- مجلة جمعية (العاديات)⁽⁹⁾، كل المقالات منذ العدد الأول السنة الأولى 1931م حتى العدد الثالث 1940م. وتضمّ عديداً من المقالات المرتبطة بالمدارس والتعليم، وكذلك عددها الخاص عن (تراث حلب غير المادي/ الأسدي وموسوعته) السنة (8)، العدد (2).

- مجلة مدرسة (ثانوية المأمون)، كتاب غير دوري مؤقت، صدر بمناسبة احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية 2006م. وتحكي هذه المجلة قصة ثانوية المأمون التي تضرب جذورها في تاريخ حلب منذ العهد العثماني حتى عام 2006م، فتجمع ما قيل عنها وما حدث فيها من ذاكرة الأدباء والمدرسين والطلّاب، وتمثّل هذه المجلة التي تقع في (212) صفحة مرجعاً مهماً لعرض أبرز مدارس حلب (المأمون) في مرحلة البحث.

- مجلة (المرأة)، عدد مختار، 1948م. يضمّ هذا العدد (206) صفحات، فيسرد أحوال المرأة العربية عموماً والسورية خصوصاً، ويتحدّث في إحدى المقالات المطوّلة لمجموعة من الكتاب والكاتبات عن وجوه نهضة المرأة السورية الحديثة اجتماعياً وفنياً وفكرياً وخلقياً وأدبياً وتربوياً ومنزلياً وعاطفياً وسياسياً ووطنياً.

ومؤلفات المستشرقين وأبحاثهم ودراساتهم، وهنا يجب التنويه إلى أنّ معظم هذه المراجع لا تشير إلى الميدان التعليمي إلّا لتوثيقه أبنية ومؤسسات.

- من أهمّ الكتب التي حملت صوراً نادرة لحلب في القرن العشرين كتب المستشرق الألمانيّ فون أوبنهايم، وهي سلسلة كتب تتضمّن صوراً فقط لبعض الآثار التاريخية وتتضمّن بعض المساجد والمدارس وغيرها.

- كتاب (حلب عبر العصور)، تأليف: جورج بلوا دو روترو، ترجمة: زبيدة القاضي، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري، 2002م. قد لا يقدّم هذا الكتاب ما هو جديد، لكنّه قدّم من وجهة نظر غربية فقد

(9) جمعية العاديات: تعني "المؤجلة في التاريخ والقدم"، تأسست في حلب عام 1924م، بهدف الحفاظ على الآثار وحمايتها، ودراساتها والتعريف بها، والتشجيع على زيارتها، من خلال المحاضرات وإصدار المجلات، وساهمت في إنشاء متحف حلب الوطني، لها مكتبة غنيّة، وفروع في عديد المحافظات السورية (كوسا، 2012م، ص 1-2).

كان المؤلف مُعاصراً لمدة البحث وكان مديراً لمتحف حلب، ويحمل الكتاب في طياته بعض المعلومات التي يمكن الاستفادة منها، وغيره من الدراسات والكتب المترجمة...الخ.

وهناك عديد من الوثائق والمؤلفات غير المترجمة، منها:

- **دفتري مدرسي عام (1910م) عائد للطالب قيصر موصلي (1893-1980م)** وهو من طائفة الكلدان الكاثوليك، درس في مدرسة الأرض المقدسة "للآباء الفرنسيسكانيين" الكائنة حينها في كنيسة الشيباني في حي الجلوم، التعليم في المدرسة كان باللغات: العربية، التركية، الفرنسية، الإيطالية، والألمانية.
- **وجد الباحث كتيباً عن مدرسة "الفرانسيكان" لـ الأب "فيلادلفوكينولي" (1948م) باللغة الإيطالية، لم ينقل إلى العربية.** ويضمّ شرحاً لنظام المدرسة وسرداً لعلومها ومدرسيها وطلّابها.
- **وأخيراً منصّات الإلكترونيّة ومواقع التواصل الاجتماعيّ،** إذ لا شك أنّ القرن الواحد والعشرين حمل معه طرقاتاً جديدة ومختلفة لمطالعة المصادر والمراجع وحفظها واقتنائها، لا سيّما أنّه عصر التّكنولوجيا والرّقمنة، وفي بداية الأزمة في مدينة حلب سعى عديد من الباحثين بالمسارعة إلى تحويل الصّور ومحفوظات الثّقافة والتّراث والفكر إلى الهيئة الرّقميّة ضماناً لئلا تُفقد، وفي طليعتهم علاء السّيد⁽¹⁰⁾، الذي قام بتحويل مئات الوثائق التّاريخية عبر صفحة "أرشيف حلب الوطني" على موقع "Facebook"، ثمّ طوّره فأصبح "دار الوثائق الرّقميّة التّاريخيّة" على الويب، أو ناهد كوسا⁽¹¹⁾ الذي أسّس "مجموعة خير

⁽¹⁰⁾ **علاء السّيد (1971- م):** محامٍ، مؤرّخ، باحث، كاتب، حوّل المئات من المحتويات -المرتبطة بتراث حلب- الورقيّة إلى إلكترونيّة عبر منصّاته، عضو اللّجنة القانونيّة في جمعية العاديات 1996م، حائز على عديد من الجوائز، منها: "جائزة الباسل للإبداع الفكريّ 2011م"، و"جائزة الأسد للتحفاظ على التّراث 2020م"، لديه العديد من المؤلّفات منها: "تاريخ حلب المصوّر: أواخر العهد العثمانيّ 1880-1918م"، و "الذّات المقدّسة: السّلطان عبد الحميد".

انظر: <https://www.facebook.com/alaa.alsayed.927>

⁽¹¹⁾ **ناهد كوسا (1956- م):** أوّل عربيّ يدخل موسوعة غينيس ثلاث مرّات، مهندس زراعيّ تخرّج عام 1980م من جامعة حلب، ونال دكتوراة في التّخطيط الاقتصاديّ والاجتماعيّ من جامعة السّوربون الفرنسيّة، عمل باحثاً ومحرّراً في المركز العربيّ للدراسات الدّولية في باريس بين أعوام 1985-1990م، تمّ تعيينه مستشاراً أولاً في الحكومة الفدراليّة الكنديّة ومستشاراً خاصاً لوزير الجنسيّة والهجرة والنّعدديّة الثّقافيّة منذ عام 2008م (الموسوعة التّاريخيّة، 2016م، -أ).

الدين الأسدي علامة حلب" على موقع "Facebook"، وقد ساعد ذلك الباحث على توفير الوقت والجهد والتكاليف عبر تحميل عشرات المصادر والمراجع ذات الصلة من هذه المنصات والمواقع وغيرها.

8- دراسات سابقة

اطّلع الباحث على عدد من الدراسات السابقة التي أجريت في البيئة المحلية والعربية والأجنبية، لكنّه لم يجد أيّ دراسة تناولت أهداف البحث وهي مشكلة البحث بذاتها، فاقترصر الأمر على بعض الدراسات للمدارس الإسلامية الشرعية، وعديد من الدراسات التاريخية والأثرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو حياة أحد أعلام مدة موضوع البحث، وارتبطت تلك الدراسات بدراسة الباحث بشكل أو آخر، ومنها:

1.8- دراسات عربية:

1.1.8- دراسة الطّباخ (1957م)، بعنوان: محمد راغب الطّباخ: حياته، آثاره (رسالة ماجستير، دمشق).

هدفت الدراسة إلى التعريف بحياة الشيخ الطّباخ الحلبي ونشأته وبيئته وعمله وعلمه، ثمّ سعيه لإحياء اللغة العربية عبر ميدان التدريس وإصلاح المدارس الدينية القديمة والتوجيه والصحافة واتّصاله بالمستشرقين، وأورد الباحث أيضاً صفاته وآراءه وفلسفته وأسلوبه في التعليم، والكتب التي ألفها، واختتم الدراسة بمقارنة بين كتاب إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء لـ الطّباخ وأبرز الانتقادات التي وُجّهت إليه مع تفنيدها، ونهر الذهب في تاريخ حلب لـ الغزي. استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي، وتوصّلت الدراسة إلى النتائج الآتية: إنّ الشيخ الطّباخ كان مصلحاً ومفكراً ومعلماً فذاً، قام بخطوات فعلية لإحياء التعليم الشرعي وإدخال العلوم الدنيوية وبثّ التنشئة الرياضية كإنشاء الملاعب حتّى قال بعضهم بكفره، واستخدم في تعليمه طرائق مغايرة لما كان يعرف آنذاك، بيد أنّه لم يسرد التاريخ سرد أحداث بل كان يسأل عن الأسباب والنتائج.

2.1.8- دراسة الجاسر (2000م)، بعنوان: مدارس حلب الأثرية: تاريخها وعمارتها (دراسة، حلب).

هدفت الباحثة إلى تحديد الأسس والمعايير النّاطمة لعمارة المدارس في مدينة حلب- منذ العهد العباسي حتى نهاية العهد العثماني- وإبراز خصوصية عمارة المدارس المختلفة في هذه المدينة، وتناولت الباحثة فيه

دراسة مفصلة لمدارس حلب سواء داخل المدينة القديمة أو خارجها، وتعرضت إلى نشأة المدارس وتطورها وقدمت دراسة معمارية مفصلة لكل منها وأشارت إلى أهم التكوينات المميزة في كل منها، وتناولت إضافة إلى المدارس المشهورة المدارس المختلفة، الحديثة والتبشيرية ومدارس الطوائف المسيحية، استخدمت الباحثة **منهج** الدراسة الميدانية والمكتبية. وتوصلت الدراسة إلى **النتائج** الآتية: تحديد تطورات عمارة المدارس عبر العصور، مثل: التصميم - المساقط الأفقية، والعناصر المعمارية والإنشائية والزخرفية.

3.1.8 - دراسة الأحمد (2004م)، بعنوان: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدينة حلب خلال فترة الانتداب الفرنسي: 1920-1946م (رسالة دكتوراة، دمشق).

هدفت الدراسة إلى تعرف طبيعة الاقتصاد آنذاك، والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي نشأت عنه خلال مدة الانتداب الفرنسي. وأورد الباحث شيئاً يسيراً عن وضع التعليم وقع في (13) صفحة. استخدمت الدراسة **المنهج** التاريخي، وتوصلت الدراسة إلى **نتائج** اقتصادية واجتماعية وصحية وتعليمية، أما التعليم فكان في يد الفرنسيين الذين أدركوا ما للتربية والتعليم من تأثير في تكوين النشء، فعمدوا إلى سن القوانين والأنظمة التي تضمن لهم السيطرة والهيمنة على شؤون التربية والتعليم، فأداروا شؤون التعليم في المدارس إدارة مباشرة، وفرضوا تعليم اللغة الفرنسية على المدارس والصفوف جميعاً.

4.1.8 - دراسة أسود (2009م)، بعنوان: المدارس الإسلامية وأوقافها بحلب منذ القرن السادس الهجري حتى اليوم (بحث، حلب - غازي عنتاب).

هدفت الدراسة إلى التعريف بالمدارس الإسلامية في: موقعها في حلب، وتاريخ تأسيسها، وشيوخها وتلامذتها، والأوقاف التابعة لها، استخدمت الدراسة **المنهج** التاريخي، وتوصلت الدراسة إلى **النتائج** الآتية:

- بلغ عدد المدارس الإسلامية المؤسسة منذ القرن السادس الهجري حتى اليوم (106) مدرسة.

- بدأ تدريس المواد الكونيّة مثل: علم الرّياضيّات والكيمياء واللّغة الأجنبيّة وغيرها في المدارس الإسلاميّة منذ عام 1942م في المدرسة "الخسروية".
- شهد العقد الثّاني من القرن الخامس عشر الهجريّ بداية تأسيس مدارس إسلاميّة للبنات، وهذه الظّاهرة لم تكن من قبل، فقد بلغت (6) مدارس.
- بعض الواقفين شرطوا شروطاً قاصرة بعيدة عن الواقعيّة، ممّا أدّى إلى فقد الاستفادة من العلم الذي من أجله بُنيت المدرسة ووُقيت العقارات.

5.1.8- دراسة حريتانّي (2012م)، بعنوان: حلب وأوروبا عبر التّاريخ (دراسة، حلب).

هدفت الدّراسة إلى التعريف بالعلاقات التجاريّة الحليّة الأوروبيّة في مرحلة السّلالة الأيوبيّة، ثمّ الممالك والعثمانيين حتّى مطلع القرن العشرين. استخدم الباحث المنهج التّاريخي والمنهج الوصفيّ التّحليلي. وتوصّلت الدّراسة إلى النّتائج الآتية:

- 1- إنّ من أهمّ نتائج العلاقات الأوروبيّة مع حلب عمران مدينة حلب وعمارتها.
 - 2- لقد كانت مدينة حلب أسبق المدن إلى التّأثر بالحضارة الغربيّة لكثرة وجود الجاليات الأوروبيّة فيها.
 - 3- قوّة الآثار الأدبيّة والفكريّة التي نقلها الأوروبيون معهم من الشّرق دعمت الحركة الإنسانيّة.
- 6.1.8- دراسة الحتاملة (2019م)، بعنوان: مسكوكات مدينة حلب في الفترة الأيوبيّة، من مجموعة متحف البنك الأهليّ الأردنيّ للنّميات (رسالة ماجستير، الأردن).

هدفت الدّراسة إلى التعرّف على المسكوكات التي أصدرها حكام الدّولة الأيوبيّة في مدينة حلب، والمحفوظة في متحف البنك الأهليّ الأردنيّ للنّميات، والعمل على تسليط الضّوء على هذه المجموعة النّقدية في الطّرز والألقاب والكنى والخطوط والزّخارف والأوزان والتّصوص التي ظهرت على المسكوكات، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفيّ والتّحليلي، وتوصّلت الدّراسة إلى: التعرّف على أخطاء دار الضّرب والنّقاط السّريّة،

والقراضة في سك المسكوكات الأيوبية في مدينة حلب، وأهم أسماء الخلفاء العباسيين، والحكام الأيوبيين، وسلاطين السلاجقة الروم، ونوع الخط المستخدم، والرموز الزخرفية التي ظهرت على هذه المجموعة النقدية.

2.8- دراسات أجنبية:

1.2.8- دراسة Russel⁽¹²⁾ (1794م)، بعنوان:

The Natural History of Aleppo, (London)

تاريخ حلب الطبيعي في القرن الثامن عشر

هدفت الدراسة إلى: التعريف بـ جغرافية حلب وسكانها وأوضاعها الاجتماعية والتوزيع الإثني والديني للسكان، والأوضاع الاقتصادية والصحية، واستخدمت الدراسة المنهج الميداني والوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى: توصيف حلب ورصدها، وعادات أهلها بمختلف أديانهم وطوائفهم، فضلاً عن الأوربيين الذين كانوا يقيمون فيها، وعن المدينة وأزقتها وبيوتها وخاناتها وقلعتها وأبوابها وبساتينها والمحاصيل الزراعية فيها، إضافة إلى الرصد الدقيق للطيور والنباتات والأسماك التي كانت سائدة فيها آنذاك، كما تقدّم رصدًا علميًا مهماً عن الأحوال الجوية والأمراض المتفشية فيها وأهم الأعراض وطرق الإصابة وأساليب العلاج.

2.2.8- دراسة Sauvaget⁽¹³⁾ (1941م)، بعنوان:

ALEP: Essai sur le développement d'une grande ville syrienne des origines au milieu du XIX siècle, (Paris)

حلب: دراسة توسع مدينة سورية كبيرة منذ نشأتها حتى منتصف القرن التاسع عشر

⁽¹²⁾ الأخوين ألكسندر وباتريك راسل كانا قد أقاما في مدينة حلب مدة ثلاثين عاماً بصفتها طبيبين، وسجلا مشاهدتهما وانطباعاتهما عن سكان المدينة بمختلف فئاتهم ومشاربهم (راسل، 1997م، ص 12).

⁽¹³⁾ جان سوفاجيه (1901-1950م): هو مستشرق فرنسي غني بالتاريخ والآثار الإسلامية، أصبح سكرتيراً للمعهد الفرنسي في دمشق عام 1929م، ثم عاد لباريس عام 1937م ليكون مديراً لدراسات تاريخ الشرق الإسلامي فيها، وقد نال شهادة الدكتوراة عن الدراسة التي قام بها عن حلب (سوفاجيه، 1941م، ص 4-5-6).

هدفت الدراسة إلى: التعرف على الإطار التاريخي والتطور المدني والمعطيات الأثرية وصفات التجمع المدني وتطوره منذ القرن العشرين قبل الميلاد حتى منتصف القرن التاسع عشر، وتسجيل تطورها المدني حقبة، حتى توسعها شرقاً في العهدين السلوقي والروماني ثم شرقاً وجنوباً وشمالاً وغرباً في العهود الأيوبية والمملوكية والعثمانية، واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي والوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى:

- إن حلب تُعدّ النقطة التي تترابط فيها الوحدات الجغرافية الكبرى والتجمعات العرقية الكبيرة، وتتحكم صلاتها المتبادلة - السلمية والحربية - بمستقبل المدينة.
- مدينة العصور الوسطى لم تحتفظ بشيء من حضارات العصور العظيمة الآسيوية، فعلى المدينة الهلنستية والرومانية استندت مدينة العصور الوسيطة.
- الإسلام في تاريخ حلب الطويل، لم يكن إلاّ حادثاً عرضياً، فهو لا يستطيع وقد تلقى المدينة مشكلة تماماً من العهود السابقة إلاّ أن يتابع. يريد الباحث سوفاجيه أن المسلمين لم يقدّموا شيئاً لتاريخ مدينة حلب، إنّما كان عليهم فقط أن يتابعوا هذه الحضارة خلال عهدهم دون أن يؤثروا فيها.

3.2.8 - دراسة Gaube and Wirth⁽¹⁴⁾ (1984م)، بعنوان:

Aleppo: Historische und geographische Beiträge zur baulichen Gestaltung zur sozialen Organisation und zur wirtschaftlichen Dynamik einer vorderasiatischen Fernhandelsmetropole, (Wiebaden/Germany)

حلب: دراسات تاريخية وجغرافية حول البنية العمرانية والتركيبية الاجتماعية والحركة الاقتصادية لأحد مراكز التجارة الدولية في الشرق الأدنى

(14) غاوبه وفيرت: مستشرقان ألمانيان مهتمان بمدينة حلب وتابعاً أبحاثهما حولها لمدة عشرين عاماً، وقد أجريا هذه الدراسة خلال زيارة ميدانية إلى حلب (غاوبه وفيرت، 2007م، ص 11).

هدفت الدراسة إلى: رصد التطور التاريخي والوضع الراهن عن جغرافية مدينة حلب وتاريخها، والبنية الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين، واستخدمت الدراسة **المنهج** الميداني والتاريخي والوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى:

- دليل يشتمل على جميع المباني والمنشآت التي تجسّد الجانب الواقعي من النصّ والمُسقط على الخرائط، وذلك على نحو موجز يتناول النواحي التاريخية والوظيفية.
- توضيح العلاقات الوظيفية والبنوية المتشابكة المسيطرة في المدينة الإسلامية الشرقية وفي كلّ مدينة أخرى، بشكلها المميز لمدينة حلب.
- سدّ الثغرات التي اعترت الأبحاث السابقة وإضفاء مضمون على بعض الأفكار المطروحة من قبل سوفاجيه عَرَصاً.

4.2.8 - دراسة Raymond⁽¹⁵⁾ (1985م)، بعنوان:

Grandes villes arabes à l'époque ottoman, (Paris)

المدن العربية الكبرى في العصر العثماني.

هدفت الدراسة إلى التعريف بأبعاد كثيرة للمدن العربية (الجزائر - تونس - القاهرة - حلب) في العصر العثماني، وفي حلب ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر وعرض الأساطير الاستشراقية وبحوث حديثة، ثمّ البنية المكانية ثمّ شبكة الطرق وقطاعات السكن ثمّ الخرائط وتاريخ المدن العربية ثمّ الأوقاف، وبحث في سكان حلب خلال هذه المرحلة بحسب وثائق الإحصاء العثماني، ومواقع الأشراف في حلب حتّى نهاية القرن الثامن عشر وكذلك مسيحي حلب في العهد العثماني، واستخدمت الدراسة **المنهج** التاريخي والوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى:

(15) أندريه ريمون: عالم ومؤرخ ومستشرق فرنسي، له دراسات تاريخية عديدة في تاريخ مصر والمدن العربية، أتاحت له إقامته في المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق لمدة تقرب عن عشر سنوات فرصة دراسة تاريخ دمشق وحلب عن قرب (ريمون، 1991م، ص5-6).

- ازدادت أهمية العوامل الاقتصادية في بنية المدينة خلال العصر العثماني الذي نمت خلاله التجارة نمواً غير مسبوق.
- تأثير المفاهيم العثمانية بشأن استقلال الجاليات قد أدى إلى تنظيم المدن على أساس المجموعات المهنية والعرقية والدينية والجغرافية التي قدمت الكوادر لإدارتها.
- إن ظروف الحياة الاجتماعية ذاتها انقلبت بسبب الآثار الناجمة عن أنماط استهلاكية جديدة تماماً.
- الحياة الثقافية والفكرية انسمت ببعض الوهن.
- حدث الانقطاع الحاسم في تاريخ المدن العربية، وبدأت التحولات التي لا تزال جارية أمام أنظارنا بعد العثمانيين لا قبل ذلك.

5.2.8- دراسة David⁽¹⁶⁾ (1999) بعنوان:

La dynamique des villes et la production de l'espace urbanisme en syrie: modèle d'Alep, (Lyon/France)

حيوية المدن وتوسع النطاق العمراني في سورية: نموذج حلب.

هدفت الدراسة إلى: التعريف بأقاليم مدينة حلب وشبكات علاقاتها، وتأثير هذه الحدود الجديدة على المستويات المتنوعة للأقاليم، وتطورها بدءاً من نهاية القرن الثامن عشر حتى ستينيات القرن العشرين، استخدمت الدراسة المنهج التاريخي والوصفي التحليلي. وتوصلت الدراسة إلى:

- إعادة تنظيم سورية الإقليمي داخل حدودها وإعادة التوازن المناطقي بواسطة سياسات التخطيط الإقليمي لها تأثير مؤكّد.

⁽¹⁶⁾ **جان كلود دافيد:** باحث فرنسي، وُلد عام 1943م، متخصص في تاريخ العمارة والمساحات الحضرية من جامعة ليون عمل في سورية 1968-1972م متدرّباً ثمّ خبيراً في بلدية حلب، وشارك في وضع المخطط التنظيمي الجديد للمدينة، ثمّ في تطوير وحماية المدينة القديمة، عمل أيضاً في المعهد الفرنسي للدراسات العربية (IFEAD) في دمشق 1977-1983م؛ لإجراء بحث حول مدن الشرق الأدنى، انظر: https://www.dig-doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=Njl4&lan=YXI

- تركز النمو في العاصمة المرتبط بمركزيّة إدارية شديدة، الذي هو بلا شك تكاثر المحلية للعاصمة أكثر ممّا هو إعادة توازن حقيقته على المستوى الوطني.

- سيرورة التخطيط الإقليمي لم تصل إلى نهايتها بعد، فهي ما زالت في طور التكوين وعليها أن تتسارع.

6.2.8 - دراسة Mansel⁽¹⁷⁾ (2016م)، بعنوان:

Aleppo: The Rise and Fall of Syria's Great Merchant City, (London – New York)

حلب: صعود وسقوط المدينة التجارية الكبرى في سورية

هدفت الدراسة إلى عرض الحضارات التي تعاقبت على حلب وتاريخها مثل الحيثية والآشورية والبابلية والفارسية والسلوقية والأرمينية والرومانية والأموية والعباسية والمملوكية. وتوسّعت في المرحلة العثمانية، إضافة إلى إيراد (15) مقالاً (1600-1920م) لم تنشر سابقاً، جمعها الباحث لرحالة وأطباء وصحفيين وشعراء وضباط وعلماء وقناصل وتجّار ومستشرقين وغيرهم، تحدّث فيها هؤلاء عن حلب. وقد استخدمت الدراسة المنهج التاريخي والوصفي التحليلي، وأخيراً يرثي حالة مدينة حلب -التي تُعدّ أقدم مدينة مأهولة على وجه الأرض- من قمة القوة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والفنية...الخ، إلى انهيارها وخرابها على مختلف الأصعدة، وخلصت الدراسة إلى ضرورة الإسراع بصون المدينة وإرثها العريق.

3.8 - تعقيب على الدراسات السابقة

يتبين من الدراسات السابقة ما يلي أنّها:

1.3.8 - تتشابه مع البحث الحالي في:

- تأكّيدها أهميّة مدينة حلب وضرورة البحث فيها وبيان تاريخها بالإسهاب والتفصيل، وجمع مواد التاريخ بعلموه وميادينه المختلفة في دراسة متخصصة جامعة.

(17) فيليب مانسيل: هو أستاذ تاريخ بريطاني معاصر، ينصب معظم اهتمامه على دراسة المدن الإسلامية المشرقية وكيفية تطورها في القرون السّنة الأخيرة، ومن أهم كتبه كتاب "المشرق: الزّوغة والكارثة على ضفاف البحر المتوسط"، ويتناول فيه تاريخ ثلاث مدن إسلامية هي القسطنطينية (إسطنبول) وحلب والإسكندرية، انظر: [القسطنطينية، قصة المدينة التي اشتهارها العالم - شجون عربية ..مجلة العرب من المحيط إلى الخليج \(arabiyaa.com\)](http://arabiyaa.com)

- طبيعة المنهج المستخدم، وهو المنهج التاريخي -وقد استخدم أغلبها أيضاً المنهج الوصفي التحليلي بجانبه- إلا في بعض الدراسات التي استُخدم فيها الجانب الميداني إلى جانب المنهجين السابقين،

مثل: دراسة (الجاسر، 2000م)، و(Russel, 1794)، و(Gaube and Wirth, 1984).

2.3.8- تختلف عن البحث الحالي في النقاط الآتية:

- في أهداف البحث، فتناولت الدراسات السابقة البنية الأثرية والتاريخ السياسي والعسكري والاجتماعي والحركة التجارية الاقتصادية والأوضاع الصحية والتركيبية السكانية، إلا في بعض الدراسات التي اقتصر على المدارس أو الأوقاف الإسلامية، مثل: دراسة (أسود، 2009م)، في حين أن الباحث تناولت دراسته التعليم في مدينة حلب خلال مدة البحث.

- المرحلة الزمنية، بيد أن بعض الدراسات السابقة تناولت تاريخ حلب قبل الربع الأول من القرن العشرين تقريباً، مثل: دراسة (الجاسر، 2000م)، و(أسود، 2009م)، (حريثاني، 2012م)، (Russel, 1794)، (Sauvaget, 1941)، (Raymond, 1985)، في حين أن بقية الدراسات امتدت مدتها حتى خمسينيات القرن العشرين وستيناته، ومنها ما بعد ذلك مثل: دراسة (Mansel, 2016).

3.3.8- استفاد البحث الحالي من الدراسات السابقة في:

- تحديد المرحلة الزمنية للبحث.
- اختيار المنهجية المناسبة للبحث الحالي.
- صياغة إشكالية البحث.
- بيان أهمية البحث الحالي نظراً لاطّلاع معظم الدراسات بالجوانب المختلفة غير التعليمية.
- إمكانية الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع والموسوعات وكتب التراجم والمستشرقين والوثائق الرسمية، التي يمكن جمع شتات المحتوى التعليمي منها، والتوسّع فيها، وإثراء الإطار النظري، وتحقيق أهداف البحث.

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في التعليم في مدينة حلب ما بين عامي 1918 - 1946م

مقدمة

تمهيد

5- العوامل الفكرية

1.5- الطباعة

2.5- الصحافة

3.5- المكتبات

4.5- الجمعيات

5.5- الصالونات الأدبية

خاتمة

1- العوامل السياسية

1.1- العهد العثماني (أواخره حتى 1918م)

2.1- العهد العربي الفيصلي (1918 - 1920م)

3.1- عهد الانتداب الفرنسي (1920 - 1946م)

2- العوامل الاقتصادية

1.2- الزراعة

2.2- الصناعة

3.2- التجارة

3- العوامل الاجتماعية

4- العوامل الدينية

مقدمة

مما يجدر الإشارة إليه أنه لا يمكن سلخ التعليم عن الظروف التي مرَّ بها في أيِّ مرحلة، فهي التي تحدده وتوجَّهه، فالنَّعليم يمثل أيديولوجية المجتمع وانعكاسها، لذلك حاول المفكرون التربويون تصنيف العوامل المؤثرة في النُّظم التربويَّة والتعليميَّة، فالنَّعليم قد يُوجَّه سياسياً، ورجال الدِّين عادةً يُشرفون آنذاك على النَّعليم بصورة مباشرة، والمستوى الاقتصاديَّ له صلة وثيقة بجودة الموارد البشريَّة واللوجستية ونوعيتها، والوضع الاجتماعيُّ يؤثر في التَّمييز بين الذَّكور والإناث في تلقِّي النَّعليم، والعامل الجغرافيُّ - السَّكانيُّ يشكِّل ملامح الأعراف والطوائف والأديان وتوجهاتها لنوعيَّة اللِّغة والفكر وسياسة النَّعليم، لذلك ينبغي إحاطة القارئ بأهم هذه العوامل وأبرزها ومدى تأثيرها في النَّعليم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

تمهيد

وقبل الشروع في الحديث عن العوامل المؤثرة في التعليم في مدينة حلب خلال مدة البحث، لا بد من تمهيد يبيِّن تاريخ المدينة قبل مدة البحث.

يميل بعض العلماء إلى الاعتقاد بأنَّ استيطان المنطقة التي تقوم عليها مدينة حلب يعود إلى سبعة آلاف سنة مضت، فقد شهد حيَّ المغاير {نسبة للمغارات الموجودة فيه حتَّى الآن} سكنَ إنسان ما قبل العصر الحجري منذ آلاف السنين، لذلك عدَّ المؤرِّخون مدينة حلب مع مدينتي دمشق وأريحا {في فلسطين}، من أقدم المدن التي ما زالت عامرة ومأهولة في العالم (هلال، 2006م، ص27)، إذ تعرَّضت حلب مراراً لخراب مدمرٍ لكنَّها حافظت على كيائها، فقد بادت واندثرت مدن قديمة، مثل: أوغاريت وإيبلا وماري وأفامية والرَّصافة وبابل ونيوى وغيرها، وما زالت حلب (الرفاعي، 1996م، ص17-21). وقد ورد ذكر حلب في اللُّوحات المسماريَّة المكتشفة في موقعي إيبلا وماري، وفي الكتابات الهيروغليفية في مصر منذ الألف الثالث قبل الميلاد (دافيد وحريثاني، 2011م، ص7-10)، وتعاقب على حكمها الكثير من الممالك والدُّول والحضارات والحكَّام.

وتعود أهمية حلب لعدة عوامل، منها: وقوعها في مفترق طرق برية محورية بين الفرات والمتوسط والأناضول وشبه الجزيرة العربية، خصوبة الأرض الزراعية حولها، متانة حجارته الكلسية البيضاء التي ميزت مبانيها وضمنت لها الاستمرار والبقاء، والازدهار الاقتصادي والحضاري الذي شكلته العوامل السابقة (قجة، 2006م، ص 6-7)، ولقد كانت حلب أيضاً على مر التاريخ من أهم المدن الإقليمية في الثغور الدفاعية والمعارك، فقد كانت عاصمة للدولة العمورية (دو روترو، 2002م، ص 16)، وكذلك عاصمة للدولة الحمدانية، ومركزاً عمرانياً وفكرياً وأدبياً في الدولتين الأموية والعباسية وغيرها، ثم دخلت حلب طوراً جديداً فأصبحت مركزاً اقتصادياً وتجارياً عالمياً مهماً؛ نتيجة لتملكها زمام التجارة البرية على طريق الحرير والتوابل في الإمبراطورية العثمانية حتى غدت ثالث أهم مدينة فيها بعد إسطنبول والقاهرة، فضلاً عن التوسع الكبير في أسواقها وخاناتها وصناعاتها، ووجود عدد كبير من القنصليات والجاليات الأجنبية فيها، وتحصيناتها القوية المتمثلة بالأسوار والأبراج والأبواب والجند، والازدهار الفكري والعمراني والفني... الخ الذي عاشته (قجة، 2016م، ص 11-12-13-14-15).

1- العوامل السياسية

1.1- العهد العثماني (أواخره حتى 1918م)

أنشئت الدولة العثمانية أول مدرسة أميرية {حكومية} في حلب عام 1278هـ/1861م، وهي المدرسة المنصورية، وقد تراوحت المعارف في عهد العثمانيين بين صعود وانحدار، فالحكومة لا تطلب من المدارس الابتدائية والثانوية إلا أن تخرج لها طبقة من الموظفين ملكيين {مدنيين} وعسكريين يكونون أتراكاً بالسنتهم لا بقلوبهم، عثمانيين بتربيتهم لا بأصولهم، وقد أخذ دعاة تنريك العناصر يقاومون لغة البلاد العربية حتى أصبح معظم الدارسين في مدارس الحكومة يخرجون بعد دراسة عشر أو خمس عشرة سنة وهم لا يحسنون لغتهم ولا لغة الدولة الرسمية، فضلاً عن اللغة الفرنسية التي كان تعلمها إذ ذاك رسمياً في الظاهر، صورياً في الحقيقة، على مثل ما كانت اللغة العربية في مدارس الحكومة، وكان ينذر بمن تخرجوا في هذه المدارس من يمارس الصناعات الحرة، بل إن معظم من أتموا الدروس في مدارس الحكومة العثمانية نشؤوا اتكاليين مغرمين بالوظائف فقط (كرد

علي، 1926م، ج4، ص82)، ولم يقف هؤلاء عند هذا الحد بل كان بعض العمال من الأتراك المتعصبين لقوميتهم تعصباً أعمى يشمئزون كل الاشمئزاز من رجل يتكلم العربية، وإذا كان موظفاً عندهم عدواً عليه من النقص تكلمه بالعربية، وربما وضع الرئيس بجانب اسمه علامة تؤخر ترقيته، كأن معرفة اللغة العربية جرم من الأجرام (كرد علي، 1948م، ص159). وفيما يلي ترجمة لائحة رفعها إسماعيل رحمي باشا للاستانة تبين حالة المعارف وقتئذ (1271هـ/1855م)، قال: "غني عن التعريف أن حلب من بلاد الدولة العثمانية ومعدودة من البلاد المعتمدة العظيمة، وفي حال حداشهم لا يرغبون في تعلم الفنون النحوية والصرفية التي هي أساس العلوم الأخرى ويقنعون بتعلم وقراءة القرآن العظيم في الكتاتيب، وكثير منهم لا يحصلون القواعد العربية كما يجب حتى إن بعض الأطفال يتركون القراءة والكتابة بتاتا ويظلون في ظلمات الجهل، وهذه الحال لا تليق بالأهالي مع ما فيهم من الاستعداد الفطري والفتنة والذكاء (الطباخ، 1988م، ج3، ص354). وأكبر دليل على استئصال الأمية بين عامة الشعب كانت قراءة الرسائل أو كتابتها، إذ كان المتعلمون يتحملون دائماً عبئاً كبيراً في أحيائهم لأن عليهم يقع عبء تدبيح (المكاتيب) أي الرسائل وفك (الغاز وطلاسم) الرسائل القادمة⁽¹⁸⁾ (حميدة، 1992م، ص274). إن التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية التي أنشأتها الدولة العثمانية في البلاد العربية كان يجري باللغة التركية بوجه عام، وكانت قواعد اللغة العربية تُدرس في هذه المدارس، كما كانت تدرس في المدارس المؤسسة في الولايات التركية؛ لأنها كانت من جملة القواعد المستعملة في التركية، فكان لا بد من معرفتها لفهم الأدب التركي، وإتقان الإنشاء باللغة التركية (الحصري، 1949م، ص9).

أما التعليم الديني عند المسلمين فهو أحط تعليم، أصيبوا بذلك بعد خراب المئات من المدارس الدينية في القطر وأكل أوقافها، وقد تغافلت الدولة التركية عن إنهاضها، ولم يتهياً لها في الدور الحديث من يفكر حقيقة في إصلاحها (كرد علي، 1926م، ج4، ص83). على أن المجاورة في جميع هذه المدارس كانت قليلة الجدوى؛ لأن المجاور في إحداها لم يكن لمدة مجاورته حد، وربما جاور مدة حياته ولم يحصل من العلم على طائل ولذا لم

(18) وأغلب الظن أن المؤلف قصد الرسائل التي يبعثها المجند أثناء خدمته إلى ذويه، فيكتبها بنفسه، - ربما لعدم توفر كاتب - فتصل تلك الرسائل وكأنها مشفرة لقلة العلم وانتشار الأمية بين أبناء الأمة العربية.

ندرك مدّة حياتنا نابغة من مجاوريتها نبغ بالعلوم والفنون سوى نفر قليلين، على أنّ قليلاً من الناس كانوا يقبلون على طلب العلم ليتخلّصوا بالامتحان من القرعة العسكريّة، فلمّا كانت أيام دولة السّلطان عبد الحميد خان الثّاني العثمانيّ أصدر أمره بأن يكتفي ممّن يدّعي طلب العلم بمجرد كونه مجاوراً في مدرسة ما فيُستثنى من القرعة، فزاد هذا الأمر همّة الطّلبة تثبيطاً وأعطاهم من غائلة الجهل أماناً وضمناً، هذا الاستثناء كاد يمحو معاهد العلم من حلب ويطمس آثاره (الغزي، 1923م، ج1، ص161-162-163)، ولكن استبداد السّلطان عبد الحميد الذي أبطل العمل بالدستور، دفع عدداً من رجال الإصلاح والأحرار العثمانيين إلى تأليف الجمعيات السّريّة الطّامحة إلى إنشاء حكم دستوريّ ديموقراطيّ. فكان بعد حكمه المطلق ونظامه البوليسي وخنقه للحريّات أن تمخّضت الظروف بعد ثلاثين عاماً عن انقلاب عسكريّ أطاح به. وقد استبشر العرب بإعلان الدّستور ورحبوا مع غيرهم من أبناء العناصر الأخرى بشعارات الحرّيّة والعدالة والمساواة التي رفعها الانقلابيون؛ ذلك لاعتقادهم أنّ جميع الشّعوب العثمانيّة سوف تتمتع في العهد الجديد بما تطمح إليه من فرصة المساواة في الحقوق والواجبات (موسى، 1986م، ص22-24-25)، ونتيجة المظاهرات الشّعبية التي قامت في أمّهات البلاد العربيّة، وبعد اتّفاق الأحزاب العربيّة مع الدّولة إثر المؤتمر العربيّ في باريس عام 1913م، وافقت الحكومة على:

- جعل اللّغة العربيّة لغة التّعليم في جميع المدارس الابتدائيّة على أن تُدرّس فيها التّركيّة أيضاً.
- إنشاء مدارس ثانويّة جديدة يكون التّعليم فيها باللّغة العربيّة. ولا شك أنّ هذا القرار قد سرى على مدارس حلب، كما سرى على غيرها (جحا، 1988م، ص86).

أمّا بالنّسبة للطّوائف والأقليات، فقد بدأ سلاطين الدّولة العثمانيّة منذ أوائل القرن التّاسع عشر منح امتيازات كثيرة للدّول، إمّا دفعاً لشرّ أو طمعاً في فائدة، وكان في طليعة هذه الامتيازات السّماح لها بتأسيس مدارس أجنبيّة باسم نشر الهداية تارة، وباسم تحضير الشّعب العربيّ المتخلّف عن الحضارة تارة أخرى (النحاس، د. ت، ص6)، فنالت روسيا عام 1829م حقّ حماية الأماكن المقدّسة والأرثوذكس، ونالت فرنسا عام 1850م حقّ حماية الموارنة والكاثوليك، ونالت إنكلترا عام 1860م حقّ حماية الدّروز واليهود (هلال، 2006م، ص34). إنّ

السياسة الداخلية المتبعة في الدولة العثمانية كانت ترى كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية - من غير المسلمين - جماعة قائمة بنفسها، وكانت تمنح تلك الجماعات امتيازات خاصة في كل ما يمت بصلة إلى الشؤون الدينية والمذهبية، وقد عدت الدولة العثمانية شؤون التعليم من جملة الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب، ولهذا السبب أخذت الطوائف تؤسس معاهد تعليمية خاصة بها وتدير هذه المعاهد كما يروق لها. والحقوق الممنوحة للجماعات في أمر التعليم كانت تشمل "لغة التعليم" أيضاً (الحصري، 1949م، ص 10-11). ثم إن الامتيازات الأجنبية كانت تُعطي الدول الأجنبية التي تتمتع بها - وهي أقوى دول الأرض - سلطة واسعة في التدخل في شؤون الدولة الداخلية، وخاصة التعليم، ولا سيما تعليم الطوائف المشمولة برعايتها، فلم يكن بمقدور الدولة أن تتصرف بلغة التدريس ولا سيما الإنكليزية والفرنسية والألمانية (الكوراني، 2000م، ص 24). فكان الأرمين يعلمون بلغتهم، وكان المسيحيون العرب يعلمون اللغة العربية في مدارسهم، في الوقت الذي انحصرت فيه المعاهد التعليمية المفتوحة أمام المسلمين بالمدارس الوقفية القديمة التي لم تتل أي حظ من الإصلاح، وبالمدارس الرسمية التي كانت تُعَلَّم باللغة التركية (جحا، 1988م، ص 92).

ومما سبق أعلاه يمكن تلخيص أبرز العوامل السياسية التي أثرت في التعليم أواخر الحكم العثماني:

- حرص الدولة العثمانية على جعل اللغة التركية اللغة الرسمية في المؤسسات الرسمية (التعليمية والقضائية والحكومية... الخ)، فلم تبال لتعليم اللغة العربية إلا لاستخدامها في تعلم اللغة التركية، بل حاربت تعليم اللغة العربية ومنعتها بقرار من مديرية المعارف حتى أن العوام صاروا لا يرون لزوماً لتعلمها إلا لغاية دينية. وذلك ما أورده السيد "نجيب باقي زاده" (19) بمذكراته حين قال: "فاجتهدت كثيراً لأقنع أولياء الأمور بلزوم إدخال تعليم اللغة العربية والأجنبية في مدارس المعارف، فلم أفلح لأن وزارة

(19) محمد نجيب باقي زاده (1878 - 1963م): ولد في حلب، وحصل على شهادة المدرسة الإعدادية - التي كانت أعلى شهادة بحلب -، وعلى الرغم من نشأته في بيئة تجارية إلا أنه فضل حياة الثقافة والتربية، ومن أهم إنجازاته: إنشاء أول مدرسة عربية في حلب عام 1903م، وأول جمعية خيرية في حلب عام 1961م، وأول دار للأيتام الإسلامية بحلب، وأول كلية إسلامية في حلب 1943م، وأسس أول محل تجاري لاستيراد المعدات الزراعية والصناعية والكهربائية في سورية عام 1912م (مبيض، 2004م، ج 2، ص 144-145).

المعارف في العاصمة -الآستانة آنذاك- هي التي تضع البرامج وتحدّد العلوم" (مبيض، 2004م، ج1+2، ص150).

- سوء إدارة الحكومة والولاية العثمانيين للمدارس الدينية (الوقفية)، في التسلط على أوقافها، والإعفاء من الجندية لمجاوريها (طلابها) بقرار من السلطان عبد الحميد، مما جعل طلابها يجاورون فيها لمدة مفتوحة بدون امتحان طمعاً بالسكن والراتب والإعفاء من الجندية. إضافة إلى غياب الاهتمام بها ودعمها وتطويرها، الأمر الذي جعل من التعليم الديني قاصراً متدنياً عن المدارس الرسمية والأجنبية والأهلية، إذ تشتت مناهج التعليم الديني وبرامجها ومدارسها، واقتصرت على العلوم النقلية دون العقلية، ولم تُعَنّ باللغات الأجنبية.

- منح امتيازات أجنبية لكل من فرنسا وإنكلترا وروسيا لحماية الطوائف المسيحية، فانسحبت هذه الامتيازات على التعليم وإدارته وكوادره وبرامجه، فكانت هذه المدارس ذات جودة عالية، مناهجها حديثة، برامجها متنوعة ومتوافقة مع العصر. وعبر السيد "تجيب باقي زاده" بمذكراته عن ذلك فقال: "كان الأهالي حتّى المسلمين منهم يضعون أولادهم في المدارس الأجنبية أو في مدارس الطوائف المسيحية، إذ كانت مدارسهم أرقى وإدارتهم في أيدي بعثات أجنبية أكثرها فرنسيّة مثل "الترسانتا"، و"الجزويت" و"الفرير" (مبيض، 2004م، ج1+2، ص150). فكان "نظام الجماعات" خاصاً بغير المسلمين؛ فلم يتمتع المسلمون من العرب بشيء من التنظيمات والامتيازات التي كان يتمتع بها إخوانهم المسيحيون في أمور المدارس والتعليم. فأسسوا - بحكم القانون - مدارس خاصة بهم وجعلوا اللّغة العربيّة لغة التعليم فيها. ولهذا السبب أيضاً كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء الذين ظهروا في الولايات العربية في العهد العثماني مسيحيين بالرغم من قلة عدد هؤلاء بالنسبة إلى المسلمين (الحصري، 1949م، ص11-12).

صفوة القول: إنّ الدولة العثمانية منعت وحاربت اللّغة العربيّة، وفرضت التتريك بكلّ مؤسساتها، ولم توحّد جهود المدارس الوقفية فحسب، بل تجاهلتها وتسلّطت على أموالها، وفتحت الباب أمام المدارس الأجنبية لنشر ثقافتها، ومنحت الامتيازات للطوائف المسيحية في أواخر عهدها، فنظّمت مدارس الطوائف وكان لها الحرّية في

سياستها التعليمية، وتراجعت المدارس الوقفية، وانسلخت المدارس الرسمية عن تحقيق أهدافها لمراعاتها لأحوال البلاد وطبيعة المجتمع الموجودة فيه. هذه العوامل والظروف كلها حطت من المعارف العربية ومؤلفاتها ومدرسيها، وتركت التعليم في حال يُرثى له عند بدء الحرب العالمية الأولى.

2.1- العهد العربي الفيصلي (1918-1920م)

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى، كانت العلاقات التركية العربية تجتاز مرحلة انتقال محفوفة بالحيرة والتردد. إن مشاريع الإصلاحات التي كانت تسير بطيئاً قبل نشوب الحرب العالمية، توقفت بتاتاً عند التعبئة العامة، غير أن تصرفات الحكومة في الشؤون العربية، لم تتوقف عند حد (تأجيل الإصلاحات التي كان تتم الاتفاق عليها سابقاً)، بل تعدت ذلك إلى الانتقام من زعماء الحركة التي آلت إلى ذلك الاتفاق، وكان من الطبيعي أن تثير هذه التصرفات الجديدة كوامن النفوس، وأن تدفع الناس في آخر الأمر - إلى الثورة دفعا (الحصري، 1951م، ص 208-209-210). فتنفيذ حكم الإعدام عام 1916/1915م في زعماء دمشق وبيروت من جمال باشا، وإصدار أحكام بالسجن، ونفي كثيرين من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين إلى الأناضول، قد أهاج العرب فانصرف اتجاههم إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية بدلاً من اللامركزية التي كانوا ينادون بها، وقد أرسل الشريف حسين -أمير مكة- ابنه الأمير فيصل إلى جمال باشا يرجو منه ألا يُنفذ أحكام الإعدام، ولكنه لم يستمع، فكان هذا الإصرار على التنفيذ وتعليق المشانق في بيروت ودمشق مما حمله على إعلان الثورة على الدولة العثمانية عام 1916م (الكوراني، 2000م، ص 33-34).

في أول تشرين الثاني 1918م فور دخول الجيش العربي، ثم القوات البريطانية دمشق، صدر بلاغ الجنرال "اللنبي" (Allenby) في تقسيم سورية - سورية الطبيعية/ بلاد الشام - إلى مناطق ثلاث، شرقية وغربية وجنوبية، ويرأس كلاً من هذه المناطق حاكم عسكري، الفريق علي رضا الركابي حاكماً للمنطقة الشرقية - تمتد من جنوبي الأردن إلى ما وراء حلب شمالاً -، الكولونيل الفرنسي "دي بيباب" (De Piepap) حاكماً للمنطقة الغربية - تمتد من جنوبي صور إلى ما وراء إنطاكية وإسكندرون -، بينما كانت المنطقة الجنوبية تحت احتلال القوات البريطانية - تشمل فلسطين، وعكا ونابلس التي كانت تابعة لولاية بيروت - (الحكيم، 1991م، ص 6-

(7). أما في حلب فقد قصفت الطائرات البريطانية محطة بغداد للخطوط الحديدية فيها، وكان مصطفى كمال قد تمركز في شمال حلب فلاحقه لواء الخيالة البريطاني ووقعت بينهما معركة خان طومان بتاريخ 1918/10/24م، وبعدها معركة حريتان 1918/10/26م، وقُتل فيها الكولونيل البريطاني وثمانون جندياً من الهنود والإنكليز، فأقام الإنكليز في حريتان نصباً تذكاريّاً لآخر معارك الحرب العالمية الأولى، ويسمّيه الحلبيون الآن (القبر الإنكليزي) (هلال، 2006م، ص37).

يقول تحسين باشا العسكري في مذكراته⁽²⁰⁾: "ولقد ترك انسحاب الجيش العثماني البلاد في حالة من الفوضى والاضطراب يصعب تلافيها". فواجه المسؤولون مشاكل عديدة، فقد كان معظم معلمي المدارس وعدد كبير من الموظفين أتراكاً انسحبوا مع القوات التركية، ولم يبق إلا قلة من المعلمين العرب الذين درسوا في معاهد عثمانية، ولم يتدربوا على التعليم باللغة العربية، وكانت الكتب المدرسية كلها مطبوعة بالتركية (إسماعيل، 1998م، ص281-282). وقد استعين في انتقاء أساتذة الثانوي بالأطباء والصيادلة وبالمقاعدين من الخدمة العسكرية، وكانوا ضباطاً في الجيش العثماني، وبالمترشحين من كلية الإدارة والحقوق والزراعة في إستانبول. وقد عاد إلى حلب كثيرون من أهلها الموظفين في بعض أنحاء السلطنة العثمانية فلم يجدوا عملاً فأقبلوا على التعليم، ومنهم من قبل التدريس في المدارس الابتدائية، وكانت الرواتب جيدة فقبلوا التدريس ضماناً للعيش، وكان تعيين المعلمات لمدارس الإناث أكثر صعوبة لقلّة الموجودات منهنّ (الكوراني، 2000م، ص45). وقد حرص الجميع على أن يكون المثقفون، وخريجو المعاهد، وأهل الخبرة على رأس الدوائر، ولم يقصّر المثقفون من أبناء البلاد عن دعم الحكومة العربية في عملها التأسيسي الجديد، إلا أنّ هذه الإدارة العربية الجديدة، كانت في الواقع استمراراً للإدارة العثمانية، إلا ما تغيّر منها منذ البدء، وما كان له صلة وثيقة بالأتراك، كالعملة التركية، والألقاب، فاستبدلت (بك، آغا، خواجه) بالألقاب وأسماء عربية مثل: (سيد، وأستاذ، ومعلم) (سلطان، 1987م، ص98). فقررت وزارة المعارف برئاسة ساطع الحصري تعريب التعليم في سورية، واتباع منهج قومي عربي في التعليم،

(20) تحسين باشا العسكري: وهو من كبار رجال الأمير فيصل في سورية عقب الحرب العالمية الأولى، وكان آنذاك في حلب (عينتابي وعثمان، 1993م، ج2، ص186).

(برج، 1969م، ص42). وقد ذكر الحصري (1949م) أنَّ الحكومة العربيّة السّوريّة قامت في هذا السّبيل بالأعمال الآتية:

- تأسيس المجمع العلمي (مجمع اللغة العربيّة)، وتألّف لجنة اختصاصيّة لاختيار الاصطلاحات العلميّة التي يحتاج إليها المعلّمون في تدريس مختلف المواضيع.

- تعريب المدارس التي كانت موجودة في العهد العثمانيّ.

- إحداث دروس عربيّة في دوائر الحكومة لتدريب الموظّفين على الإنشاء العربيّ وتحويل لغة الدّواوين من التّركيّة إلى العربيّة.

- عقد مؤتمر للمعلّمين لمناقشة مسائل التّربيّة والتّعليم.

- إحداث دورات تدريبيّة للمعلّمين، بغية اطلاعهم على أحسن طرق التّربيّة والتّعليم.

- تأسيس مجلّة "التّربية والتّعليم" لإرشاد المدرسين.

- الشّروع في تأليف الكتب المدرسيّة وغير المدرسيّة وترجمتها.

- تأسيس مدرسة الحقوق.

- إعادة تأسيس مدرسة الطّب العثمانيّ التي كانت نُقِلَت إلى بيروت في بداية الحرب العالميّة، على أن يتولّى التدريس فيها أطباء من العرب وأن يجري التدريس فيها باللّغة العربيّة (ص77-78).

ويُعدّ المجمع العلميّ العربيّ من أبرز ما قامت به حكومة الرّكابي - في مجال التعريب والتّعليم، وتحقيق المخطوطات، وإلقاء المحاضرات، ونشر الثّقافة العربيّة - وذلك في 8 حزيران 1919م، فانقلب "ديوان المعارف" برئيسه وأعضائه مجمّعاً علميّاً مرتبطاً بالحاكم العام مباشرة، وكان عدد الأعضاء ثمانية (الدهان، 1955م، ص36)، وذلك بعد أن عين الحاكم العسكريّ علي رضا الرّكابي الأستاذ ساطع الحصريّ لإدارة المعارف العامّة، واختار المجمع بدلالة رئيسه أعضاء شرف من سورية وخارجها، من عرب ومستشرقين، ليمدّوه بأرائهم ونفثات أقلامهم، وكان من بين أولئك العلماء الأعلام الذين اختارهم: الشّيخ بدر الدّين النّعساني من حلب (الألوسي،

1966م، ص 127-128)، على أن حلب بدأت بتعريب الكتب قبل بدء الحرب العالمية الأولى، وكان نجيب باقي زاده الوحيد في دائرة المعارف الذي يسعى إلى جعل لغة التدريس باللغة العربية، وقد أحضر كتباً من القاهرة لهذا الغرض، واعترض عليه من الحكومة بحجة أنه إذا كانت حلب مدينة عربية فيجب أن يوجد فيها مؤلفون للكتب العربية، فسعى لإشراك الشيخ محمد راغب الطباخ⁽²¹⁾، والشيخ صادق الرفاعي، ومصطفى نعمت العباسي في حركة التأليف باللغة العربية، وحينما أصبح نجيب باقي زاده عضواً في مجلس المعارف 1909م سعى إلى جعل التعليم إلزامياً، وإدخال الكتب العربية، ونقل المعلمين العرب إلى المدن العربية، والأترك إلى الأقضية والمدن التركية، فنقم عليه بعض الأتراك المتعصبين، ونظموا المضايقات بحقه (مبيض، 2004م، ج 1+2، ص 145-151).

وبذلك اجتازت الحكومة العربية التي تأسست ثلاثة أدوار أساسية (إسماعيل، 1998م، ص 50):

- 1- دور الحكومة العسكرية الذي بدأ في (5) تشرين الأول 1918م، بعد دخول جيوش الثورة العربية، وانتهى في (4) آب 1919م.
- 2- دور مجلس المديرين الذي بدأ في (4) آب 1920م، وانتهى في (8) آذار سنة 1920م بإعلان الاستقلال.
- 3- دور الاستقلال الرسمي، وحكم مجلس الوزراء، وقد بدأ في (8) آذار 1920م، وانتهى في (25) تموز 1920م بالاحتلال الفرنسي.

مما سبق نجد: إن هذه المدة القصيرة -العهد العربي الفيصلي- كانت مدة اضطراب وارتباك، إذ حكم الأمير فيصل في سورية سنة وتسعة أشهر، ورغم المشاكسات والمعاكسات والأوضاع الشاذة، أتى بالممكنات، فوطد الحكم وانصرف إلى عمل الإصلاح في البلاد، فأحسن الإدارة وأمن الأمن، وأنشأ الجيش، وجمع المال، وأوجد مجلساً نيابياً للتشريع والرقابة وتمثيل رغائب الشعب، وألف حكومة دستورية، وأسس المدارس وبذل لغة الدواوين التركية إلى العربية، وافتتح الجامعة والمدرسة الحربية، ورفع مستوى الثقافة، وألف المجمع العلمي لتقوية العلم واللغة العربية، وأباح للجميع حرية الفكر والقول والكتابة وقمع الفتن التي كانت في البادية (الكيلي،

(21) انظر ترجمة الشيخ محمد راغب الطباخ في الفصل الخامس من هذا البحث.

1946م، ص50-51)، ولم تنعم هذه الحكومة العربية بالاستقلال حتى ضربتها فرنسا في مهدها، إلا أن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة العربية وبدأت بتنفيذها على الأصعدة كلها، وعلى الصعيد التعليمي خاصة، كان لها عظيم الأثر في تصعيد الاتجاه القومي للغة العربية والعروبة، والمناداة بالوحدة العربية، ونشوء الثورات في عهد الانتداب الفرنسي، ومقاومة سياسته التعليمية فيما بعد، وكانت هذه المرحلة القصيرة الخط الفاصل بين الولاء الديني الذي كان سائداً طيلة القرون الماضية، والولاء القومي الذي صعد وبرز بعد ذلك.

3.1 - عهد الانتداب الفرنسي (1920 - 1946م)

بالعودة إلى دخول القوات العربية إلى دمشق ومراحل إدارة الأمير فيصل لها، لم يكن إذ ذاك مستقلاً بدولته العربية الناشئة في بلاد الشام استقلالاً كاملاً. بل احتجت فرنسا لدى الإنكليز على تغلغل الجيوش العربية في البلاد السورية، فأمرت القيادة العليا البريطانية الأمير فيصل قائد الجيوش الشمالية بترك السواحل إلى الجيوش الفرنسية، فكانت هذه أول الضربات الأليمة التي منيت بها الثورة العربية بوجه عام، والقضية السورية بوجه خاص، وقد احتلت الجيوش الفرنسية منطقة "كيليكيا" بعد استسلام تركيا أيضاً (إسماعيل، 1998م، ص53-54). كان هذا التقسيم متفقاً مع سابق الاتفاق المنعقد بين الحليفتين بريطانيا وفرنسا المعروف باتفاق "سايس بيكو" 1916م، كما يتفق بدرجة أقل مع سابق وعود السفير البريطاني السير "مكماهون" إلى الشريف حسين أمير مكة المكرمة 1915م، إضافة إلى فكرة إحداث وطن قومي يهودي في فلسطين إتماماً لوعده "بلفور" 1917م (الحكيم، 1991م، ص7). بعد واقعة ميسلون لم يبق أمام الجيش الفرنسي ما يحول دون احتلال دمشق، فدخلها في (25) تموز 1920م، وأعلن انتهاء الحكم الفيصلي (الحصري، د. ت، ص319). وقبل ذلك احتلت القوات الفرنسية مدينة حلب، وذلك بقيادة الجنرال "ده لاموت" في (23) تموز 1920م، وإن دلّ احتلال الجيوش الفرنسية لمدينة حلب قبل دمشق على شيء، فإنما يدلّ على الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية التي كانت تتمتع بها مدينة حلب على مرّ العصور (الأحمد، 2004م، ص11).

واتبع المفوض السامي سياسة "فرق تسد"، حتى لا تقوم لطلاب الاستقلال قائمة، وناهض الحركة الاستقلالية والحركة العربية بالقوة وبكم الأفواه، وخلق الطائفية والنعرات القومية العنصرية، وحمى الأقليات

المذهبيّة، وساعد بعض المقاطعات على الانفصال؛ لإضعاف الوحدة، وجعل كلّاً منها دولة، ووضع بجانب كل حاكم ومدير وقائم مقام مستشاراً يأمر وينفّذ من وراء ستار، ووضع ضبّاط الاستخبارات في الأقضية والمدن ليتجسّسوا ويشرفوا ويتدخّلوا ويقاوموا ذوي الرّعاية والوجاهة، وبذلك تصبح الحكومات المحليّة آلة مسخّرة بيد السّلطات الفرنسيّة، ويصبح المفوض السّامي الذي يمثّلها ملكاً غير متوجّ (الكياي، 1946م، ص 64-65).

وفي (7) أيلول سنة 1920م وقف الجنرال "غورو" في حلب وقال: إنه تلبية لرغائب الشعب الحلبيّ يعلن فصل حلب عن الشّام (خباز، 1928م، ص 83). فقسم غورو سورية - سورية الطّبيعيّة/بلاد الشّام - إلى دولة لبنان الكبير بتاريخ 1920/9/1م بعد أن ضمّ لها من ولاية سورية أقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا، ودولة حلب بتاريخ 1920/9/8م، وحكومة اللاذقية بتاريخ 1920/9/23م، ودولة دمشق بتاريخ 1920/12/3، ثمّ فعل كذلك في جبل الدروز بتاريخ 1921/4/20م (هلال، 2006م، ص 39).

كانت قائم مقاميّة الإسكندرون تابعة لولاية حلب في العهد العثمانيّ، فضمّ الفرنسيون إليها أقضية أنطاكية وحارم وبيلان، ثمّ أصدر "غورو" قراراً 1920م أعطى فيه لواء الإسكندرون استقلالاً إدارياً وعدّه لواءً ممتازاً [أي يتمتّع بامتيازات إداريّة خاصّة] وربطه بولاية حلب، وبهذه الصورة أصبح لواء الإسكندرون لا هو بدولة، ولا تابعاً لسورية تماماً، ولا أعطي لتركيا (البيطار، 2019م، ص 29-30-32). ثمّ أرغمت فرنسا على الانسحاب من الشّمال السّوريّ في كيليكية (عينتاب وأورفة وماردين وديار بكر وكلس ومرعش وأضنة) تحت وقع الضّربات التّركيّة فتّم الاتفاق بين الأتراك والفرنسيين عام 1923م على:

- إنهاء الحرب بين فرنسا وأنقرة.
- إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين بيد التّرك.
- انسحاب جنود الفرنسيين من جهات كيليكية في خلال شهرين من الزّمان (خباز، 1928م، ص 64-65).

وسبق للشّيخ كامل الغزي أن تنبّه إلى مطامع تركيا وفرنسا في فصل الأجزاء الطّبيعيّة لشمال بلاد الشّام -حلب بالتّحديد- في 1919/7/24م ل لجنة "كينغ كراين" الأمريكيّة حين وصلت إلى حلب، وقال لهذه اللّجنة ما

يلي: "إنّ الماء هو مادّة الحياة التي تحيي ولاية حلب، وهذه المياه تنبع من أرض عنتاب وكلس، ولذلك يجب أن تبقى هذه المناطق داخلية في حدود البلاد السوريّة التي قرّرها المؤتمر السوريّ" (هلال، 2006م، ص37).

ومنه نرى أنّ فرنسا وبريطانيا مرّقت بلاد الشام كلّ ممزّق، ولم تكتفيا بذلك بل تنازلت فرنسا عن الأجزاء الطبيعيّة الشماليّة من بلاد الشام (إقليم كيليكية) لتركيا، على الرّغم من أنّ قوّات الحلفاء دخلتها واستلمت زمام المبادرة فيها، وعليه تحوّلت بلاد الشام التي ناضل أبناؤها للتخلّص من نير الاستبداد العثمانيّ، إلى أطماع الاستعمار الغربيّ، فباتت بلاد الشام عام 1920م (7 دويلات: فلسطين وإمارة شرقي الأردن تحت الانتداب البريطاني، ودولة لبنان الكبير وحلب ودمشق وحكومة اللاذقية وجبل الدروز تحت الانتداب الفرنسيّ، إضافة إلى لواء الإسكندرون، الذي كان يتمتّع بالحكم الذاتي ملحقاً بحلب).⁽²²⁾

إن تجزئة سورية بهذه الصّورة، أوجدت استياء شديداً في مختلف أنحاء البلاد، وحملت الهيئات الوطنيّة إلى تقديم عديد من الاحتجاجات، فقرّر الجنرال "غورو" عام 1922م إنشاء "اتحاد بين الدّول السوريّة المستقلّة المؤلّفة من دولة حلب ودولة دمشق، وحكومة اللاذقية"، غير أنّ قادة الانتداب ظنّوا أنّ هذه التّشكيلات أُرضت الجميع، فدعوا أهالي حلب إلى انتخاب نواب يمثلونهم في البرلمان الخاصّ بهم، وعندما اجتمع هذا المجلس النيابي المنتخب قرّر بإجماع الآراء الاندماج بدولة دمشق، فأصدر المندوب الساميّ قراره بتوحيد دولتي دمشق وحلب عام 1925م، وبهذه الصّورة ألغي ما كانوا يسمّونه "الاتحاد السوريّ"، وعاد باسم الدّولة السوريّة - مؤلّفة من دمشق وحلب فقط - (الحصري، د. ت، ص406-408).

نشط السوريون لمجابهة الاستعمار بالثّورات المتوالية، وشهد عهد الجنرال "غورو" ثورة الشّيخ صالح العلي في الساحل السوري (1919-1921م)، وثورة حوران (من صيف 1920م إلى آخر العام) التي ذهب ضحيّتها علاء الدّين الدّروبي رئيس الحكومة السوريّة، وثورة إبراهيم هنانو في جبل الزّاوية عام 1920م غرب حلب، ثمّ كاد الجنرال نفسه - غورو - يلقي حتفه سنة 1921م في أثناء مروره في ناحية القنيطرة، فأخطأته النار ولكنّها أودت بحياة مرافقه، وفي أوّل نيسان 1920م هبط السيّد تشارلس كراين دمشق، وكان معروفاً من

(22) انظر الملحق (2) خريطة الدّويلات السوريّة التي خلقها الانتداب الفرنسيّ في بلاد الشام.

السوريين مذ جاءهم رئيساً للجنة كينغ - كراين 1919م، ومحبوباً بسبب التصريحات المنصفة التي كان يدلي بها في تأييد قضيتهم، فما أن جاء حتى علت الأصوات في طلب الاستقلال والوحدة، وقامت قيامة المدينة المهتاجة، فأضربت دمشق، ولكن السلطة قابلت هذه الاحتجاجات بالعنف وأعلنت الأحكام العرفية (بيهم، 1950م، ص 83-84). ثم نشبت في تموز عام 1925م الثورة السورية الكبرى في جبل الدروز بقيادة سلطان باشا الأطرش، في عهد المفوض السامي "ساراي"، وكانت لسياسته الاستبدادية أثر بالغ في انفجار بركان هذه الثورة، فامتد لهيبها إلى دمشق وغوطتها، ثم إلى القلمون وضواحي حمص وحماة، واستدعى الفرنسيون قوات كبيرة استطاعوا بواسطتها إخماد آخر جذوة في الثورة في (10) آب سنة 1927م (الرفاعي، 1947م، ص 183).

مع نهاية الثورة السورية تبدأ مرحلة جديدة تتميز بلجوء السوريين بدلاً من الثورة المسلحة إلى النضال السياسي، وهكذا بدأت المساعي لانتخابات جمعية وطنية تضع دستوراً ومجلساً يعدّ لعقد معاهدة مع فرنسا (إسماعيل، 1998م، ص 384)، تبع ذلك تعيين فرنسا "هنري بونسو"، فأعلن عن إجراء انتخابات من أجل جمعية تأسيسية تضع دستوراً للبلاد 1927م، إلا أنّ المفوضية العليا أعلنت اعتراضها على مواد ست جاءت في هذا الدستور، إحداها تنصّ على الوحدة، وتنصّ المواد الباقية على حقوق رئيس الجمهورية، وعلى التمثيل الخارجي، وتنظيم الجيوش، فطالب "بونسو" بحذفها، فرفضت الجمعية، فأصدر قراراً بتعطيل الجمعية، ثم أضاف المادة (116) التي تنصّ على وقف تنفيذ هذه المواد، فجاءت معاهدة 1936م حلاً وسطاً بين مصالح فرنسا وبين الأهداف الوطنية، لأنها أوّل اعتراف من الدولة الفرنسية باستقلال سورية وسيادتها وضم جبل الدروز وحكومة اللاذقية إليها، ولكن فرنسا تلكت عن تصديق المعاهدة، وفي نهاية المطاف أعلنت رفضها (بيهم، 1950م، ص 87-88-89). ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تمّ الاتفاق بين فرنسا وتركيا بعقد معاهدة وُقعت في أنقرة 1939/6/23م، يُضم لواء إسكندرون بموجبها إلى تركيا نهائياً (البيطار، 2019م، ص 210).

في غضون ذلك نشبت الحرب العالمية الثانية 1939م، فاحتلت ألمانيا أراضي فرنسا، بعد ذلك تألفت حكومة فرنسا الحرة برئاسة الجنرال "ديغول"، فصرّحت أنها ستعلن استقلال سورية إذا ساعدتها ضد القوات

الفيشية⁽²³⁾، فتجدد النضال العربي السوري مطالباً بتحقيق الاستقلال، وقامت المظاهرات والإضرابات، فاضطر الجنرال "كاترو" مندوب فرنسا لإعلان إنهاء حالة الانتداب الفرنسي عن سورية في أيلول 1941م، وتم دمج محافظتي السويداء واللاذقية في دولة سورية، عندئذ جرت انتخابات نيابية عام 1943م فاز فيها الوطنيون وانتخب السيد شكري القوتلي رئيساً للجمهورية، وتألّفت حكومة وطنية تمارس كل الصلاحيات في ظلّ حكم دستوري (الإمام والخوري وبيطار، 1976م، ص 113-114).

نتيجة لذلك استاءت فرنسا من التصرّفات الحرّة للحكومة السورية الوطنية، ثم طلبت من الحكومة السورية ضمان مصالحها الثقافية والاقتصادية والاستراتيجية، ولما رفضت الحكومة والمجلس النيابي المطالب، كان الردّ الفرنسي يوم (29) أيار 1945م بإنزال القوات المسلّحة إلى المدن، وإجراء التّخريب والقتل والتّدمير (الرفاعي، 1947م، ص 195)، فبدأت المجزرة واشتركت فيها جميع المراكز الفرنسية بإطلاق القنابل والرصاص على دمشق، وصوبوها نحو المجلس النيابي [البرلمان]، وكانت المحصلة مجزرة بشرية رافقتها الحرائق والتهديم (بيهم، 1950م، ص 177).

عندها وجّهت بريطانيا إنذاراً إلى حكومة "ديغول" لإيقاف إطلاق النّار، وتقدّمت سورية بشكواها إلى مجلس الأمن وهيئة الأمم، فصدر قرار بلزوم جلاء القوات الفرنسية، وتمّ الانسحاب يوم (16) نيسان 1946م (الرفاعي، 1947م، ص 195). ونالت حلب أيضاً ما نالته أخواتها من المحافظات الأخرى، إذ بدأ الفرنسيون بإطلاق النّار على الطّلاب في أثناء قيامهم بمظاهرات ضد فرنسا، فقتلوا وجرحوا عدداً منهم، وهناك شاهدة - وما زالت - لمصرع شهيدتين من طّلاب مدرسة "المأمون" على أحد جدران حي الجميلية (مبيض، 2004م، ج 1+2، ص 117).

وكما هو واضح، إن السياسة هي العامل الرئيس في كلّ البلاد، إذا ضعفت يتبعها كلّ شيء (كرد علي، 1925م، ص 1). وكما قالت جريدة "لا كورسبوندانس إنترناسيونال" (La Correspondence

⁽²³⁾ نسبة إلى مدينة فيشي عاصمة حكومة فرنسا المتصالحة مع ألمانيا النّازية (الإمام والخوري وبيطار، 1976م، ص 113 -

(International) سنة 1931م: "لم يكن نظام الانتداب إلّا أسلوباً جديداً أُخترع بعد الحرب العامة [العالمية الأولى]؛ لاستعمار البلاد العربية المنسلخة عن الإمبراطورية العثمانية" (الكياي، 1958م، ص15). فنالت حلب حظاً سيئاً من هذا الانتداب، إذ سلخت أجزاؤها الشمالية، وانقطعت مياهاها، وحُرمت من مينائها الطبيعي {الإسكندرونة}، فباتت حلب مشوهة ومقطّعة الأوصال. فبذلك كان الانتداب الفرنسي أشدّ وطأة، وأكثر خراباً من العهد العثماني، فقد حاصرت فرنسا الدّول المُنتدبة، فاتبعت سياسة "فرّق تسد"، وأذكت روح الطائفية والإقليمية حتّى لدى أبناء الدّين الواحد، بحجة مراعاة رغبات العناصر السوريّة، وما يثير القلق في السياسة الفرنسيّة أنّها تسعى في كلّ مستعمراتها إلى إحلال الثقافة الفرنسيّة لغةً وفكراً...الخ، ولم تقف عند هذا الحد بل عدّت بعض هذه البلدان جزءاً لا يتجزأ منها، وفي هذا السّبيل اتّخذت التعليم أداة لها، فوضعوا مناهج خاصّة بكلّ دولة منتدبة (إسماعيل، 1998م، ص283). ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن وزارة المعارف العثمانية كانت تتأثر في تشكيلاتها وتنظيماتها بالنّظم الفرنسيّة بوجه خاص، وكانت تهتم بنشر اللّغة الفرنسيّة اهتماماً خاصاً، وكانت هذه اللّغة إجباريّة في جميع المدارس الرّشدية والإعداديّة -العسكريّة منها والملكيّة- وفي أكثر المدارس العالية، فأصبحت لذلك أكثر اللّغات انتشاراً بين المثقّفين في جميع أنحاء الدّولة العثمانية (الحصري، 1949م، ص8).

وخلاصة القول: إن الفرنسيين بذلوا أقصى جهدهم لقلب الدّور وإثبات ضعف كفاءة العرب، وتدخلوا في كلّ صغيرة وكبيرة وفي كلّ حادثة؛ ليسوغوا احتلالهم وليؤيدوا سلطانهم واستعمارهم، لذلك عمل الفرنسيون على تحريض الطوائف وفصلهم عن الوطن الأم، ليجعلهم حجّة أمام عصبة الأمم على من ينتقد سياسة الاستعمار والانتداب، وليخلق من وجودهم أقليّات تتمرد وتنشق، وتطلب الحماية وإنشاء وطن قومي (الكياي، 1946م، ص50). وكما تدخل السّاسة والعسكر الفرنسيين في كلّ أمور الدولة، فلا شك أنّهم تدخلوا تعليمياً أيضاً، وبذلك تكون الإدارة التّعليميّة كما الإدارة السّياسيّة في سورية أداة طيّعة في يد الانتداب، وهذا يؤكّد ما نشرته "المجلّة المعاصرة" (The contemporary Review) في عددها لشهر أيلول 1928م مقالاً للكاتب الإنكليزيّ "تشارلز وودز" (H. Charles Woods) بعنوان: "سورية بين الأمس واليوم"، ومما جاء في المقال: "وفي كلّ ولاية من سورية مندوب عن المفوض الساميّ المقيم في بيروت، ولكلّ موظّف سوريّ ذي رتبة عالية مستشار فرنسيّ

يشرف على أعماله، وبدونه لا يمكن للموظف السوري أن يقوم بأي عمل (عيتابي وعثمان، 1993م، ج3، ص95).

ومما سبق، يمكن إجمال أثر السياسة الفرنسية في التعليم:

- إذكاء الروح الطائفية والانفصالية والإقليمية.
- اعتماد سياسة تعليمية خاصة بكل طائفة، حتى لدى أبناء الدين الواحد، لتعزيز الانتماء الضيق الأفق.
- تمويل مدارس معينة، وإهمال مدارس أخرى.
- اعتماد سياسة الباب المفتوح أمام المدارس الأجنبية، وعرقلة مساعي المدارس الوطنية.
- فرض اللغة الفرنسية لغة رديفة للعربية في كل المدارس.
- تعويم الفاسدين، ومحاربة الوطنيين ضمن سلك التعليم.
- التدخل في شؤون التعليم جملة وتفصيلاً، من قبل المندوب السامي ومستشاريه ووكلائه.

2- العوامل الاقتصادية

1.2- الزراعة

الزراعة أهم موارد الحياة السورية، بل هي قوام معيشتها، ووسيلة نمو تجارتها، ولكن الزراعة بالأساليب القديمة مع قلة الأيدي العاملة؛ بسبب تيار الهجرة، وهبوط أسعار الحاصلات، ومزاحمة الواردات الأجنبية من حاجيات المعيشة للبضائع الوطنية جعلها قليلة الجدوى. فصار الفلاح يرى أن ترك هذه المهنة المجردة الفاقدة للجدوى مع جهله غيرها من مرافق المعيشة وتوليته شطر المهجر أمراً لا مناص منه، ولا سيما بعد ما فقدت الفائدة الجزيلة التي كان يجنيها من "الدخان"، ويفضله أضعافاً على زراعة غيره. وكل مفكر في زيادة ثروة البلاد يراها تكاد تنحصر في هذا الصنف، فما هو حال الفلاح الوطني وحاصلاته، وهو يرى في دخانه الذي عانى في زرعه العناء والكد، وإدارة الريجي-شركة حصر الدخان الفرنسية- تُقيم سدوداً في وجه تصريفه (خباز، 1928م، ص109-112).

وهذا الكلام يدعمه ما نشرته جريدة "الماتان" (Le Matin) سنة 1926م رسالة من مدير اللجنة الوطنية إلى مستشاري تجارة فرنسا الخارجية يقول فيها: "قد نستطيع أن نجني من مستعمراتنا مقادير الدخان اللازمة من اللّائف الشرقيّة، لجميع حوانيت الدخان في فرنسا". فالّدخان من أكبر موارد الثروة في الجزائر وسورية ولبنان، لا سيما أنّ هذه الأماكن تغل أصنافاً من الدخان تفوق في جودتها جميع أصناف الدخان المعروفة، فماذا تنتظر شركة حصر الدخان لتوسيع نطاق صناعة اللّائف الشّرقاء في هذه المستعمرات؟" (الكياي، 1958م، ص11).

كانت الزراعة في سورية تعاني من معوقات أدّت إلى تأخّرها، وتلك المعوقات ناجمة عن الملكية الإقطاعيّة، فضلاً عن انتقال معظم الأراضي الزراعيّة إلى أيدي المرابين والمتنفّذين الموالين لسلطات الانتداب، ممّا أثقل كاهل الفلاحين بالديون، ونتيجة لزيادة طلب الأسواق العالميّة على أنواع معيّنة من المحاصيل، ركّز المزارعون على المنتجات التي تحتاجها سوق الدولة المنتدبة، وهكذا أصبحت سورية سوقاً لتصريف المنتجات الفرنسيّة، ومورداً مهماً للمواد الأولية الزراعيّة التي تحتاجها مصانعهم في ليون ومرسيليا (الأحمد، 2004م، ص276). وقد ذهبت (صحيفة) الفجر إلى مطالبة إدارة المعارف بوضع البرامج لتعليم الفلاح، وذكرت في مقالة، بعنوان: "سقوط الفلاح"، أنّ الجهل سبب رئيس من أسباب سقوطه، فإنّ القرى لا تلقى اهتمام المعارف الذي تلقاه المدن، مع أنّ سكّان الرّيف يشكّلون ثلاثة أرباع السكّان، ولو اهتمت المعارف بالقرى لتحققت الفائدة المرجوة للفلاح وللوطن (الملاذني، 2006م، ص361).

2.2- الصناعة

بسبب تمزيق سورية إلى عدّة دويلات ذات حدود سياسيّة، أصبح من الصّعب وصول المواد الزراعيّة اللازمة للصناعة في حلب، وجاءت الأزمة الاقتصاديّة العالميّة 1929م لتحول دون تقدّم الصناعة المحليّة، وترافق ذلك مع سياسة جمركيّة مجحفة أعاقّت نمو الصناعات المحليّة، وزيادة مزاحمة البضائع الأجنبية، لكن حدث تطوّر ببعض الحرف باستخدام الآلة، كحرفة الدباغة والصّابون وغيرها، أو السير نحو تأسيس معامل حديثة قائمة على أسس صناعيّة متطورة، مثل: تأسيس معامل الغزل والنسيج في حلب عام 1933م (الأحمد، 2004م، ص277).

وضعت الحكومة المحتلة في سورية عام 1920م حداً لثمن الحرير، والمفهوم أنّ هذا أشبه باحتكار يعود ضرره على اللبنانيين خاصّة، والسوريين عامّة لأنّ تقييد الثمن لا سيما قبل أوان الحرير يقلل حركة البيع والشراء، إلّا لتجار معروفين قد يحضرون من فرنسا (خباز، 1928م، ص137). وهذا ما ذكره المسيو "ده جوفنل" صراحة، حين ألقى خطاباً في مدينة تولي سنة 1920م جاء فيه: "حين يعلم الناس أنّ سورية ولبنان قطران متممان لفرنسا، وأنّه إذا لم نكن بعد قد نظّمنا الشؤون الماليّة على ما يجب أن ننظّمها، فما ذلك إلّا لأنّه تعوزنا المواد الأوليّة لصناعة المنسوجات، وحين يأتي اليوم الذي لا تكفي فيه تلك الصناعة بالصوف والحرير، الذين نجدهما في سورية، بل نهىّ أراضٍ يصحّ أن نسمّيها أراضي قطن فرنسا، فتصبح ثروة بلادنا وثروة اللبنانيين والسوريين مشتركة (الكيلي، 1958م، ص11).

3.2- التجارة

أورد الباحث العوامل الاقتصادية في عهد الانتداب الفرنسي فقط، لأنّ حكم الأمير فيصل لم يكن فعلياً وشاملاً لبلاد الشام، إضافة إلى المدة القصيرة التي حكمها، فكان محاصراً من مختلف الجهات حين احتلت فرنسا وإنكلترا ساحل بلاد الشام غرباً وكيليكيّا شمالاً، والعراق شرقاً، وما بسط سلطانه إلّا على المنطقة الداخليّة التي كانت عرضة للقلاقل والبلابل. فلا شك أنّ سنة وتسعة أشهر لا تكفي لوضع بنیان الدولة، ولا باستطاعة أيّ قائد أو فاتح أو مؤسس أن يبسط سلطانه على بلاد مترامية الأطراف مثل البلاد السوريّة والعراقيّة في هذه البرهة القصيرة، وكيف يستطيع والقوى المعارضة تحيط به من كلّ جانب؟ بل قوى الدّول الثلاث: (إنكلترا وفرنسا وتركيا)، وكيف يقيم الدليل على كفاءته وكفاءة قومه؟ وكلّ من هذه الدّول تجهد في مقاومته وإزعاجه لئلا تمكّنه من الاستقرار والتأسيس والبناء، كيف يستطيع وأمواله لا تكفي؟ ورجاله الفنيون قليلون، والبلاد العربيّة بأجمعها خرجت من الحرب حديثاً منهوكة القوى (الكيلي، 1946م، ص47). فلا نستطيع أن نرسم ملامح اقتصاديّة واضحة بعد كلّ هذه التّأثيرات. وعلى الرّغم من ذلك، يمكن الاستدلال على منهج الحكومة العربيّة ببعض الإجراءات التي قامت بها، ومنها:

- كان في جملة بنود البلاغ النهائيّ المقدّم من الجنرال "غورو" للملك فيصل في تمّوز سنة 1920م مادة تختصّ بالورق السوريّ، وسبب وضع هذه المادّة في البلاغ هو أنّ ناظر ماليّة الملك فيصل -فارس بك الخوري- كان أصدر قراراً يحظر به التّعامل بالورق السوريّ، مستنداً بذلك إلى قواعد ماليّة، وحقوق دوليّة، معمول بها ومقرّرة في كلّ ممالك الأرض، ومن تلك القواعد أنّ البنكنوت (ورق البنك) يجب أن يكون مضموناً بالذهب (خباز، 1928م، ص115-116).

- إضافة إلى ذلك استوفى الأمير فيصل الضّرائب بصورة عادلة، ومكّن التّجار أن يتاجروا بأموالهم، فربحوا وتحسّنت الحالة الاقتصاديّة، وزالت المجاعة التي كانت مخيّمه في البلاد (الكياي، 1946م، ص51). تلا ذلك الإجراءات والتّشكيلات السّياسيّة -الدّويلات المصطنعة- التي قام بها الانتداب الفرنسيّ سبقتها إجراء اقتصاديّ خطير، جرّ على البلاد السوريّة خسائر ومصائب ماليّة فادحة (الحصري، د. ت، ص406-408):

- وذلك حين أصدر "غورو" قراراً يجعل تداول الأوراق النّقديّة التي كان أصدرها البنك الذي أسموه باسم "بنك سوريا ولبنان" من الأمور الإلزاميّة على الجميع. إنّ النّتيجة الفعليّة كانت استبدال الذهب المتداول والمذخّر في البلاد بالأوراق النّقديّة دون أيّ حقّ أو غطاء.

- ولكن الخسائر الاقتصاديّة لم تنحصر بما سبق، بل فرض "غورو" على الحكومة السوريّة - عقب ميسلون - دفع غرامة باهظة قدرها (2,000,000) ليرة ذهب.

- فرض نظام الانتداب على كلّ دولة من الدّويلات التي خلفها أن تدفع الرّواتب والمخصّصات العائدة إلى الموظفين الفرنسيين المدنيين والعسكريين، الذين يرى المندوب السّاميّ ونوابه لزوماً لتعيينهم.

- صارت سلطات الانتداب تغدق على المؤسّسات الصّناعيّة والتّجاريّة الفرنسيّة ضروباً من المساعدات والمحسوبيات على حساب المؤسّسات الاقتصاديّة الوطنيّة.

لذلك تدهورت التّجارة مع بداية فرض الانتداب الفرنسيّ على سورية عامّة وحلب خاصّة، وذلك بسبب السّياسة التي اتّبعها السّلطات الفرنسيّة، من إقامة للحواجز الجمركيّة، وفرض التّعريف على البضائع الدّاخله إلى

حلب، في حين تضاعفت على البضائع الخارجة من مركز حلب التجاري، ومما أدى إلى إلحاق الضرر بالتجارة الداخلية والخارجية، لا سيما حلب وعمقها التركي (الأناضول)، فضلاً عن ضياع لواء إسكندرونة الذي يعد بوابة حلب على البحر، الأمر الذي أثر كثيراً على مسيرة التجارة الخارجية، وقد عانى التجار الحلبيون من ازدياد تكاليف النقل بين حلب والميناء البديل "اللاذقية" (الأحمد، 2004م، ص277).

- قال المسيو "جان فلوريه" في جريدة "الأوبينيون" (l'Opinion) عام 1933م في مقالة: "ربحت تجارتنا في سورية (138) مليوناً، الوارد إلى فرنسا (203) ملايين والصادر منها (65) مليوناً، وربحت تجارتنا سنة 1930م مبلغ (108) ملايين، الوارد (194) والصادر (86) مليوناً (الكيلي، 1958م، ص14).

بناءً على ما سبق تكون فرنسا ما انفكت تسعى إلى إحلال مصلحتها على مصلحة الشعب، وفرضت الضرائب الباهظة، وكتلت السوريين بالكثير من الديون العمومية والالتزامات، نتيجة خلق هذه الديون وزيادة كوادر المؤسسات من مختلف الوزارات، ومنح حق الامتيازات وعقد الاتفاقات مع الشركات الأجنبية مما عمل على دمار سورية اقتصادياً (خباز، 1929م، ص8). فلا ريب أن من أهم أسباب التفار بين سورية وفرنسا السبب الاقتصادي، فللمسألة الاقتصادية علاقة مباشرة بالثورة؛ لأنها ذات علاقة لصيقة بحفظ الحياة (خباز، 1928م، ص107)، فسبب -مثلاً- سقوط الفرنك الفرنسي استياءً عظيماً وكان من أقوى الأسباب للاضطرابات التي سادت البلاد السورية (عنتابي وعثمان، 1993م، ج3، ص95).

خلال كل العصور الطويلة بقيت حلب تشكّل المركز الاقتصادي العالمي الذي يربط بين القارات والمحيطات، وبقيت طريقاً تجارياً إجبارياً تمرّ به القوافل في طريقها من الشرق الأقصى إلى أوروبا، ومن شبه الجزيرة العربية إلى البحر الأسود، وكانت الضربة الاقتصادية الأولى لها افتتاح قناة السويس 1869م، فقدت حلب 93% من تجارتها لمصلحة الطريق البحري عبر القناة. أما في القرن العشرين فقد تعرّضت حلب لضغوط اقتصادية جديدة بانقطاع الطرق التجارية مع الأناضول، وسلخ لواء إسكندرون، الميناء الطبيعي لحلب (قجة، 2016م، ص10-13-15). وبذلك تكون حلب نالت من دمار سورية اقتصادياً في عهد الانتداب أكبره وأعظمه.

أخيراً: ربّما العوامل الاقتصادية لا تؤثر على التعليم عمليّة وممارسة مثل العوامل الأخرى، لكنّها بدون شك تؤثر فيه بوصفها حالة، فأبناء مدينة حلب تعودوا أن يمتهنوا الحرف والصناعات المختلفة وسيلة للعيش، ولا يفصلون التّكسّب بالعلم أو التّعليم، بل بالتجارة والصناعة، ونجد ما يوافق ذلك في الأدب الشعبي⁽²⁴⁾ لمدينة حلب. حين قيل: "البأيدو صنعة بملك قلعة" (الأسدي، 2009م، ص2389). ولا نجد غرابة في هذا المثل الشعبيّ لأنه صدر عن أبناء مدينة كانت قبل الرّبع الأوّل من القرن العشرين تتوسّط ملتقى طرق التجارة العالميّة البريّة لإمبراطوريّة واسعة الامتداد.

3- العوامل الاجتماعيّة

كوّن المجتمع الحلبيّ خليطاً من العناصر، فضمّ العرب وهم مادّته وأصل سكّانه لأنّهم شكّلوا القسم الأكبر، إضافة إلى بعض الفئات كالترکمان والأكراد والشراكسة الذين شكّلوا أقلّيّة داخل المجتمع (الأحمد، 2004م، ص47). وفي عام 1915م بدأت قوافل المهاجرين الأرمن تصل إلى حلب من تركيا؛ لتبدأ بالاستقرار في منطقة الميدان بحلب تدريجياً وليصبح الأرمن جزءاً من سكّان حلب، كما وصل مهاجرون سريان عام 1924م إلى حلب من مدينة أورفة بتركيا واستقروا في منطقة شمال غرب حلب، تحوّل اسمها إلى حي السريان، ثمّ اندمجوا مع أهالي حلب ليصبحوا جزءاً من التّركيب السّكانيّ فيها (الرفاعي، 1996م، ص17-21). على الرّغم من أنّ النّسبة الكبرى للسكّان هي من المسلمين، فإنّ التّوزّع السّكانيّ لا يلحظ الفرز المذهبيّ للأحياء وساكنيها (قجة، 2006م، ص31).

(24) يمكن أن نعدّ المعتقدات الشعبيّة عنصراً من العناصر الأساسيّة الّتي تشارك في رسم ملامح الثقافة العامّة في مجتمع من المجتمعات، على اعتبار كون هذه الملامح مظهراً من مظاهر التّراث غير الماديّ لهذا المجتمع (كمال، 2010م، ص1).

ويوضح الجدول الآتي التوزيع السكاني لحي من أحياء حلب داخل سور القلعة وذلك في الربع

الأول من القرن العشرين:

الجدول (1) التوزيع السكاني في حارة الجلوم الكبرى في الربع الأول من القرن العشرين (داخل سور

المدينة القديمة) وعدد بيوتها (477)

الأقوام	ذكور	إناث	المجموع
المسلمون	1445	1511	2956
الروم الكاثوليك	6	10	16
الأرمن الكاثوليك	21	14	35
الأرمن	45	20	65
اللاتين	15	26	41
الكلدان	7	2	9
السريان	20	17	37
الموارنة	19	15	34
الأجانب	250	100	350
المجموع	1828	1715	3543

(الغزي، 1923م، ج2، ص44)

كذلك بدأ مطلع القرن العشرين بانفتاح نحو الغرب، الذي كان من مظاهره البدء بهجر المساكن التقليدية، وهي البيوت ذات الفناء واللجوء إلى المساكن الطابقية، ثم اتخذ هذا الانفتاح مظهر التمرد على الثقافة المحلية والتراث العربي في اللباس والسلوك والعلاقات العامة والقوانين، إضافة إلى مغادرة بعض العائلات الحلبية المعروفة لأحياء المدينة كالفرازة والجلوم والبياضة ضمن أسوار المدينة القديمة والتوجه للسكن في مناطق التوسع الحديثة (الرفاعي، 1996م، ص116). فخارج أسوار المدينة القديمة المنطقة أكبر وأوسع، ويكفي أن نعلم أن مدينة حلب داخل الأسوار مساحتها 418/ هكتاراً، بينما تبلغ مساحتها الآن أكثر من ألف ضعف تلك المساحة، وهناك أحياء قديمة جداً، مثل: الكلاسة، المشهد... الخ، وأحياء أحدث نسبياً، مثل: الجميلية والعزيرية

والسليمانية...الخ (قجة، 2006م، ص26). وهذا الجدول يوضح التوزيع السكاني في حيّ من أحياء حلب

الحديثة خارج السور:

الجدول (2) التوزيع السكاني في حيّ الجميلية في الربع الأول من القرن العشرين (خارج سور المدينة

القديمة) وعدد بيوته (220)

الأقوام	ذكور	إناث	المجموع
المسلمون	253	270	523
اليهود	632	700	1332
روم كاثوليك	30	35	65
أرمن	3	5	8
سريان	13	15	28
روم	1	6	7
أرمن	5	12	17
موارنة	6	8	14
لاتين	1	2	3
بروتستانت	1	0	1
أجانب	450	0	450
مهاجرو ماردين	340	0	340
المجموع	1735	1053	2788

(الغزي، 1923م، ج2، ص314)

لم يكن هذا التوزيع السكاني في الأعراق والمذاهب وفقاً على مدينة حلب، بل هو أمر مشترك على مستوى بلاد الشام، التي تُعدّ نموذجاً للعيش المشترك المتسامح المرن، وفي قراءة التركيبة السكانية الديموغرافية لمدينة حلب، وتوزع هذه التركيبة، نجد أنّ التوزيع السكاني المشترك والمختلط للأديان والمذاهب في أحياء المدينة داخل الأسوار وخارج الأسوار، ولا نجد حياً سكانه مسيحيون مئة في المئة أو يهود مئة في المئة (قجة، 2016م، ص31).

وهذا جدول في إحصاء سگان مدينة حلب سنة 1922م:

الجدول (3) إحصاء نفوس مدينة حلب عام 1922م "مركز المدينة فقط"

الأمة	الذكور	الإناث	المجموع
إسلام	46268	51362	97600
روم كاثوليك	3586	3895	7481
أرمن كاثوليك	1747	1875	3622
سريان كاثوليك	1178	1199	2377
روم أرثوذكس	612	614	1226
أرمن أرثوذكس	1396	1408	2804
سريان أرثوذكس	327	336	663
موارنة	912	985	1897
كلدان	343	370	713
لاتين	394	459	853
بروتستانت	239	242	482
موسوي (يهودي)	3150	3430	6580
غرباء	9300	10707	20007
أجانب	1810	842	2652
غائبون	4102	3690	7481
المجموع	75334	81414	156749

(الغزي، 1923م، ج1، ص334)

ويذكر الغزي: "أنّ عدد الغرباء في حلب المبيّن في الجدول هو دون الحقيقة، فقد علمنا عن يقين أنّ عدد مهاجري الأرمن الآن في حلب يبلغ نحو ستين ألفاً، وعدد المهاجرين من بقية الأمم كالسريان القادمين من ماردين وأطرافها والأتراك المهاجرين عن بعض بلاد الأناضول فراراً من الجندیّة يزيد على عشرة آلاف نسمة، ولا جرم أنّ الإحصاء الأخير لو كان مدقّقاً لبلغ عدد سگان حلب نحو مئتي ألف وزيادة". ويُلاحظ في الجانب الاجتماعيّ وجود عدد كبير من الأسر الحليّة ذات الأصل الأجنبيّ، وهي تلك التي جاءت إلى حلب في عصور الازدهار الاقتصاديّ، وبقيت فيها ما يمتد عمره إلى عدّة قرون (قجة، 2006م، ص44).

مما سبق نجد: إنّ الأعراق التي عرفتھا مدينة حلب كانت تزداد بحسب الظروف السیاسیة. فنجد أنّه إلى جانب العرب والأتراك والترکمان والأكراد، دخل عنصر الشراكسة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر- بعد حرب القرم والقوقاز بين الدولة العثمانیة وروسيا القیصریة-، ثم نلاحظ هجرة واسعة للأرمن الأرثوذكس في مطلع القرن العشرين، تبعھا هجرة واسعة للسريان الأرثوذكس من جنوب تركيا، وأخيراً هجرة عربیة من لواء إسكندرون بعد سلخه من سوریه، وقد أغنت تلك الهجرات التّنوع الإثنيّ والدینیّ التي تعرفه مدينة حلب، وبقيت المدينة على تسامحها ومرونتها وتقبلها لكلّ الآخرين، واستيعابها كلّ من يفد إليها (قجة، 2006م، ص31).

4- العوامل الدينية

إنّ الفوارق الدینیة لم تفصل الطوائف إلى عوالم اجتماعیة منعزلة خاصّة بها، وكان الخلاف محدوداً للتشابه بين الحلبيين نتيجة الجانب العمليّ الذي كان يرشد سلوكهم اليوميّ، إنّ الميراث الثقافيّ المشترك لم يجعل المسلمين والمسيحيين واليهود غرباء بعضهم عن بعض، وإنّ الأديان الثلاثة غرست فيهم الرّوی الخلقیة والمثل الاجتماعيّة المتشابهة (حريّاني، 2008م، ص18). إذ تميّز المجتمع الحلبيّ بعبادات وتقاليد اشترك في تكوينها عدد من العوامل، كالعامل الدینیّ، والموروث الحضاريّ، والبيئة، التي كان لها أكبر أثر في سلوكيّات هذا المجتمع (الأحمد، 2004م، ص275). لذلك كان أبناء الديانات الثلاث محافظين ويلتزمون بالمبادئ العامّة للمجتمع، وحسن الجوار، ومحبة الآخر، وتقديم يد العون، وتعد حلب مجتمعاً محافظاً وفقاً لذلك، وهذه الأعراف والتقاليد والعبادات يرتبط بها كلّ المشرقيين آنذاك بغض النظر عن دينهم، وإنّ اختلفوا في التفاصيل.

فالعلاقات الاجتماعيّة بين فئات المجتمع الحلبيّ، تميّزت أنّها على غاية من الوئام والوفاق مع اختلاف ملهم، ومع ذلك حدثت بعض الاضطرابات والفتن خلال مدة الانتداب الفرنسيّ، وكانت هذه الأفعال الطائفیة والعنصریة من أخطر السياسات الفرنسيّة؛ إذ أنّها تهدّد السلم الأهليّ وفسيفساء الأعراق واللّغات والطوائف التي عاشتها حلب لقرون مضت إلّا ما تخلّلها بفعل تدخّل الدّول ذاتها حين نالت امتيازات من الدّولة العثمانیة. أما تأثير العوامل الاجتماعيّة على التّعليم، كانت عبر اللّعب على الوتر الطائفيّ من قبل الانتداب الفرنسيّ، إذ دعم

طائفة على حساب أخرى، واستخدمها أداة في التعليم؛ لنشر ثقافته، فأصبحت المدارس الأجنبية من الآلات السياسية الفعالة التي تستخدمها الدول لنشر لغتها في البلاد وبسط نفوذها على الجماعات، وفرنسا كانت أنشط الدول في هذا الباب، بيد أنها عدت نفسها (حامية الكاثوليك) وأنشأت بواسطتها كثيراً من المدارس الفرنسية، ثم أرادت أن تجتذب إلى مدارسها أولاد المسلمين وأولاد الطوائف غير الكاثوليكية من المسيحيين أيضاً، ولذلك أوجدت (الإرساليات العلمانية)، وأخذت تنشئ المدارس الفرنسية العلمانية التي تلتزم الحياد في الأمور الدينية فلا تدخل في مناهجها أي دين من الأديان (الحصري، 1949م، ص 12-13). ولهذا السبب عندما قرّر المبشرون البروتستانت القيام بالدعوة إلى مذهبهم بين مسيحي العرب، بدؤوا عملهم بترجمة الإنجيل إلى العربية، لكي يستطيعوا أن يخطبوا بها بين الناس بطلاقة وبلاغة، لدعوتهم إلى هذا المذهب الجديد بالنسبة إلى بلادهم؛ لأن الإرساليات الكاثوليكية كانت تقاومهم وتنافسهم بكل الوسائل الممكنة، إلا أنها عندما لاحظت نجاح دعايتهم بين الناس، على الرغم من المقاومة، علمت أن السبب الأصلي في ذلك يعود إلى اهتمام البروتستانت باللغة العربية، وإقدامهم على تكثير المدارس التي تعلّم باللغة المذكورة (الحصري، 1951م، ص 167-168).

5- العوامل الفكرية

1.5- الطباعة

تدخل حلب التاريخ فتكون المدينة السورية الأولى التي استخدمت مطبعة عربية حديثة، وفيها سبكت أوائل حروف الطباعة، وطُبع فيها كتاب "المزامير" باللغة العربية والحروف العربية بواسطة الشماس عبد الله الزاخر (1684-1748م) وذلك عام 1706م، وبقيت المطبعة تعمل حتى سنة 1711م، ثم ظلت حلب دون مطبعة حتى 1841م حين أنشأ "بلفنطي" مطبعة حجرية، طبعت ديوان ابن الفارض فكان أول كتاب غير ديني يُطبع في سورية. ثم المطبعة المارونية 1857م، وقد طبعت الكتب الدينية والأدبية والمدرسية ودواوين الشعر، وبعدها أسست "مطبعة الولاية" وصدرت عنها جريدة الفرات الرسمية بحلب 1867م، وكانت تطبع هذه المطبعة الأوراق الرسمية الحكومية والصحف و"السالنامات"، وتنازلت بعد هذا المطابع في حلب (جحا، 1988م،

ص100-101-102-104). وحتى عام 1930م كانت حلب قد عرفت 31 مطبعة (قجة، 2006م، ص93).

2.5- الصحافة

1.2.5- العهد العثماني

تأخر صدور الصحف في سورية حتى أواخر القرن التاسع عشر عام 1877م، على الرغم من أن أول مطبعة في حلب ظهرت في أوائل القرن الثامن عشر؛ وذلك بسبب الحكم الاستبدادي للأتراك، حيث بدأت حلب صحافتها مع صحيفة "الفرات" التي أسسها "حالت بك"، مكتوبي الولاية - أمين السر العام - عام 1867م، ثم توقفت أوائل الحكم العربي، وفي عام 1877م صدرت "الشهباء"، وكانت أول صحيفة أهلية عرفت في سورية أصدرها الحاج هاشم العطار المعروف بالخرائط، وتولى تحريرها عبد الرحمن الكواكبي، وعطّلها الحكومة العثمانية بعد عدة مرّات حتى أوقفتها، فأصدر عبد الرحمن الكواكبي جريدة أخرى باسم "الاعتدال" 1879م، فحاربوها أبشع محاربة ثم انتهى الأمر بإغلاقها على يد جميل باشا والي حلب، وبقيت حلب دون صحيفة حتى عام 1908م (عثمان، 1997م، ص3-10). كانت أعمار هذه الصحف قصيرة، بسبب تعطيلها من قبل الولاة العثمانيين، الذين ضاقوا ذرعاً من فضح ممارساتهم واستبدادهم.

تمّ انقلاب عام 1908م ضد السلطان عبد الحميد، وأطلقت الحريات من جديد، فبادر المواطنون في حلب إلى إصدار الجرائد وهكذا شهد عام 1908م مولد ثلاث صحف، والسنة التي تلتها جريدة رابعة والعام 1910م أربع صحف، والعام 1911م تسعاً، وبلغ بذلك عدد الصحف الصادرة بحلب حتى الحرب العالمية الأولى خمساً وعشرين صحيفة ومجلة (جحا، 1988م، ص131). ومنذ سنة 1912م إلى سنة 1917م انكمش عدد الصحف انكماشاً ملفتاً للنظر، إذ لم يزد عدد الصحف الصادرة عن 17؛ وذلك بسبب سياسة الاتحاديين إذ أظهرت الأيام أنهم أكثر رجعية وبطشاً من السلاطين (عثمان، 1997م، ص17).

2.2.5- العهد العربي الفيصلي

عندما أوشكت الحرب على النهاية، وأصبحت البلاد تحت الحكم الفيصلي العربي، تحسّنت حال الصحافة وألغيت الرقابة التي فرضها الحكم العثماني، وازدهرت الصحافة السورية في تلك المرحلة الوطنية القصيرة، بتشجيع من الملك فيصل، وكانت جميعها صحفاً تدعو للوحدة العربية الشامية، إلا أنها تأثرت باضطرابات بعد أن شدّد الأتراك الخناق على المطابع وعلى الصحف، وانقطع ورود معدّات الطباعة ومعاوناتها من أوروبا مثل: الحبر والورق، وتأزّمت الحالة الاقتصادية في البلاد (الرفاعي، د. ت، ص 13-24-25). وصدرت في مدينة حلب في هذه المرحلة 17 جريدة ومجلة (قجة، 2006م، ص 84).

3.2.5- الانتداب الفرنسي

حينما احتلّ الفرنسيون سورية سنة 1920م اختفت الصحف التي ظهرت في أثناء مدة الاستقلال، وحلّ محلّها صحف أخرى بعضها ذا نزعات متطرّفة والآخر ذا نزعات معتدلة، وقد كان لأقلام الصحفيين تأثير عظيم في إضرام الثورة السورية، ولم يزد عدد الصحف اليومية في سورية بعد الثورة السورية الكبرى عن عشر جرائد، وفرضت فرنسا رقابة على الصحف السورية إلى جانب ما كان من قوانين صارمة جائزة تحدّد من نموّها وحريتها، وذلك حتّى انتهاء الحرب العالمية الثانية (الرفاعي، د. ت، ص 9-10). وصدرت في مدينة حلب منذ أوائل عهد الانتداب وحتّى الاستقلال 44 صحيفة ومجلة (عثمان، 1997م، ص 164).

يرى الباحث أن طبيعة الصحف الصادرة التي كانت في حلب وسورية رسمية عند بدء انتشارها، وهي التي تُعنى بأخبار الحكومة وأوامرها وإعلاناتها وخاصة في المرحلة العثمانية، ثم توالى في أواخرها، والعهد العربي والانتداب الفرنسي الصحف السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية والأدبية وحتى الهزلية الفكاهية الناقدة، ولذلك تتميز مسيرة حلب الصحفية بأنها شاركت في النهضة العربية مشاركة بارزة من خلال بروز أعلام في الفكر والصحافة، مثل: عبد الرحمن الكواكبي (1855-1902م)، وأن هؤلاء الأعلام قد حاربوا التخلف، ودعوا إلى التقدم وتجديد الحياة في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم واللغة وأساليب الكتابة، إضافة إلى أثر الصحافة العظيم في اللغة العربية وإحيائها من جديد، وأخيراً كفاح القلم ضد الطغيان والاستبداد، والتعبير عن حق

الرأي ونشره، مما شكّل وعياً قومياً عربياً وساعد على يقظته وإحيائه، وتقديمه تقدماً عسرياً يوافق بين الشرق والغرب.

3.5- المكتبات

حلب مدينة غنيّة بالكتب والمكتبات، ويعود ولع الحلبيين باقتنائها إلى أزمنة بعيدة، حتّى كاد أن يصبح ذلك فيهم غريزة قويّة، وقد عني أهل اليسار من سكّانها باقتناء المخطوطات النادرة باذلين في استئصالها الأموال الطائلة، وفي تحسين جلودها والاهتمام بخزاناتها الجميلة (الدباغ، 1972م، ص90). ولقد عرفت مدينة حلب أعداداً كبيرة من المكتبات العامّة والخاصّة، وفي أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين كان في حلب عدد من المكتبات (قجة، 2006م، ص84)، منها:

- المكتبة الأحمدية: وتضمّ أكثر من (3000) مخطوط
- المكتبة العثمانية: (1500) مخطوط
- المكتبة الخسروية: (1228) مخطوط
- المكتبة الوطنية: أنشأها الشّيخ محمد راغب الطّبّاخ في غرفة صغيرة بخان الجمرك عام 1923م، فرعاً لمكتبة المجمع العلمي العربيّ بدمشق، ثم نُقلت في العهد الوطنيّ (1936-1939م) إلى مكان واسع في أرقى شوارع المدينة آنذاك (جحا، 1988م، ص113-114). وما زالت قائمة حتى يومنا.
- أما المكتبات الخاصّة، نورد مكتبة العلّامة خير الدّين الأسدي مثلاً. وذلك حين شعر حوالي عام 1950م بالمرض الشّديد، وأنّ أجله قد دنا منه، سارعت دار الكتب الوطنيّة لاقتنائها لقاء راتب شهريّ، وهي التي تضمّ آلاف الكتب القيّمة النادرة، وآلاف الصّور الفوتوغرافيّة الأثريّة، وقد وصفها الفيكونت "دي طرازي" (25) في كتابه "المكتبة العربيّة في الخافقين" بقوله: "تعد مكتبة الأسدي من أغنى مكتبات سورية ولبنان" (الأسدي، 1961م).

(25) الفيكونت دي طرازي (1865-1956م): مؤرّخ الصحافة العربيّة، أديب من أعضاء المجمع العلمي العربيّ، من أعيان السريان الكاثوليك، أصله من الموصل، هاجر أسلافه إلى حلب، ولد بببيروت، وله الكثير من المؤلّفات، منها: "اللغة العربيّة في أوروبا"، وكان صاحب الفضل في إنشاء دار الكتب الوطنيّة بببيروت (الزركلي، 2002م، ج5، ص169).

هناك عشرات المكتبات العامة والخاصة التي أتى المؤلفون على ذكرها بين القرن التاسع عشر والعشرين، ولم تُحصَ إحصاءً دقيقاً، لكن يمكن القول إنها اشتملت على آلاف المخطوطات والكتب القيّمة، التي كان لها أثراً في النهضة الفكرية بمدينة حلب.

4.5- الجمعيات

لما كان وجود الجمعيات من سمات الحكم الديمقراطيّ الشّعبيّ والحياة الدّستوريّة، نلاحظ أنّ هذه التّشكيلات لم يكن لها وجود يستحقّ الذكر تقريباً، في العهد التّركي، شأنها في ذلك أيام الانتداب الفرنسي، إذ لم تكن الأندية والجمعيات تمارس نشاطها إلّا إذا كانت بعيدة كلّ البعد عن كلّ ما يمسّ مصالح الحاكمين، أو يذكّي في نفوس المواطنين حبّ الحرّيّة من الاستعمار الأجنبيّ (حميدة، 1992م، ص289). ويمكن إيراد إحدى هذه الجمعيات كمثال عن الجمعيات الأدبيّة والعلميّة، التي التفت حولها مثقفو حلب وأدباؤها، وهي جمعية "العاديات" التي تأسست عام 1924، وهي جمعية تهتمّ بحماية الآثار والتّراث والدّفاع عن المعالم التّاريخيّة، وقد أسسها المؤرّخ كامل الغزّي مع لفيّف من أبناء حلب الغيورين على تراثهم (قجة، 2006م، ص98).

5.5- الصالونات الأدبية

ويمكن إيراد صالون مريانا مراش الأدبي (1848-1919م) مثلاً، فهي أديبة مرموقة وشاعرة خصبة الخيال، وهي من بيت عريق عُرف باهتمامه بالأدب، كان أبوها فتح الله مراش رجلاً فاضلاً اعتنى بالمطالعة واقتناء الكتب، وكان أخوها عبد الله وفرنسيس من أركان النهضة الأدبية، فقد كتبوا ونظما وأصدروا عدة كتب، وقد سارت على غرار أخويها، فدرست العربية والفرنسية، كما كانت من أبرز عازفات الموسيقى، وكتبت في عديد من الصحف والمجلات، وسافرت كذلك إلى أوروبا واطلعت على عاداتهم وأخلاقهم واستفادت منهم، ومُذْ ظهرت مواهبها وعُرفت بميلها للأدب وقرضها للشعر أصبح بيتها ندوة يجتمع عندها الأدباء، يقرؤون ويبحثون ويتطارحون الشعر ويستمعون إلى حسن صوتها، ولقد كان بيتها أول "صالون أدبي" في الشرق العربي بمفهومه

الحديث، وتُعدّ الشاعرة مريانا أول أديبة وصحفية كتبت في الصحف العربية (الكياي، 1957م، ص137-138).

نجد أنّ العوامل الفكرية هي سلسلة مترابطة، لا تتفكّ إحدى حلقاتها عن الأخرى، وتسهم مدينة حلب فيها إسهاماً مهماً، على الصعيد الإقليمي والعربي، ابتداءً بدخول المطبعة إليها، إضافة إلى انفتاح حلب على العصر الحديث قبل غيرها من المدن العربية، وصلاتها التجارية الواسعة مع العالم عامّة وأوروبا خاصّة.

وبذلك تكون حلب حقّقت الزيادة في نهضة الأمة العربية وأثبتت أثرها المهم والمحوري، بابتدائها طبع الكتب، التي هي مادة العلم وأداته، ومن ثمّ الصحف والجرائد والمجلات، ممّا يساعد على نشر الثقافة والتعليم، ومحاربة الجهل، وتجديد الحياة. أمّا تعليمياً، فإنّ الصحف والطباعة والمكتبات أسهمت في نهضة ميادين العلوم والفنون والمعارف، وأثّرت كلّ تلك العوامل في التمسك باللغة العربية، والقومية العربية، ومحاربة سياسة التتريك والفرسنة، وفضح ممارسات الاستعمار والاستبداد.

خاتمة

تكمن أهمية العوامل المؤثرة في العملية التربوية التعليمية بقول مايكل سادلر – M.Sedler: "إن الأشياء الموجودة خارج المدرسة قد تكون أكثر أهمية من الأشياء الموجودة في داخلها، بل إنّها تتحكّم فيها وتفسّرها"، والذي يعنيه "سادلر" أنّ العوامل التي تحيط بالنظام التربوي من سياسة واقتصاد وظروف اجتماعية... الخ، أهمّ من عملية التعليم والتدريس نفسها، نظراً لما يُقام خارج جدران المدرسة من تحديد ورسم للفلسفة والأهداف والمنهج والأدوات والممارسات اللازمة للقيام بالعملية التربوية التعليمية، ومن هذه العوامل المختلفة المؤثرة في صنع نظام التعليم يمكن تفسير ماهية المرحلة التي مرّ بها، والوقوف عند مكان القوة والخلل فيه.

الفصل الثالث

نظام التعليم الرسمي (الحكومي) والأجنبي في مدينة حلب ما بين عامي 1918-1946م

مقدمة

1- التعليم الرسمي (الحكومي)

1.1- المرحلة الأولية والابتدائية

2.1- المرحلة الثانوية

3.1- التعليم المسلكي (المهني)

4.1- دور المعلمين والمعلمات الابتدائية

5.1- مرحلة التعليم العالي

6.1- أنموذج عن مؤسسات التعليم الرسمية (الحكومية) في مدينة حلب "مدرسة المأمون"

7.1- معلومات إحصائية

2- التعليم الأجنبي

1.2- التعريف

2.2- القيد والمراحل والشهادة والموازنة

3.2- المنهج

4.2- أنموذج عن مؤسسات التعليم الأجنبي في مدينة حلب "مدرسة اللايك"

5.2- معلومات إحصائية

خاتمة

مقدمة

بعد عرض العوامل التي أثّرت في تشكيل نظام التعليم وتحديدده في سورية عامة ومدينة حلب خاصة، ينبغي عرض ملامح نُظُم التعليم لكل فئة من المدارس الموجودة، فلكل نمط من المؤسسات سياستها الخاصة وصفوفها ومناهجها وشهاداتها، والتصنيفات الآتية ما هي إلا نتاج للتأثيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية... الخ التي مرّ بها المجتمع السوري، فتوزّعت مؤسساته على ثلاثة أنواع، رسمية (حكومية)، وأجنبية، وأهلية (خاصة).

وتجدر الإشارة إلى أن حكومة حلب فتحت المدرسة المنصورية عام 1278هـ/1861م، وهي أول مدرسة أميرية [رسمية] أنشئت في حلب، وأنشأ كذلك مدحت باشا في دمشق عام 1295هـ/1878م ثماني مدارس ابتدائية للذكور والإناث ودار صنائع، وأسس مثل ذلك في أعمال ولايته الواسعة، وما برحت جودة المعارف منذ ذلك الحين تعلو قليلاً وتخفض كثيراً، وما كان وجودها إلا لتخريج موظفين مدنيين وعسكريين عثمانيين بلسانهم وتربيتهم وانتمائهم (كرد علي، 1926م، ج4، ص82)،

1- التعليم الرسمي (الحكومي)

يُقسم التعليم بوجه عام في جميع البلاد خلال مدة البحث إلى ثلاث درجات أصلية⁽²⁶⁾:

1.1- المرحلة الأولية والابتدائية

1.1.1- التعريف: تُولف الدرجة الأولى والدنيا من معاهد التعليم، والغرض منها تعليم الأطفال وتربيتهم، منذ السادسة أو السابعة من أعمارهم، وهي ترمي إلى إكساب المعلومات والعادات اللازمة لجميع الأطفال على حد سواء، مهما كانت المهن التي سيمارسونها والمسالك التي سيسلكونها فيما بعد (الحصري، 1944م- أ، ص76).

(26) رغم أن قانون تشكيلات معاهد التعليم السورية عام 1933م، وضع مرحلة لتعليم الحضانة ورياض الأطفال، وحدد المقبولين فيها ممن أتموا (3) سنوات ولم يتّمو (6) سنوات، إلا أنه كان مجرد حبر على ورق، فلم يتم إحداث مدارس حضانة أو رياض أطفال في عهد الانتداب، بل كانت هناك صفوف ملحقة ببعض مدارس البنات لا تتجاوز عدد أصابع اليد (الحصري، 1944م- ب، ص58-61). وكان يوجد في مدينة حلب عام 1924م (5) دور حضانة ملحقة بمدارس الإناث، وعدد معلّماتها (9)، وعدد أطفالها (450) عينتابي وعثمان، 1993م، ج3، ص49).

2.1.1- القيد والشهادة: حسب قانون "درجات التعليم العمومي" (6) تموز 1933م، يُقبل في هذه المرحلة الأولاد الذين أتموا السادسة، ومدة التعليم الابتدائي (5) سنوات، المدارس الأولية (4) سنوات، تُعطى في نهايتها "مصدقة في الدروس الأولية" يوقعها مفتش التعليم الابتدائي، والمدارس الابتدائية (5) سنوات، تعطى في نهايتها "شهادة الدروس الابتدائية" Certificat (سرتيكا) يوقعها وزير المعارف⁽²⁷⁾ (الحصري، 1944م- ب، ص 58-59).

3.1.1- المنهج: وذلك وفقاً للمرسوم الجمهوري الصادر سنة 1945م يكون لدينا:

الجدول (4) توزيع الدروس الأسبوعية على المواد في المدارس الابتدائية عام 1945م

المواد/الصفوف	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس
الدين والقرآن الكريم	4	4	4	3	3
اللغة العربية	13	13	9	8	8
الحساب والهندسة	5	5	5	5	5
ملاحظة البيئة ودرس الأشياء (مع معلومات صحية وزراعية)	4	4	4	4	4
التاريخ	-	-	2	2	2
الجغرافية	-	-	2	2	2
المعلومات الأخلاقية والمدنية	-	-	-	2	2
مجموع المواد النظرية	26	26	26	26	26
الخط العربي	-	2	2	2	2
الرسم والأشغال اليدوية	3	2	2	2	2
النشيد والرياضة البدنية	3	2	2	2	2
الأعمال الحرة	2	2	2	2	2
مجموع المواد العملية	8	8	8	8	8
المجموع العام	34	34	34	34	34

(الحصري، 1949م، ص 99)

⁽²⁷⁾ انظر الملحق (3) شهادة التحصيل الابتدائي (السرتيكا) للتلميذ طه كيالي (الحلبي) عام 1931م موقعة من وزير المعارف محمد كرد علي.

يُلاحظ من خلال الجدول السابق توزيع المواد إلى فئتين، نظرية وعدد ساعاتها (26)، وعملية عدد ساعاتها (8)، وبذلك يكون مجموع ساعات الدروس الأسبوعية (34) ساعة.

وتجدر الإشارة هنا أنّ فرنسا فرضت بداية الانتداب تعليم اللغة الفرنسية على كلّ مراحل التعليم، وهنا يشير وزير المعارف الشهابي (1957م)⁽²⁸⁾ 1936م في حكومة الانتقال من الانتداب إلى المعاهدة، أنّه أوعز إلى مجلس المعارف الأعلى حينها بإلغائها من الصفوف الابتدائية الثلاث الأولى (ص182م)، على النقيض من ذلك نجد أن قوطرش (2001م) ينسب مسألة حذف تعليم الفرنسية في الصفوف الثلاث الأولى إلى اقتراح المستشار الفرنسي لوزارة المعارف العامة الميسو "كولليه" (Collet) (ص70-71). والبرنامج السابق يتبع للمرسوم الجمهوري عام 1945م، أي أواخر عهد الانتداب الفرنسي، حين وقّعت معاهدة استقلال مع الجانب الفرنسي، مما ساعد الحكومة السورية على التحكّم بزمام أمرها تحكماً أكبر ممّا عاصرتة سابقاً، وتبنّت مقترحات ساطع الحصريّ بإلغاء تعليم الفرنسية تماماً من التعليم الابتدائيّ. أمّا قبل ذلك كانت دروس اللغة الفرنسية تشغل في المنهاج زماناً أكثر من مجموع الزمان المخصّص لدروس الأخلاق والمعلومات المدنية والأشياء والمعلومات الصحيّة والعلوم التجريبية، كما أنّها تستغرق وقتاً أكثر بكثير من الوقت المخصّص لدروس التاريخ والجغرافية (الحصري، 1944م - ب، ص59-92).

2.1- المرحلة الثانوية⁽²⁹⁾

1.2.1- التعريف: تُؤلّف الدرجة الثانية والوسطى من معاهد التعليم، وهي تستهدف تعليم المراهقين وتربيتهم تربيةً أرقى وأنمى من المرحلة الابتدائية، وترمي إلى رفعهم إلى المستوى العلميّ الضروريّ للاستفادة من معاهد

(28) مصطفى الشهابي (1893-1968م): أديب، لغويّ، عالم، ولد في حاصبيا، ودرس في بعلبك ثم دمشق والأستانة، حاصل على شهادة مهندس زراعيّ من فرنسا 1914م، تقلّد الكثير من المناصب في سورية، منها: وزير المعارف 1936م، محافظ حلب مرتين عام 1937م و1946م، ووزيراً للعدل والمالية وغيرها، كان من أعضاء المجامع العلمية في البلدان العربية، انتخب رئيساً للمجمع في دمشق عام 1959م حتّى وفاته، له الكثير من المؤلفات في الزراعة والقومية واللغة، منها: "معجم الألفاظ الزراعية" و"الاستعمار" (الزركلي، 2002م، ج7، ص245).

(29) إن التعليم الثانويّ الرسميّ في سورية يتمّ في المعاهد التي تعرف باسم "مدارس التجهيز" و "المدارس الإكمالية ذات التعليم العام" (الحصري، 1944م - ب، ص100).

التعليم العالية من جهة، ولتكوين النخبة المتوسطة -الطبقة المديرية الوسط- من الأمة من جهة أخرى (الحصري، 1944م- أ، ص76).

2.2.1- القيد والشهادة: إن التعليم الثانوي يتبع الدراسة الابتدائية ذات الخمس سنوات، ويتألف من دراسة سبع سنوات، ويشتمل على حلقتين، الأولى: أربع سنوات، وتسمى بالتعليم الإكمالي العام⁽³⁰⁾، تعطى بنهايتها شهادة "الكفاءة" (البروفة). أما الحلقة الثانية من المرحلة الثانوية، تتألف من ثلاث سنوات، وللتلاميذ أن يختاروا في الحلقة الثانية إحدى الشعبتين، علوم أو آداب - وتُعدّ الصفوف بالمرحلة الثانوية بطريقة تنازلية، من الأعلى للأدنى، عملاً بالنظام الفرنسي، فالصف الأول بكالوريا وهو فعلياً السنة السادسة من الدراسة الثانوية- تعطى نتيجته مصدقة "القسم الأول من البكالوريا للتعليم الثانوي"، وعند إتمام السنة الأخيرة للمرحلة الثانوية (البكالوريا الثانية) -أي بعد الانتهاء من صف "الفلسفة" (الأدبي) أو صف "الرياضيات" (العلمي)- تعطى نتيجته "شهادة البكالوريا للتعليم الثانوي" (الحصري، 1944م- ب، ص60-62).

3.2.1- المنهج: وذلك وفقاً للنظام الصادر عام 1945م، يكون لدينا:

الجدول (5) توزيع الدروس الأسبوعية على مواد الحلقة الأولى في المدارس الثانوية عام 1945م

المواد/الصفوف	الصف السادس	الصف الخامس	الصف الرابع	الصف الثالث
العلوم الدينية	1	1	1	1
اللغة العربية وآدابها	7	6	6	6
اللغة الأجنبية	8	7	7	6
التاريخ	3	3	3	3
الجغرافيا	-	2	2	2
الأخلاق والمعلومات				
الحقوقية والمدنية	-	-	-	3
العلوم الرياضية	4	4	4	5
العلوم الطبيعية	4	4	6	6

⁽³⁰⁾ المدارس الإكمالية ذات التعليم العام ومناهجها تنطبق تمام الانطباق على مناهج الحلقة الأولى من "مدارس التجهيز"، فهي بمثابة "مدارس متوسطة" تؤمن القسم الأول من التعليم الثانوي (الحصري، 1944م- ب، ص100).

32	29	27	27	المجموع
0	2	2	2	الرسم
1	1	2	2	الرياضة البدنية
0	-	1	1	الموسيقى
1	2	2	2	الأعمال الحرة
34	34	34	34	المجموع العام

(الحصري، 1949م، ص114)

يلاحظ من خلال الجدول السابق أنه ما ينطبق على التعليم الابتدائي ينطبق على الحلقة الأولى من التعليم الثانوي، في نوع المواد وعدد الساعات، وينبغي هنا الإشارة إلى أنه وفق النظام السابق الصادر عام 1945م كان يُخَيَّر الطالب في الحلقة الأولى باختيار إحدى اللغتين (فرنسي أو إنكليزي). أما قبل ذلك ووفقاً لمرسوم عام 1938م كانت اللغة الفرنسية إجبارية إلى جانب لغة أجنبية ثانية، وعدد ساعات اللغة الفرنسية يماثل اللغة العربية 7 ساعات، وذلك على حساب المواد الأخرى، فضلاً عن ذلك إن النظام الداخلي للمدارس التجهيزية يذكر أن أحد أنواع الموظفين هو مدير الدروس الفرنسية، من غير أن يشرح واجباته، ويشمل بذلك سلطته إلى خارج نطاق الدروس الفرنسية التي هي من خصائص مدير المدرسة (الحصري، 1944م - ب، ص100-103).

الجدول (6) توزيع الدروس الأسبوعية على مواد الحلقة الثانية في المدارس الثانوية عام 1944م

المواد/الصفوف	الصف الثاني	الصف الأول	صف الرياضيات (علمي)	الصف الثاني	الصف الأول	صف الفلسفة (أدبي)
العلوم الدينية	1	1	-	1	1	-
اللغة العربية	6	6	-	6	6	-
اللغة الفرنسية	7	7	2	7	7	4
الترجمة	2	2	1	2	7	4
اللغة الثانية	3	3	2	3	3	3
التاريخ	2	2	2	2	3.5	3
الجغرافية	1	1	1	1	1.5	1

2	4	4	11	5	5	الرياضيات
2.5	2	2	4	3	3	الحكمة الطبيعية
1.5	1	1	2	2	2	الكيمياء
3	-	-	3	-	-	التاريخ الطبيعي
11	-	-	4	-	-	الفلسفة
32	31	31	32	32	32	المجموع

(الحصري، 1944م - ب، ص 110)

وهنا نلاحظ أنّ مدّة الدراسة الثانوية في سورية -في عهد الانتداب- سبع سنوات بعد دراسة ابتدائية مدّتها خمس سنوات، في حين أنّ التعليم في كلّ من دول الجوار كمصر والعراق ست سنوات ابتدائية وخمس سنوات ثانوية، وفي تركيا خمس سنوات ابتدائية وست سنوات ثانوية، وإذا جمعنا السنوات تكون في إحدى عشرة سنة لكلّ التعليم ما قبل الجامعي، وكذلك في مختلف البلاد الأوروبية تنحصر مدّته في عشرة سنوات، مثل إسبانيا ورومانيا والدنمارك والبرازيل، ومع ذلك كلّ نجده في سورية ولبنان 12 سنة، لسبب واحد وهو أنّ مدّة الدراسة الثانوية في فرنسا سبع سنوات، لمحددات خاصّة بمجتمعها دون غيره، غير أنّهم نقلوا نظامهم إلى سورية ولبنان دون مراعاة للفروق (الحصري، 1985م، ص 69-70). وقد حذفت وزارة المعارف بعد ذلك واحدة من سنوات التعليم الثانوي ليصبح ست سنوات.

3.1- التعليم المسلكي (المهني)

1.3.1- التعريف: يهدف إلى تخريج طلاب جمعوا بين الثقافتين العلميّة والمسلكيّة، ويُعطى هذا التعليم في مدارس الصناعة والتجارة والزراعة، ويتألف من ثلاثة أقسام: "تعليم عام" يوسّع مدارك الطلاب ويثقفهم، "تعليم مسلكي" يُعلّم الطلاب قواعد الصناعة والتجارة والزراعة، "تعليم عملي" يُمرّن الطلاب على مباشرة الطرق الفنيّة الصناعيّة والتجاريّة والزراعيّة (الحصري، 1944م - ب، ص 173).

2.3.1- القيد والشهادة: إنّ جميع المدارس المسلكيّة تنتقي طلابها ممّن يحملون شهادة التعليم الابتدائيّ، وتدرّسهم مدّة أربع سنوات، فهي توازي المدارس الإكماليّة العامّة تمام الموازاة، والنّظام الذي يتضمّن تشكيلات هذه المدارس يسمّى "نظام المدارس الإكماليّة المسلكيّة" (الحصري، 1944م- ب، ص 172-173). ويُعطى في نهاية الدّروس في المدارس والصّفوف المسلكيّة شهادة أهليّة التّعليم الإكماليّ المسلكيّ (الحصري، 1944م- ب، ص 60).

3.3.1- المنهج: وذلك وفقاً للمرسوم الجمهوريّ الصّادر عام 1948م:

الجدول (7) توزيع الدّروس الأسبوعيّة في المدارس الصّناعيّة (للبنين) عام 1948م

المواد/الصّفوف	الصّف الأوّل	الصّف الثّاني	الصّف الثّالث	الصّف الرّابع
الديانة	1	1	1	1
المعلومات المدنيّة	-	-	2	-
اللّغة العربيّة	5	3	2	2
اللّغة الأجنبيّة	5	3	3	3
العلوم الرياضيّة	4	4	4	4
العلوم الطّبيعيّة	4	4	4	3
علم الصّناعة	-	2	2	2
الاجتماعيّات	2	2	-	-
المجموع	21	19	18	14
الرّسم الصّناعيّ	3	3	4	5
الرياضة البدنيّة	2	1	1	1
المجموع	5	4	5	6
أشغال المعامل	18	21	21	24
المجموع العام	44	44	44	44

(الحصري، 1949م، ص 129)

وهذه المواد هي نموذج من مواد المدارس المسلكية الصناعية (المتوسطة)، أي الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الثانوي، وتختلف مع بقية المدارس تبعاً لفرع الاختصاص وجنس المتعلمين، مع الحفاظ على المواد الأساسية التي تُدرس في كل المدارس.

ولا توجد بسورية إلا مدرسة زراعية واحدة في السلمية، رغم أن معظم ثروة البلاد إنما تأتي من الإنتاج الزراعي، ولا توجد سوى مدرستين للصناعة وواحدة للصناعات النسائية، مع أن سورية كانت مشهورة بصناعات خاصة بها منذ القدم، حتى أنها أخذت من الصناعات الحديثة قسطاً وافراً، وكذلك ينحصر الأمر في مدرستين للتجارة فقط، إضافة إلى أن كل هذه المدارس من درجة علمية واحدة (متوسطة) (الحصري، 1944م - ب، ص 172-175).

وكان في مدينة حلب عام 1933م مدرستان، هما مدرسة للصناعة ومدرسة للتجارة، ومدة الدراسة أربع سنوات تلي الدراسة الابتدائية، والتعليم في هاتين المدرستين مجاني، تشمل مدرسة الصناعة على حرف خاصة للبنين (كالتجارة والخراطة⁽³¹⁾ والحدادة)، وحرف خاصة بالبنات تشمل (الخطاطة والتطريز وغيرها)، أما مدرسة التجارة فتعنى بدراسة العلوم التجارية والمحاسبة والضرب على الآلة الحاسبة (الأحمد، 2004م، ص 123).

4.1- دور المعلمين والمعلمات الابتدائية

1.4.1- التعريف: تخريج معلمين يهيئون دروسهم في صف عالٍ في شعبة المعلمين أو المعلمات، ليكونوا بعدها معلمين في المدارس الابتدائية، والمدارس أو الشعب الإكمالية، والمدارس أو الصفوف المسلكية والعملية (الحصري، 1944م - ي، ص 61).

2.4.1- القيد والشهادة: يُقبل في الصف الابتدائي في شعبة المعلمين أو المعلمات التلاميذ الذين يحملون شهادة أهلية التعليم الإكمالي أو المسلكي، ويُعطى في نهاية دروس الصف الابتدائي في شعبة المعلمين أو المعلمات شهادة "معلم أو معلمة" يوقعها وزير المعارف (الحصري، 1944م - ب، ص 61).

(31) صناعة الخراطة: وهي تكوير الأخشاب وتركيبها في بعضها لمقاصد شتى (الغزي، 1923م، ج 1، ص 109-110).

3.4.1- المنهج: يمكن التعرف على مواد دور المعلمين وصفوفهم وفقاً للنظام المقرر بالمرسوم (182) الصادر

عام 1945م، الذي قرّر حسب المادة (2) منه أن مدة دراسته ثلاث سنوات:

الجدول (8) توزيع الدروس في دار المعلمين في القسم الخاص بحملة شهادة الكفاءة عام 1945م

المواد/الصفوف	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث
الديانة	1	1	-
اللغة العربية وآدابها	5	3	-
اللغة الفرنسية والترجمة	5	3	-
التاريخ	3	2	2
الجغرافية	2	2	-
الرياضيات	4	4	-
الفيزياء والكيمياء	3	3	2
التاريخ الطبيعي والزراعة والصحة	3	3	3
علم الاجتماع	-	-	3
علم النفس ومبادئ المنطق	-	3	2
أصول التربية والتدريس	-	3	4
تطبيقات تدريسية	-	-	8
رسم	2	2	2
أشغال يدوية	-	2	2
رياضة بدنية	2	-	-
موسيقى	2	-	-
الخط العربي	2	-	-
أعمال زراعية	0	3	6
المجموع العام	34	34	34

(الحصري، 1949م، ص 141)

جرى تعديلات كثيرة على دور المعلمين في سورية، نستطيع أن نلخصها كما يلي (الحصري، 1944م-)

ب، ص 132-133):

- الدور الأول (1919-1928م): كانت مدة الدراسة في دور المعلمين أربع سنوات.
 - الدور الثاني (1929-1935م): كانت مدة الدراسة في دور المعلمين ثلاث سنوات بعد الكفاءة.
 - الدور الثالث (1936-1938م): انقسمت دور المعلمين إلى نوعين، الأول: لمدارس الحضانة والمدارس الأولية، سمي "الصف الابتدائي في شعبة المعلمين والمعلمات"، ومدة دراسته سنة واحدة بعد البكالوريا الأولى أو شهادة التعليم الإكمالي، الثاني: للمدارس الابتدائية والمدارس أو الشعب الإكمالية والمدارس أو الصفوف المسلكية العملية، وسمي "الصف العالي من شعبة المعلمين والمعلمات".
 - الدور الرابع (1939-1944م): عُزل نظام دور المعلمين ليصبح سنتين في النوعين السابقين، والصف العالي أصبح اسمه "مدرسة المعلمين والمعلمات الابتدائية"، والصف الابتدائي أصبح "مدرسة المعلمين والمعلمات الأولية".
 - الدور الخامس (1945م-): تصبح مدة الدراسة فيه 3 سنوات ومواده المقررة في الجدول السابق.
- وفي مدينة حلب تأسست دار المعلمين أولاً في المكتب الإعدادي الملكي عام 1907م، ثم أنشأت الجهة العسكرية بأمر من القائد جمال باشا في أثناء الحرب العالمية سنة 1335هـ/1916م داراً خاصة بها وألحقت بها دار للتطبيقات الابتدائية يجري فيها الطلاب تدريبهم، وجمعت له البنائين والحجارين من الجنود، وقد احتفل في العام الأول من الافتتاح (1335هـ/1916م) بتحويل مكتب التطبيقات إلى مكتب ليلي، وفي نهاية الحرب العامة انسحبت الجنود التركية والألمانية من حلب وسادت الفوضى، فقصده الدعار ونهبوا أخشابه وحداثه، وأصبح مأوى للصوف، واستمرت هذه الحال مدة طويلة نقلت خلالها دار المعلمين والتطبيقات الابتدائية إلى المكتب السلطاني (مدرسة المأمون) (الجاسر، 2016م). أمّا مكتب دار المعلمات محلّه في جنيّة بيت الناقوس تجاه

قصر جميل باشا في محلة الجميلية، كانت أنشأتها البلدية لسكن ولاية حلب 1311هـ/1893م، وهي دار عظيمة ذات طبقات عليا وسفلى، مشتملة على حمام لطيف قد أحاط بها حديقة فسيحة، وكان ولاية حلب أيام الدولة العثمانية يسكنون فيها بأجرة زهيدة يدفعونها إلى جهة البلدية، لكن يكفونها من الإصلاحات ما تزيد نفقته على أجرتها أضعافاً مضاعفة، ثم في أيام الحرب العامة (الحرب العالمية الأولى) اشترتها جهة عسكرية من البلدية وتنازلت بها إلى المعارف فجعلتها دار معلمات باسم سليمان الحلبي، تحت إدارة المكتب السلطاني (مدرسة المأمون) (الغزي، 1923م، ج2، ص323).

5.1- مرحلة التعليم العالي

1.5.1- التعريف: هي الدرجة الأخيرة والعليا من معاهد التعليم، وهي تستهدف تعليم الشباب وتربيتهم تربيةً أرقى وأنمى من المرحلة الثانوية، وتهدف إلى الرقي بهم إلى المستوى العلمي الضروري لتكوين النخبة، أو الطبقة المديرة العليا من الأمة (الحصري، 1944م- أ، ص76-77).

2.5.1- القيد والشهادة: أنشئت كلية الهندسة في حلب عام 1946م -التابعة للجامعة السورية بدمشق-، يشترط في قبول الطالب في الكلية أن يكون حائزاً على شهادة الدراسة الثانوية (الفرع العلمي)، تمنح الجامعة السورية بناءً على طلب كلية الهندسة درجة مهندس لكل طالب درس أربع سنوات في كلية الهندسة بنجاح، وتتكون كلية الهندسة من الأقسام الآتية: 1- الهندسة الميكانيكية والكهربائية 2- العلوم الطبيعية والرياضية 3- الهندسة المدنية 4- الهندسة المعمارية (الحصري، 1949م، ص167).

3.5.1- المنهج: يمكن الاطلاع على المواد المقررة بكلية الهندسة حسب المرسوم (1310) الصادر عام 1947م، وسيورد الباحث برنامج السنة الأولى والزابعة مثلاً:

الجدول (9) دروس السنة الأولى في كلية الهندسة بحلب عام 1947م

المجموع	تمريبات	محاضرات	
6	2	4	الطبيعة
4	2	2	الكيمياء

8	2	6	العلوم الرياضية ومبادئ الميكانيك
4	2	2	الهندسة الوصفية
8	8	-	الرسم
2	-	2	اللغة الأجنبية
4	4	-	الورش
36	20	16	المجموع

(الحصري، 1949م، ص168)

الجدول (10) دروس السنة الرابعة في كلية الهندسة بحلب عام 1947م

المجموع	تمريعات	محاضرات	
2	-	2	المواصفات والكميات
6	4	2	التصميم المعماري
4	2	2	الخرسانة المسلحة
2	-	2	هندسة صحية
4	2	2	تخطيط المدن والبلديات
4	2	2	إنشاءات معدنية
2	-	2	علم الزلي
2	-	2	المساحة والفلك
2	-	2	الطرق
2	-	2	السكك الحديدية
2	-	2	الموانئ
32	10	22	المجموع

(الحصري، 1949م، ص169)

كان عدد طلاب كلية الهندسة خلال السنة الدراسية 1946/1947م (34) طالباً، (11) منهم في السنة

الأولى، و(23) في السنة الثانية، ولم يتخرج أحد منها إلا بحلول صيف 1950م (الحصري، 1949م،

ص167)، وكانت هذه الكلية هي النواة التي قامت عليها جامعة حلب فيما بعد حين صدور القانون رقم 184/

بتاريخ 1958/10/19م المتضمن إحداث جامعة ثانية في سورية-هي جامعة حلب-، وفي 1960/7/18م

صدر القرار رقم (1373) المتضمن تكوين جامعة حلب من كليتي الهندسة والزراعة، وبذلك بدأت جامعة حلب تظهر إلى حيز الوجود الفعلي، ولم يكن عدد طلاب جامعة حلب سنة إحصائها يتجاوز (295) طالباً، في حين تكونت هيئتها التعليمية من (16) عضواً (جامعة حلب، 2008م، ص 9-29-30).

بعد اطلاع الباحث على مختلف المراجع ذات الصلة، لاحظ أن نظم التربية والتعليم - من خلال ما تبين من الأنظمة والقوانين والقرارات الكثيرة - عاشت حالة من التخبّط والتشتت، فلا أثر للتنظيم والتنسيق، وكلّ خطة تلغيها خطة أخرى، وذلك نتيجة للظروف المتنوعة، والتأثيرات والعوامل المختلفة، والتوجّهات المتضاربة، فالحكومة العربية من 1918 حتى 1920م بدأت تهيئة خطة قومية عربية لافتتاح المدارس بأنواعها وتعريبها، وجعل التعليم إلزامياً ومجانياً، وغير ذلك من إعداد الحكومات الوطنية لنشر الثقافة والعلوم، وأعدت افتتاح مدرسة الطب والحقوق ودور المعلمين وعربتها، لكنها لم تُعمر طويلاً. فضلاً عن ذلك تلت الحكومة العربية مدة متقلّبة لنظم التربية والتعليم في عهد الانتداب الفرنسي، توزّعت على أربع مراحل كما يراها قوطرش (2001م) ويمكن تلخيصها بما يلي:

- المرحلة الأولى من عام 1920 حتى 1927م:

وفيها بقي قانون التعليم العثماني لعام 1913م مرعياً، وجرى تعديل فقط في إجبارية تعليم مادّة اللغة الفرنسية في كلّ مراحل التعليم، وتضمّن برنامج الصفوف الأسبوعي 34 حصّة، ومدة الحصّة (45) دقيقة، وعانت البلاد في هذه المرحلة من نقص حادّ بالمعلمين العرب، إضافة إلى مدرسي اللغة الفرنسية، وافتتاح المؤسسات التعليمية والكتب وغيرها، وكان التعليم الابتدائي ست سنوات، والثانوي ست سنوات، وامتحان الشهادات بأنواعها يشتمل على اختبارات شفهيّة وكتابيّة، ولم يكن التعليم إلزامياً، وكان شبه مجاني (ص 61-62-63-64).

- المرحلة الثانية من عام 1927 حتى 1936م:

تمثّلت بتوجيه سلطات الانتداب توجيهاً مباشراً عبر المستشار الفرنسي للمفوضيّة العليا في دائرة المعارف العامّة، الذي غيّر البرامج وعدّلها من جديد حسب الحاجات المطلوبة، ليكون بذلك نظام التعليم السوريّ نسخة عن النظام الفرنسي، فأدخل نظام امتحان شهادة البكالوريا من قسمين، أولى وثانية، فأصبحت الدراسة الثانويّة 7 سنوات،

وكذلك عدل نظام دور المعلمين لتشمل الدراسة (3) سنوات، ومن أبرز ما حدث خلال هذه المرحلة إصدار القانون الشهير في (6) تموز عام 1933م الذي ثبت الأنظمة والدرجات في التعليم العام (ص 65-67).

- المرحلة الثالثة من عام 1936 حتى 1943م:

جرى خلالها تشكيل حكومة وطنية، فقام وزير المعارف الدكتور عبد الرحمن الكيالي بنشر التعليم الابتدائي ونشر المعارف، وافتتاح (200) مدرسة، وتعيين أكثر من (300) معلم، ولكن الأحداث السياسية تغيرت، واستعادت فرنسا الانتداب بأسلوب الحكم المباشر، فبقي نظام التعليم مجمداً كما كان في المرحلة السابقة، ولم تحدث تغييرات مهمة (ص 117-118).

- المرحلة الرابعة من عام 1943 حتى 1946م:

تتميز هذه المرحلة بتطور ملحوظ، ففي عام 1943م أعلن رئيس دولة فرنسا الحرة "ديغول" استقلال سورية، وانتخب السوريون برلمانهم، فاستدعت الحكومة السورية ساطع الحصري ليقوم ببناء جهاز تربوي، فقدم عام 1944م ستة عشر تقريراً، تضمنت إلغاء اللغة الفرنسية في التعليم الابتدائي، وجعل الإنكليزية أو الفرنسية اختيارية في المرحلة الثانوية، وإلغاء نظام الشهادتين في البكالوريا، تلا ذلك حوادث دامية بين الجيوش الفرنسية المنتشرة في البلاد والحكومة السورية المستقلة، التي تبنت مقترحات الحصري، ولم يكن هذا المسبب الوحيد للنزاع (ص 119).

6.1- أنموذج عن مؤسسات التعليم الرسمية (الحكومية) في مدينة حلب

- المكتب⁽³²⁾ الإعدادي الملكي (1892م) / المكتب السلطاني⁽³³⁾ (1912م) / تجهيز حلب⁽³⁴⁾ (1920م) / التجهيز الأولى (1932م) / ثانوية المأمون (1947م)

(32) المكتب: لما أنشأت الدولة العثمانية المدارس على النهج الحديث سميت المدرسة: مكتب (الأسدي، 2009م، ص 2468). كانت المدارس التي تدرس العلوم الشرعية فقط تسمى مدرسة، أما المدارس التي تدرس العلوم المدنية وليست لها صبغة دينية فتسمى مكاتب (السيد، 2015م، ص 164).

(33) المرحلة الثانوية كانت تسمى السلطانية (السيد، 2015م، ص 164).

(34) التجهيز: تعبير حديث للمدرسة الثانوية بعد الإعدادية (الأسدي، 2009م، ص 613).

يقع في حيّ الجميلية، وهو المكتب الإعدادي الذي أُسس فيها سنة 1310هـ/1892م وقد صُرف على هذا المكتب نحو ثلاثين ألف ليرة عثمانية (الطباخ، 1988م، ج3، ص386)، وهو مكتب عظيم لا يضاهيه في البلاد العثمانية -غير استانبول- مكتب بسعته، وكثرة غرفه، وحسن هندامه وانتظامه، وإدارة هذا المكتب، ومكتب دار المعلمين والمعلمات واحدة، طلابه نهاريون وليليون. والمكتب مأجور، والتلاميذ يؤخذ منهم مبلغ معلوم، والفقير منهم يُقبل مجاناً، وهو يُقبل طلبة الملل الثلاث غير أنّ المسلمين فيه أكثر من غيرهم، وهو معدود من المكاتب الثانوية التجهيزية، فالعلوم التي تُقرأ فيه هي العلوم التي تُقرأ في تلك المكاتب، وهو مكتب ناجح منظم الأحوال (الغزي، 1923م، ج2، ص317-318)، لقد كانت المدرسة الثانوية الأولى بحلب، وهو فيما نعرف ثالث ثلاثة من مدارس بنيت في عهد السلطان عبد الحميد على هذا الطراز، في أزمير والقدس وحلب، وقد حافظ البناء على شكله الأصلي المبني على شكل (E) اللاتيني، تحيط به باحات وحدائق وملاعب حتى سنة 1932م، حين ضاق بطلّابه، فأضيف إليه ملحق مبني على الطريقة الأوروبية، لا علاقة له بالبناء الأصلي في الطراز (جحا، 1988م، ص85)، وكان البناء يضمّ مرسماً ومطعماً ومسجداً ومهاجع للطلّاب الداخليين، ومكتبة ومخبر للفيزياء والكيمياء، وكان يؤمّه الطّلاب من كلّ المحافظات السورية، والأساتذة الذين كانوا يدرسون فيها معظمهم أوفدوا من قبل الدولة، وعلى الأغلب إلى فرنسا، وأصبحوا فيما بعد أساتذة جامعيين لأنّهم كانوا يحملون درجة "الدكتوراة"، وممن درّسوا فيها: كالعلوم الدينية التي كان يدرّسها الشيخ جميل عقّاد وعبد الوهاب سكر وكلاهما درّس في الأزهر، ومادّة الرّسم التي كان يدرّسها الأستاذ وهبي الحريري وغالب سالم وكلاهما خريج كلّية الفنون الجميلة في إيطاليا، ومادّة الموسيقى التي كان يدرّسها مجدي العقيلي وهو متخرّج من المعهد الموسيقي العالي في روما (الكاتب، 2006م، ص108-109)، وفي عام 1936/1937م كان يدرّس مادّة الرياضيات الأستاذ محمد عالم و عبد اللطيف الضّاشوالي، واللّغة الفرنسيّة كميل عرقتنجي وفخري الكيلاني، واللّغة الإنكليزيّة جورج حداد - وضُمّت إلى المنهاج في العام الدراسي 1938/1939م-، ومادّة الرياضة الأستاذ محمود البحرة وكان بطلاً في كمال الأجسام وألعاب الجمباز (جسومة، 2006م، ص118-120) وكان يصدر عن الثانوية مجلّة طلابيّة يحزّرونها بمساعدة أساتذتهم، كان يطلق عليها اسم "صوت الطّالب"، ثمّ تحوّل إلى "صوت

المأمون"، وأخيراً "صوت الشباب"، وكانت المدرسة تقيم رحلات إلى بعض البلدان العربية؛ لزيارة آثارها ومواقعها التراثية ومدارسها وجامعاتها، وقد عُدت ثانوية المأمون من الآثار التي وثّقت رسمياً في منظمة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة بصفتها مبنى أثرياً يجب المحافظة عليه (المسوكر، 2006م، ص95). أنشئت مكتبتها عام 1915م وتضم (2000) كتاب باللغة العربية، (1000) كتاب باللغة الفرنسية، (100) كتاب بالإنكليزية، وقاموس روسي- عربي، والكتب الموجودة تبحث في الأدب والتراث والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات (معمار، 1968م، ص199). وكان طلابها يرتدون زياً موحداً (طقم وطربوش وحلاقة الشعر على الموس)، ويضم المراحل الآتية: الابتدائي، والإعدادي، والثانوي، ودار المعلمين (عموس، 1968م، ص228). ونذكر من تخرج منها على سبيل المثال لا الحصر: الوزير سعد الله الجابري (1892-1947م)، والرئيس سامي الحناوي (1898-1950م)، المحامي أسعد الكوراني (1907-1995م)، الشاعر عمر أبو ريشة (1908-1990م)، الفنان التشكيلي العالمي يوسف عقيل (1953- م)، الزعيم إبراهيم هنانو (1869-1935م)، العميد عادل ميري (1921-2012م) (الكواكبي، 2009م، ص100-101-102-103).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كانت هذه المدرسة أيضاً عام 1938م المركز الوحيد لفحص الشهادة الابتدائية، الذي يأتيه المئات من الأطفال من أقضية حلب العشرة (غلوّطي، 1968م، ص80).

بعد اطلاع الباحث على المصادر ذات الصلة، ربّما يستطيع القول: إنّ هذه المدرسة رفدت جوانب التعليم بمختلف الأنشطة الثقافية والرياضية والموسيقية والمسرحية، ويمكن أن نعدّ الكادر القائم عليها كادراً قومياً أيضاً، فقد انتدبت الثانوية مدرّسين من مصر ولبنان وفلسطين، وهي من المدارس التي ربطت بين النظري والعملي في دروسها ربطاً تاماً ومتكاملاً، ووفّرت كلّ الأدوات اللوجستية لإنجاح العملية التعليمية من مخابر وقاعات وتجارب، وزيّ موحّد ينم عن الانضباط والالتزام، حتّى أنّ طلابها كانوا متربين على الشّهامة وحسن الخلق والكرامة، فكانوا يشاركون بكلّ المظاهرات الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي واستشهد منها طالبان في حي الجميلية، بل ذكر بعض طلابها أنّهم تركوا المدرسة عام 1940م للالتحاق بثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد المحتل الإنكليزي، وكان الانتساب لهذه المدرسة شرفاً رفيعاً لكلّ من الطّلاب والمدرّسين، الذين ترقّوا وانتشروا في كلّ

أنحاء سورية، وتسلموا أرفع المناصب والرتب، وما زالت المدرسة قائمة إلى يومنا هذا، وقد تحولت إلى مدرسة مماثلة لكل المدارس الثانوية الحالية، مع التأكيد والحفاظ على قيمتها التاريخية والمعنوية.

7.1 - معلومات إحصائية

ينبغي التعرف على الإحصائيات المرتبطة بأعداد المدارس والمعلمين والمتعلمين، إضافة إلى عدد كل من الذكور والإناث، وتجدر الإشارة إلى أن إحصاءات الدراسة ليست دقيقة 100%؛ لأنها لا تتضمن قيماً مؤكدة، كغياب عدد مدارس مركز مدينة حلب مثلاً، والإشارة إلى المحافظة بالمجمل، لذلك يلجأ أحياناً إلى التقدير والتقريب، ويمكن وصفها بأنها أقرب ما يمكن للدقة.

الجدول (11) أسماء المدارس الأميرية⁽³⁵⁾ في مدينة حلب 1924م

الجنس/ نوع	الابتدائية	الاستعدادية	التجهيزية
مدارس الذكور	- مدرسة العرفان - مدرسة الاستقلال - مدرسة النجاح - المدرسة الهاشمية - المدرسة العلمية - المدرسة الإنصارية - المدرسة الإرشادية	- مدرسة الفيوضات - مدرسة النجاة - مدرسة التطبيقات (السلطاني)	- المدرسة السلطانية - دار المعلمين
مدارس الإناث	- المدرسة الحسينية - المدرسة الناصرية - مدرسة الإناث في الجميلية	- مدرسة المركز - المدرسة العرفانية	- دار المعلمات

(عيتابي وعثمان، 1993م، ج3، ص47)

⁽³⁵⁾ الأميري/الأميرية: يعني أنها منسوبة إلى الحكومة (الأسدي، 2009م، ص256).

الجدول (12) إحصاء المدارس الرسمية في مدينة حلب 1924م (أوائل الانتداب)

النهائي	مدارس الإناث				مدارس الذكور				
	المجموع	التجهيزية	الاستعدادية	الابتدائية	المجموع	التجهيزية	الاستعدادية	الابتدائية	
18	6	1	2	3	12	2	3	7	عدد المدارس
104	36	11	15	10	68	20	21	27	عدد المعلمين
2108	581	36	320	225	1527	136	666	725	عدد المتعلمين

(عينتابي وعثمان، 1993م، ج3، ص49)

نلاحظ من خلال الجدول السابق: تبين أن عدد المدارس الابتدائية عام 1924م (10) مدارس، وعدد

المعلمين (37)، وعدد المتعلمين (950). وعدد المدارس الاستعدادية (الحلقة الأولى من الثانوية/ المتوسطة)

(5) مدارس، وعدد المعلمين (36)، وعدد المتعلمين (986). وعدد المدارس التجهيزية (الثانوية) (3) مدارس،

وعدد المعلمين (31) وعدد متعلميها (172). والمجموع النهائي: (18) مدرسة رسمية بمراحلها المختلفة،

ومعلميها (104)، ومتعلميها (2108).

الجدول (13) إحصاء المدارس الرسمية في مدينة حلب 1945/1944م (أواخر الانتداب)

مدارس الإناث				مدارس الذكور					
النهائي	المجموع	الثانوية		الابتدائية	المجموع	الثانوية		الابتدائية	
		متوسطة	تامة			متوسطة	تامة		
29	7	1	–	6	22	1	1	20	عدد المدارس
لم يكتمل		غير مذكور		100		غير مذكور		136	عدد المعلمين
12076	4369	454		3915	7628	1121		6577	عدد المتعلمين

(الحصري، 1946م، ص38-39-50-51)

نستنتج من خلال ما سبق أن خُمس مجموع مدارس محافظة حلب الابتدائية -البالغ (127) مدرسة- تقع في مركزها (أي 20%) فيصبح العدد (26) مدرسة تقريباً في مركز محافظة حلب، وبحسب قانون النسبة المئوية، يكون للذكور (19.2%) (20) مدرسة، وللإناث (6.2%) (6) مدرسة، أما عدد المعلمين (136) والمعلمات (100) والمتعلمين (6577)، والمتعلمات (3915). إضافة إلى أن عدد المدارس الثانوية الرسمية ذات الحلقة الثامنة واحدة للذكور، وواحدة للإناث، في حين تشمل الحلقة الثانوية المتوسطة على مدرسة واحدة للذكور، ومجموع الشعب بحلب 42، ولم يذكر الحصري عدد المعلمين.

يمكن أن نلاحظ عبر ربع قرن: عدد المدارس الابتدائية كان (18) وصار (26)، في حين أن عدد المتعلمين كان (950) وصار (10492)، أي أن أعداد المتعلمين تضاعفت بنسبة (11) ضعفاً، ولم تتضاعف أعداد المدارس إلا بنسبة (30.7%) ولم يختلف الأمر كثيراً بالنسبة للمدارس الثانوية، فلم تزد أبدأ- ثلاث مدارس- رغم ازدياد عدد طلاب الثانوي بنسبة (26.4%)، فقد كانوا (1158) متعلماً وصاروا (1575). بقي كذلك الأمر بالنسبة لمدارس التعليم المسلكي (المهني) من درجة علمية واحدة (متوسطة)، واشتملت على مدرستين فقط للصناعة والتجارة، ومدة الدراسة فيهما أربع سنوات، وكان عدد متعلمي مدرسة الصناعة (151) متعلماً، ومدرسة التجارة (69) متعلماً خلال العام 1945/1944م، ودور المعلمين والمعلمات ما زالت على حالها ملحقة بمدارس التجهيز، وكان عدد طلاب دار المعلمين (37) وعدد طالبات دار المعلمات (42) خلال العام 1945/1944م، (الحصري، 1946م، ص 61-63)، وظلت حلب لا تعرف التعليم العالي حتى خروج الفرنسيين، فقد أنشئت كلية الهندسة في 1946/10/19م فرعاً للجامعة السورية بدمشق. ويمكن عزو قلة توسع التعليم الرسمي (الحكومي) حسب الشهابي (1957م) لسياسة فرنسا التعليمية بالميزانية العامة لوزارة المعارف، التي حجمتها وأبقتها صغيرة (ص 183).

2- التعليم الأجنبي

مقدمة

عمد الباحث إلى عرض نظام التعليم الأجنبي بعد الرسمي في نفس الفصل، لأنّ نظام التعليم الرسمي ما هو إلا نسخة طبق الأصل لتشكيلات المدارس الفرنسية، ويجدر هنا الإشارة إلى أنّ لفرنسا الأولوية على سائر المدارس الأجنبية، لأنها الدولة المنتدبة، لذلك سنعرض مدارس البعثة العلمانية الفرنسية "اللايك" (Laique) أنموذجاً عن هذه الفئة من المدارس، فقد افتتحت فرنسا مدرستين من هذا النوع في حلب ودمشق⁽³⁶⁾:

1.2- التعريف: بحسب قانون المعارف الصادر عام 1944م، المدارس الأجنبية: "هي التي تأسّس وتدار من قبل الأفراد أو الجمعيات الأجنبية (الحصري، 1949م، ص145).

2.2- القيد والمراحل والشهادة والموازنة: كما في مدارس التعليم الرسمي تشتمل مدارس "اللايك" على كلّ مراحل التعليم (رياض الأطفال، والابتدائية، والثانوية)، وهي تقبل أبناء الملل الثلاث، وتأخذ أجرة معلومة، إضافة إلى ذلك كانت تتكّف البعثة العلمانية بقبول مجاني مستمر لعدد محدّد كممنحة دراسية تقدّمها للحكومة السورية (قوطرش، 2001م، ص126-127). فضلاً عن ذلك فإنّ المفوضية الفرنسية العليا تدفع مبالغاً من موازنة الحكومة الفرنسية والمفوضية للمدارس الفرنسية والإرساليات الدينية، وكانت توفد كلّ عام لجاناً لتمتحن المدارس الفرنسية وغير الفرنسية، لمنحهم شهادات التدريس الابتدائي الفرنسي، وشهادات البكالوريا الفرنسية (الشهابي، 1957م، ص184).

3.2- المنهج: كلّ برامج المدرسة باللغة الفرنسية، وهناك جدول خاص للمواد التعليمية بالعربية، ويهيأ المتعلّمون لجميع الامتحانات الفرنسية والسورية (قوطرش، 2001م، ص127).

(36) مدرسة اللايك في دمشق تُسمّى اليوم "معهد الحرية"، وقد أصبحت مدرسة سورية وطنية، تشرف عليها الدولة (قوطرش، 2001م، ص133).

4.2- أنموذج عن مؤسسات التعليم الأجنبي في مدينة حلب

- مدرسة اللايك (العلمانية) 1922م/المعهد الفرنسي العربي حوالي 1947م/المعهد الصناعي حوالي 1967م

أنشئت بادئ الأمر في حي باب النيرب عام 1922م على طراز المدارس الإسلامية⁽³⁷⁾، التي لم تقاوم مناوشات سكان الحي لأنها مدرسة فرنسية علمانية، وفيها إناث، فأُخليت المدرسة وانتقل مقرها، وحلت مكانها مدرسة "أنموذج الفيوضات"، ثم أمر بافتتاح المدرسة العلمانية "Laique" سكرتير منظمة التعليم العلماني في سورية "بينار" لأبناء جميع الأديان والطوائف وذلك في حي الجميلية (الكواكبي، 2009م، ص 33-118-119). ويتضمن هذا النوع من المؤسسات قسماً داخلياً لإقامة المتعلمين، فضلاً عن ذلك تمتلك تجهيزات كاملة وواسعة، ففيها مطبخ، وقاعة للطعام، وحدائق وباحات، ومخبر للعلوم الطبيعية، وقاعة للجغرافيا، ومكتبة، وقاعات للاحتفالات والمسرح والحفلات والمعارض، وتجهيزات رياضية لمختلف الألعاب (قوطرش، 2001م، ص 126-128-130)، صممت المدرسة لتكون معهداً نموذجياً تعليمياً مختلطاً، وكان هنالك مدير فرنسي، ومدير سوري للقسم العربي، وقد أوفد من فرنسا أشهر المدرسين والمدرسات الفرنسيين، كما تعاقدت الإدارة مع أشهر الأساتذة السوريين أمثال العلامة خير الدين الأسدي، وخليل هنداوي، وسليمان العيسى، وعبد الله يوركي حلاق، ومصطفى عللوزي، وأشهر خطاط آنذاك المولوي لتعليم فنون الخط العربي وطرقه، وكانت تزور المدرسة وفود فرنسية لاختبار مستويات ذكاء الطلاب (محادثة هاتفية⁽³⁸⁾، 2022، كانون الثاني، 1)، وقد خرّجت المدرسة الكثير من عمالقة حلب أمثال المهندس المعماري مصطفى حكمت اليازجي (1913-1998م)،

(37) حاول الفرنسيون استمالة الأحياء الشعبية والمحافظة بافتتاح بعض المنشآت التعليمية والطبية والطبيعية... الخ، لكنهم لم يفلحوا ونقلوا المدرسة لحي آخر، ومما يجدر الإشارة إليه أن مئذنة هذه المدرسة التي عمروها على الطراز الإسلامي صمّمها ليس فيها درج ولا باب، وقد اصطنعوها رمزاً أمام أعين سكان المنطقة لا أكثر (السيد، 2014م).

(38) هذه المعلومات من حوار أجراه الباحث مع "باسيل مغربية" طالب مدرسة اللايك في خمسينيات القرن الماضي، بعد تعليقه على إحدى المنشورات ذات الصلة

<https://www.facebook.com/groups/42449822148/permalink/10154827284862149/>

والدكتور الأديب طه إسحاق كيالي (1919-1997م) ، والفنان المخرج والممثل سليم قطاية (1924-1963م)، وغيرهم الكثير⁽³⁹⁾.

استمرت الأمور على ما هي عليها في هذا النمط من المدارس (الأجنبية) حتى عام 1944م حين صدر قانون المعارف العام، ومنحت المادة (42) وزارة المعارف السورية حق مراقبة المدارس والمعاهد التعليمية الأهلية والأجنبية من جميع الوجوه، والمادة (45) فرضت تدريس اللغة العربية وتاريخ وجغرافية البلاد العربية في جميع المدارس الأهلية والأجنبية {بعد أن احتل تدريس تاريخ وجغرافيا فرنسا مكانة كبيرة في المنهاج السابق}، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل نصت المادة (46) على: "إن الامتحانات العامة للدراسات الابتدائية والمتوسطة والإعدادية تشمل جميع المدارس رسمية كانت أو خاصة، فلا تُعدّ الشهادات التي تعطى من قبل المدارس الخاصة عن إتمام الدراسة فيها، ما لم يشترك طلابها في الامتحانات العامة التي تجريها وزارة المعارف وينجحوا فيها" (الحصري، 1949، ص 145-146). فبسطت وزارة المعارف السورية نفوذها على كامل البلاد، نتيجة لذلك استاءت فرنسا من تصرفات الحكومة السورية، ثم طلبت ضمان مصالحها الثقافية والاقتصادية والاستراتيجية، ولما رفضت الحكومة والمجلس النيابي المطالب، كان الرد الفرنسي في أيار 1945م، فازدادت حدة المواجهات بين الاحتلال الفرنسي والحكومة السورية، وأولها أن أغلقت المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات في أيار عام 1945م، ثم ما لبثت أن افتتحت مرة أخرى بعد الجلاء، ونتيجة لذلك تحولت مدرسة "اللايك" إلى "المعهد الفرنسي العربي" في أواخر الأربعينيات، وكلّ هذه الأمور وغيرها جاءت نتيجة مرور سورية والأمة العربية منذ الحرب العالمية الأولى بأحداثٍ جسام، منها تقسيم وحدة بلاد الشام إلى أربع دول باتفاقية سايكس بيكو 1916م برعاية فرنسا وإنكلترا، سلخ لواء إسكندرون عام 1941م وتقديمه من قبل فرنسا إلى تركيا، احتلال فلسطين 1948م من قبل الكيان الصهيوني مدعوماً من الدول الغربية، والعدوان الثلاثي على مصر 1956م (فرنسا - إنكلترا - الكيان الصهيوني) بسبب تأميم قناة السويس، ونكسة حزيران 1967م باحتلال الجولان والقنيطرة وشبه جزيرة سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة، ممّا جعل هذه المدارس ومدارس الإرساليات عرضة للهجوم

(39) انظر ترجمات المعلمين والطلاب في كتاب مئة أوائل من حلب.

والاتهامات، لأنها تتبع الدول الممولة لها، إضافة إلى تعليمها لغات الغرب وثقافتهم، وإثر العدوان الثلاثي على مصر (فرنسا - إنكلترا - الكيان الصهيوني) 1956م، أحرق لقيف من الطلاب -منهم من ثانوية "المأمون" و"هنانو" و"الخسروية" وغيرها - مدرسة "اللايك" و"الفرنسيسكان" و"جان دارك" و"المركز الثقافي الفرنسي" - الذي أصبح بعد ذلك المركز الثقافي العربي - في حلب في يوم عطلة وهو يوم الأحد في شهر تشرين الثاني، وقد رأوا أنهم يقومون بعمل وطني، ووصلت الأمور إلى نهايتها بعد نكسة حزيران، مما أدى لحدوث أزمة المدارس الخاصة عام 1967م التي استولت فيها الدولة على بعض المدارس الأجنبية والكاثوليكية وأغلقت بعضها الآخر، وبالتالي تحول "المعهد العربي الفرنسي" إلى "المعهد الصناعي الثاني" في أواخر الستينيات وبقي على ذلك حتى يومنا هذا، وانتهت بذلك حقبة مدرسة تجمعت فيها مختلف فئات المجتمع الحلبّي، وكانت ذات أقباط مرتفعة، وتشتمل على نظام تعليمي عصري ومتطور ومجهز بأفضل الوسائل والإمكانيات في العلوم واللغات والمناهج والأساليب وغيرها، جعلها تتفوق وترتقي على أنواع المدارس الأخرى.

5.2 - معلومات إحصائية

الجدول (14) إحصاء مدارس التعليم الأجنبي في محافظة حلب عام 1945/1944م

مدارس الإناث				مدارس الذكور				
المجموع	الثانوية		الابتدائية	المجموع	الثانوية		الابتدائية	
	تامة	متوسطة			تامة	متوسطة		
11	3	-	8	8	3	-	5	عدد المدارس
3142	516		2626	4149	1408		2741	عدد المتعلمين

مدارس مختلطة				
المجموع	الثانوية		الابتدائية	
	تامة	متوسطة		
11	1	1	9	عدد المدارس

(الحصري، 1946م، ص 45-5)

خاتمة

ومن جانب آخر يظهر أنّ عدد المدارس الأجنبية في مدينة حلب عام 1945م بلغ (22) مدرسة ابتدائية، و(8) ثانوية ومتوسطة، ومدرستان مسلكيتان، ومجموعها (32)، وعدد متعلمي المدارس الابتدائية (5367)، وعدد متعلمي المدارس المتوسطة والثانوية (1924)، وعدد متعلمي المدرستين المسلكيتين (139)، ومجموع هؤلاء المتعلمين (7430). وعدد المدارس الرسمية بلغ (26) مدرسة ابتدائية و(3) ثانوية و(2) مسلكية، ومجموعها (31) مدرسة، وعدد متعلمي المدارس الابتدائية (10492)، وعدد متعلمي المدارس المتوسطة والثانوية (1575)، وعدد متعلمي المدرستين المسلكيتين (220)، ومجموع هؤلاء المتعلمين (12287).

إنّ هذا التقارب الكبير بين أعداد المدارس الأجنبية (32) والرسمية (31) يوضّح مدى إهمال المدارس الرسمية، والسعي لغلبتها بالاستعمار والغزو الثقافي عبر المدارس الأجنبية، وتوجيه مدينة حلب خاصة وسورية عامة نحو وجهة وغايات نفعية محدّدة، وسلخها من لغتها القومية وعاداتها وتقاليدها، وبناء مجتمع وجيل جديد يغيّر وجه المنطقة من كلّ الجوانب، كما حدث -مثلاً- في بلدان المغرب العربي لاحقاً، أو تأثر لبنان ومغالاته الشديدين نحو اللغات والثقافة الغربية، والفرنسية بالتحديد. وحول هذه القضية يقول الشهابي (1957م) إنّ عدد المدارس الفرنسية تضاعف في ظلّ الانتداب، ولم يؤسّس إلّا عدد ضئيل من المدارس الحكومية في ربع قرن، فسار سيراً وثيداً (ص183-186).

الفصل الرَّابِع

نظام التّعليم الأهلي (الخاص) ودُور العبادة في مدينة حلب ما بين عامي 1918-1946م

مقدمة

1- التّعليم الأهلي (الخاص) 2- نظام التّعليم في دور العبادة

1.1- التّعريف 1.2- دور العبادة الإسلاميّة

2.1- القيد والشّهادة 1.1.2- المسجد والجامع "الجامع الأمويّ الكبير بحلب"

3.1- المنهج والامتحان 2.1.2- النّكاي والزّوايا والخانقاهات "الرّأوية الهالائيّة"

4.1- فئات مدارس التّعليم الأهلي (الخاص) 2.2- دور العبادة المسيحيّة

1.4.1- المدارس الإسلاميّة الشرعيّة (الوقفيّة) 1.2.2- الكنائس والأديار "كنيسة اللاتين"

1.1.4.1- مدارس المستوى الأوّل "المدرسة الخسروية" 3.2- دور العبادة اليهوديّة

2.1.4.1- مدارس المستوى الثّاني "المدرسة الصّلاحية/البهائيّة" 1.3.2- الكُنُس "الكنيسة الصّفراء"

3.1.4.1- مدارس المستوى الثّالث "المدرسة العثمانيّة/الرّضائيّة" خاتمة

4.1.4.1- المدارس المتخصّصة "المدرسة الأحمدية"

2.4.1- المدارس الإسلاميّة الخاصّة (المأجورة) "المدرسة الفاروقية"

3.4.1- المدارس المسيحيّة الخاصّة (التّبشيريّة)

1.3.4.1- "مدرسة التيرسانت"

2.3.4.1- "مدرسة الفرانسيסקان"

3.3.4.1- "مدرسة الأميركيان"

4.3.4.1- "مدرسة الفيرير"

4.4.1- المدارس اليهوديّة الخاصّة

1.4.4.1- "مدرسة (تلمود تورا)"

2.4.4.1- "مدرسة السّموعل"

3.4.4.1- "مدرسة الإليانس"

5.4.1- المدارس المهنيّة الأهليّة (الخاصّة)

6.4.1- الكتاتيب

7.4.1- معلومات إحصائيّة

مقدمة

يشتمل هذا النوع من التعليم على قسمين، الأول: هي المدارس التي أنشأتها كل طائفة من الطوائف بغرض تعليم أبنائها خاصة وأبناء المجتمع عامة، والثاني: هي دور العبادة التي تقوم إلى جانب وظيفتها الأساسية بوظيفة تعليمية، إذ حاول التعليم الأهلي (الخاص) مساندة منظومة التربية والتعليم، وسدّ النقص الذي عانى منه التعليم الرسمي (الحكومي)، وسعى لإدارة شؤونه وفق الحاجة.

1- التعليم الأهلي (الخاص)

1.1- التعريف

بحسب قانون المعارف الصادر عام 1944م، المدارس الأهلية: "هي التي تؤسس وتدار من قبل الأفراد أو الجمعيات الوطنية (الحصري، 1949م، ص 145).

2.1- القيد والشهادة

إنّ المدارس الإسلامية الشرعية (الوقفية) تتبع وزارة الأوقاف، وهي لا تحدّد سناً أو مدة محدّدة للانتساب أو الانتهاء من التّعلّم، وتشتمل أيضاً على نظام المجاورة (الإقامة الداخلية)، وشروط الانتساب تعود لواقف المدرسة، فتختلف من مدرسة لأخرى، أمّا شهاداتها فغير معترف بها. أمّا المدارس الإسلامية الخاصة (المأجورة) فتتبع وزارة المعارف، وتخضع لقيودها وبرامجها وصفوفها في الانتساب والانتهاء، ويتقدّم متعلّموها إلى المدارس الرسمية لنيل الشهادات، وبالنسبة للمدارس المسيحية الخاصة (التبشيرية)، والمدارس اليهودية الخاصة تتشابه نظمها وتشكيلاتها مع المدارس الأجنبية، وتقوم بمنح شهادات خاصة بها، إضافة إلى الشهادات الفرنسية، وأغلب المدارس الأهلية المهنية ملحقة بمدارس التعليم العام، وبعضها مستقل، وتعدّ مقراً للأيتام أيضاً حيث يتلقّون فيها التربية والتعليم، وأخيراً الكتاتيب هي مراكز للحضانة والرعاية والتربية، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، تقبل المتعلّمين بدون قيد أو شرط، وأغلب معلّميها غير مؤهلين تربوياً وتعليمياً، فنظامها التعليمي غير موحّد، ويختلف من كُتّاب إلى آخر، ولا تمنح شهادات فعلية.

3.1- المنهج والامتحان

إنّ المدارس الإسلامية الشرعية (الوقفية) تشتمل على العلوم الدينية دون الكونية، وليس هناك شكل ونظام محدّد للامتحان فقد يُجاز المتعلّم عن شيخه بعلم واحد دون غيره، أو يجيزه عن كلّ علومه، وذلك بشهادة شفهيّة أو خطيّة موقّعة من شيخه وإدارة المدرسة والأوقاف ومفتي المدينة، ويغلب على هذا النوع من الامتحانات الصبغة الشفهيّة، أمّا المدارس الإسلامية الخاصة (المأجورة) فتتضمّن العلوم الدينية والنقلية والعقلية واللغات، وتُعطي الشهادات في المدارس الرّسميّة بامتحانات شفهيّة وكتابيّة، وأمّا المدارس المسيحية الخاصة (التبشيرية)، والمدارس اليهودية الخاصة فتشتمل أيضاً على مختلف العلوم النقلية والعقلية واللغات المختلفة، ولديها امتحانات خاصّة بها إضافة إلى الامتحانات الفرنسيّة، وأمّا المدارس الأهلية المهنيّة فيغلب على مناهجها الطابع العملي، إضافة إلى مواد التعليم العام، وامتحاناتها مرتبطة بالمدرسة الملحقة بها، والكتاتيب لا تتضمّن امتحانات فعليّة.

4.1- فئات مدارس التعليم الأهلي (الخاص)

للإحاطة بوضع نظام التعليم لدى مؤسسات التعليم الأهلي (الخاص) ينبغي التعرف على بعض مؤسساتها خلال مدة البحث، وبيان نوعها، وزمن تأسيس كلّ منها، ومموليها، وكوادرها ومتعلّميها، وأمكنتها، وعددها، ونوعيتها، بسبب اختلاف كلّ مؤسسة عن أخرى، حتّى ضمن الفئة الواحدة، لذلك سيعرض الباحث أكثر من أنموذج ما استطاع ذلك، عندها يمكن الوقوف على ما قدمته، ومقارنتها بنظم التعليم الرّسميّة والأجنبيّة، وهذه المدارس تتّبع طوائف وعناصر المجتمع الحلبّي، ولقد صنّفها الباحث حسب الآتي:

1.4.1- المدارس الإسلامية الشرعية (الوقفية)⁽⁴¹⁾

يمكن تعريفها بأنّها: تلك المدارس التي تلي الكتاب، وتكون بمنزلة التعليم الديني الاختصاصي، وتتضمّن عدّة مستويات تعليميّة، تنال تمويلها من عقارات واقف المدرسة، وهو الذي يحدّد نوعيّة المجاورين (المتعلّمين) والمدرّسين والمناهج التعليميّة، والرواتب، والعاملين عليها، ويمنحهم راتباً معلوماً، ويمنح المتعلّمين أيضاً الطّعام

(41) وقفيّة: يعني المدارس التي تنال ميزانيتها من أوقاف المسلمين. والأوقاف: هي ما يحبسها المحسن ويتصدّق به من أرض أو بناء أو من أملاك ونحوها، للتّفقّ به في سبيل الله (عمر، 2008، ص2484).

والشّراب والمبيت، وهم لا يغادرونها إلّا بعد التّخرّج، وكانت تتمّ عمليّة التّعليم في أغلبها على شكل حلقات، ثمّ تطوّرت لتشمل غرف صفّ مكوّنة من مقاعد وسبورة، وتخرّج هذه المدارس الفقهاء والمحدّثين والأئمة والخطباء والمفتّيين والقراء وغيرهم، ممّن يحتاجهم المسلمون لرعاية شؤون دينهم ودنياهم. ومقرّات هذه المدارس هي بمنزلة جوامع مع غرف خاصّة للمتعلمين وتجهيزات المدارس عامة، وكثيراً ما تتعرّض هذه المدارس للعديد من العوامل التي تجعلها تتوقّف عن العمل، أو تتحوّل لمسجد لإقامة الصّلوات، وقد يُندرس مقرّ المدرسة تماماً. وقد أحصت مجموعة غرفة التّجارة بحلب عام 1920م عدد المدارس الدّينيّة الشرعيّة (الوقفيّة) في حلب وبيّنت أن عددها (12) مدرسة آنذاك (عيتابي وعثمان، 1993م، ج2، ص256). ويرى الشّيخ كاتب (2006م) أنّ المدارس الشرعية في هذه المرحلة كانت تتوزّع على المستويات الآتية (ص38):

1.1.4.1- مدارس المستوى الأوّل (يقابل التّعليم فيها "المرحلة الإعداديّة" في النظام الحالي):

ويتمّ التّعليم في هذه النّوعيّة من المدارس على شكل مبسّط وتُدّرس فيها المؤلّفات العلميّة المختصرة في قواعد اللّغة العربيّة والفقه ومبادئ التّفسير، وفيها يتابع الطّالب حفظ المتون التي بدأ بحفظها في مرحلة الكُتاب، ومن أمثلة هذه المدارس: المدرسة "السّيافيّة" و"القرناصيّة" و"الخسرويّة" و"الهاشميّة" و"الرّحيميّة" (كاتب، 2006م، ص39).

- أنموذج عن مدارس هذا المستوى المدرسة الخسرويّة (1544م)/المدرسة العلميّة (1921م)/الكلّيّة

الشرعيّة (1942م)/الثّانويّة الشرعيّة (1959م)

تقع في محلة السّفاحيّة، أوصى بعمارتها "خسرو بن سنان باشا" والي حلب، وكانت عام 951هـ/1544م أوّل عمارة عظيمة تشتمل على جامع ومدرسة وتكية، بُنيت في أيام الدّولة العثمانيّة بحلب على النّسق الرّومي (الغزي، 1923م، ج2، ص116-117)، وقد وقف عليها خسرو باشا وأخوه مصطفى باشا أوقافاً هائلة تبلغ 300 عقاراً فيها الخانات والحمامات والأسواق والطّواحين والأراضي الزراعيّة وغيرها، في حلب وعينتاب ودمشق (الطباخ، 1988م، ج3، ص157)، تولّى التّدريس فيها عدد من كبار العلماء، سارت أمور المدرسة سيراً جيّداً أوّل أمرها إلى أن كانت زلزلة حلب الكبرى سنة 1237هـ/1822م فتهدّمت أكثر أوقافها، وأصبحت مأوى للفقراء،

وفي عام 1266هـ/1849م حصلت فتنة بحلب، فازدادت تخريباً وإهمالاً، وفي عام 1333هـ/1914م استولى العسكر العثمانيون عليها، وشغلوها بجنودهم وذخائرهم، وفي عام 1340هـ/1921م أعيد افتتاحها بإشراف الأستاذ يحيى الكيالي (1883-1957م) مدير الأوقاف بحلب، والشيخ محمد راغب الطّبّاخ بعد أن وضع لها نظاماً خاصاً، ومناهج جديدة، وأطلق عليها المدرسة العلميّة (كاتبي، 2006م، ص 68-69-70)، شرّط الواقف أن يكون المُدرّس حنفيّاً، ثم أصبح التّدريس لكلّ المواد الشّرعيّة من عقيدة وتفسير وحديث وفقه حنفيّ وشافعيّ وأصول فقه وأخلاق ومنطق وتاريخ ولغة عربيّة في عام 1340هـ/1921م، ثم عُدل المنهاج عام 1361هـ/1942م ليشمل أيضاً العلوم الكونيّة، من جبر وهندسة وفيزياء وكيمياء ولغة فرنسيّة أو إنكليزيّة (أسود، 2009م، ص 86)، ويشتمل النّظام الدّاخليّ للمدرسة على ستة صفوف تعليميّة، وليس هناك سن محدّد للانتساب، وينبغي أن يكون المنتسب متقناً لتلاوة القرآن الكريم وقواعد اللّغة العربيّة والفقه، وإلا يخضع لاختبار قبول، ولا يحقّ للمتعلّم الرّسوب أكثر من مرّتين في السّنة الواحدة، ولا يحقّ له الرّسوب في السّنة الأخيرة، أمّا عدد الحصص اليومي كان أربعة ثم أصبح ستة، يخضع المتعلّم لامتحانات في السّنة، منها: خطّيان نصفي ونهائي، وشفهيّاً لكلّ مادّة، يلتزم المتعلّم بارتداء الجُبّة والعمامة وإعفاء اللّحية، ويُخصّص غرف لمبيت بعض المتعلّمين، ويمنح كلّ من في المدرسة راتباً شهريّاً معلوماً حدّدته دائرة الأوقاف، ويمنح المتعلّم عند النّخْرُج شهادة يوقّعها مدرس المادّة ومدير المدرسة والأوقاف وقاضي المدينة ومفتيها، وتبقى مع ذلك غير معترف بها لدى الدّولة (بكرو، 1998م، ص 86-87-88-91).

وحال المدرسة مرّ بعد ذلك بأطوار مهمّة، وقد أطلق عليها ألقاب من مثل "أزهر حلب وسورية" لما أسهمته من إسهام مهمّ خلال مسيرتها، لتتشكّل عماد التّعليم الشّرعيّ بحلب بعد مدة البحث مع المدرسة الشّعبانيّة، وذلك سيتمّ الإشارة إليه عند نهاية هذا المبحث. وبعد عام 2010م تعرّضت المدرسة للخراب الشّديد، وهي الآن عام 2022م قد نُقل متعلّموها الإناث إلى مقرّ الثّانويّة الشّرعيّة في حيّ صلاح الدّين والعرقوب، بسبب الضّرر الكبير الّذي لحق بالمقرّ الأصليّ، وبقي الذّكور يداومون في المقرّ القديم وفي ملحق آخر أمام القلعة، وهي تشتمل الآن على مرحلتين، إعداديّة وثانويّة. ومن أشهر معلّميها خلال مدة الدّراسة: الشيخ محمد راغب الطّبّاخ وكامل

الغزي⁽⁴²⁾ وغيرهم الكثير، وقد خرّجت المئات من العلماء منذ افتتاحها حتّى الآن، نذكر منهم: الداعية الشيخ محمّد النّبهان (1900-1974م) مؤسس "المدرسة الكتاوية" الشهيرة، التي ما زالت عامرة بالعلم حتى الآن.

2.1.4.1- مدارس المستوى الثّاني (يقابل التّعليم فيها "المرحلة الثّانويّة" في النظام الحالي):

يتلقّى الطّالب فيها العلوم الشّرعيّة والعربيّة على مستوى أوسع ممّا تعلّمه في مدارس المستوى الأوّل، فالمناهج فيها أوسع، والكتب المقرّرة أجمع، ومن أمثلة هذه المدارس: المدرسة "الصّلاحيّة"/"البهائيّة"، و"السّعديّة"، و"الإسماعيليّة" (كاتبي، 2006م، ص45).

- أنموذج عن مدارس هذا المستوى "المدرسة الصّلاحيّة/البهائيّة"

تقع غربيّ خان خير بك، كانت هذه المدرسة داراً للأمير صلاح الدّين يوسف بن الأسعد الدّواتدار⁽⁴³⁾، وقفها سنة 737هـ/1336م مدرسة على المذاهب الأربعة، وشرط أن يكون القاضي الشّافعي والقاضي الحنفيّ بحلب مدرّسيها، وقد استُعملت في أيام الدّولة العثمانيّة محكمة للشّافعيّة زمنّاً طويلاً ثمّ تُركت وأشرفت على الخراب وضاعت أوقافها إلى أن عمّرها المتوليّ عليها بهاء الدّين⁽⁴⁴⁾ أفندي ابن تقي أفندي القدسي سنة 1260هـ/1844م، وأعادها مدرسة (الغزي، 1923م، ج2، ص192). ولمّا عمّرت سعى السيّد بهاء الدّين المذكور في تعيين الشّيخ صالح المرتيني مدرّساً لها، ثمّ آلت إلى حفيده الشّيخ عمر المرتيني، ووقف عليها السيّد بهاء نحو سبعين كتاباً خطيّاً، ووقفت زوجة السيّد بهاء الدّين عليها داراً في محلة الفرافرة، ولها سوى هذه الدّار أوقاف أخرى... (الطباخ، 1988م، ج2، ص335). ومن مدرّسيها أيضاً: الشّيخ محمد الرّزاز، وكان يُدرّس

(42) كامل الغزي (1853-1933م): عالم دين، مؤرّخ، لغويّ، كاتب، صحفيّ، من أعضاء المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، وُلد وتوفّي بحلب، عُيّن رئيساً للجنة الآثار بحلب، ومحرّراً لجريدة الفرات، وغير ذلك، له العديد من المؤلّفات، أشهرها: "نهر الذهب في تاريخ حلب" (الزركلي، 2002م، ج5، ص217).

(43) صلاح الدّين يوسف بن الأسعد الدّواتدار (745هـ/1344م) كان من أكمل الأمراء ذكياً فطناً، حسن الخطّ، وله نظم، كان كاتباً ثمّ صار دواتدار قبجق بحماة، ثمّ شاد الدّواوين بحلب، ثمّ حاجباً بها، ثمّ دواتدار الملك الناصر ثمّ نائباً بالإسكندريّة ثمّ أميراً بحلب، وشاد المال والوقف (الطباخ، 1988م، ج2، ص335). والدّواتدار: لقب مملوكيّ يعني كاتم السّرّ أو من يصلك خاتم بريد السّلطان (كاتبي، 2006م، ص45).

(44) بهاء الدّين أفندي القدسي (1813-1891م): أحد أعيان الشّهباء، أوّل ما تولّاه من المناصب نقابة الأشراف وذلك سنة 1256هـ/1840م حينما كان قاضياً في بلاد الرّوم إيلي، ثمّ عُيّن رئيساً لمجلس التّحقيق، وفي سنة 1284هـ/1867م صار رئيساً للبلدية، كان مقداماً حليماً كريماً سخياً، قويّ الحافظة (الطباخ، 1988م، ج7، ص413).

فيها الفقه الحنفي وعلوم الآلة (علوم اللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وآدابها)، والشَّيخ علي العالم⁽⁴⁵⁾ (كاتبي، 2006م، ص 45). وكانت المدرسة عام 2010م مقرراً لإدارة معاهد تعليم القرآن الكريم وحفظه، وما زال مقرّها إلى الآن بحالة جيّدة، ولم يتعرّض للضرر.

3.1.4.1 - مدارس المستوى الثالث (يقابل التعليم فيها "التعليم العالي" في النظام الحالي):

ويتمّ التعليم فيها على مستوى متقدّم جدّاً، يقارب التعليم الجامعيّ العالي، وتدرّس فيها المطوّلات من الكتب المتخصصة في شتّى العلوم الشرعيّة والعربيّة، كما تضمّ مناهجها المواد التي يحتاجها العلماء والباحثون المتخصّصون في البحث العلمي والمنطق، وقواعد البحث وأصول الفقه ومصطلح الحديث، وغيرها من العلوم العقلية والنقلية، ومن أمثلة هذه المدارس: المدرسة "الشَّعبانية"، و"العثمانيّة" (كاتبي، 2006م، ص 51).

- أنموذج عن مدارس هذا المستوى "المدرسة العثمانية/الرضائية"

تقع هذه المدرسة في محلة باب النصر، أنشأها (1143هـ/1730م) عثمان باشا⁽⁴⁶⁾ (الغزي، 1923م، ج2، ص157)، وهذه المدرسة لا نظير لها في البلاد السوريّة، وفي كثير من البلاد الإسلاميّة في ضخامة بنائها، وسعة أرجائها، وغزارة وقفها، فللمدرسة (18) حجة وقفية تحدّد العقارات الوقفية من بساتين وأراضي زراعية ومحلات تجارية وخانات وقاساريات⁽⁴⁷⁾ وطواحين وحمّامات في حلب وريفها، ولهذه المدرسة أكثر من (125) عقاراً (أسود، 2009م، ص98). ولعلّه كان يريدّها على مستوى أرقى جامعات العالم، لذلك ضبط في وقيّاته الكثيرة عليها نظامها المتقن، واختار للتدريس فيها أعظم العلماء، وشرط في طلابها شروطاً أهمّها التفرّغ للعلم، كما رسم لها مجموعة من الموظّفين يشرفون على حسن سير التعليم فيها، وبدراسة الوقفيات الكثيرة التي وقفها

(45) علي العالم (الكيالي) (1870-1944م): قاضي حلب ومفتيها، عالم وفقه وأديب، نشأ في حجر والده العلامة الشَّيخ محمّد العالم، تعلّم على مشايخه الفقه والحديث وعلوم اللغة العربيّة، وشيئاً من التفسير، وراح يلقي الدّروس في الجامع الأمويّ الكبير، وبعض المدارس العلميّة الشرعيّة، ثمّ تولّى قضاء مدينة حلب، وكان عضواً في مجلس الأوقاف الإسلاميّة، وله كتاب بالفتاوى (كاتبي، 2008م، ص170-171).

(46) عثمان باشا () (1747م): هو الوزير ابن عبد الرحمن بن عثمان آغا الدّوركي الأصل، الحلبيّ المولد والمنشأ، محصّل الأموال الأميريّة بحلب، ثمّ تقلّد رتبة الوزارة، وولّي سيواس ودمشق وحلب، ثم آدنة وبروسة وبغداد، وأخيراً وُلّي جدة ومشخة الحرم المكيّ حتّى توفّي هناك سنة (1160هـ/1747م) (الطباخ، 1988م، ج3، ص258-259-260).

(47) القاساريات: هي ورش صناعيّة ملحقة بالخانات تُمارس فيها الصناعات المختلفة (قجة، 2016م، ص14).

الواقف عليها نستطيع تبين نظام المدرسة ومناهجها وشيوخها وطلّابها على الشّكل الآتي (كاتبي، 2006م، ص52-53-54):

• المدرّسون ومناهج التّعليم:

- 1- مُدرّس جامع بين المعقول والمنقول 2- محدّث عالم يتقن الحديث ولوازمه.
- 3- مدرّس لقراءة التّفسير الشّريف.
- 4- معلّم للقرآن حافظ مأمون. 5- واعظ يعظ النّاس في الجامع بعد صلاة الجمعة.

• الموظّفون القائمون على شؤون المدرسة:

- 1- حافظ للكتب 3- نقطجي (مراقب دوام) 3- جابٍ للأوقاف 4- محاسب 5- المتولي على الوقف

• ومن مشاهيرها:

- علماء: العلامة الشّيخ محمود الأنطاكي مفتي حلب.
 - طلّاباً: الشّيخ محمّد الزّرقا⁽⁴⁸⁾، والشّيخ محمد نجيب سراج الدّين⁽⁴⁹⁾، والشّيخ أحمد الكردي⁽⁵⁰⁾ وغيرهم.
- ومع هذا فإنّها لم تُخرّج منذ مئة عام إلى عام 1923م من العلماء ما يبلغ عد الأصابع، وهي ككثير من المدارس العلميّة التي في حلب أصبحت منذ مدّة طويلة ملجأ للكسالى ومأوى للعجزة وذلك لإهمال

(48) محمد الزّرقا (1842-1924م): علامة عامل، وفقه أصولي متمكّن، ومحدّث محقّق، ولغويّ نحويّ مكين، ولد في حلب وانصرف أوّل حياته للتّجارة، ثمّ حُبب إليه العلم، ولازم شيوخ المدارس العلميّة الشّرعيّة، حتّى غدا من مشاهير القراء، ثمّ نشر علمه في المدارس الشّرعيّة، وتقلّد عدداً من المناصب الهامّة، رئاسة كتّاب المحكمة الشّرعيّة، أمانة الفتوى، معاون لأمانة الإفتاء العام في القسطنطينيّة لدى الدّولة العثمانيّة، قضاء مدينة حلب في عهد الحكومة العربيّة (كاتبي، 2008م، ص111-112-113).

(49) محمّد نجيب سراج الدّين (1857-1954م): علامة، محدّث، مفسّر، فقيه حنفيّ، حلبيّ المولد والوفاة، نشأ في بيت علم وصلاح، انتسب إلى المدارس الشّرعيّة وجاور فيها، كالمدرسة "القرناصيّة" و"الشّعبانيّة"، فأقن العلوم الشّرعيّة والنّحو والصّرف والبلاغة، أسند إليه التّدريس في العديد من المدارس الشّرعيّة، وكذلك كان يلقي الخطب والمحاضرات في الجامع "الأمويّ الكبير" وجامع "بانقوسا" وغيرهما، لم يترك أثراً مكتوبة (كعيد، 2008م، ص36-37-38).

(50) أحمد الكردي (1882-1953م): مفتي حلب، علامة، فقيه، أصولي، ونحوي، حلبيّ المولد والوفاة، جاور في المدرسة "العثمانيّة" وحضر الدّروس في العديد من المدارس الشّرعيّة الأخرى، فأقن العلوم الشّرعيّة واللّغة العربيّة والمنطق وعلم الكلام وغيره، ثمّ درّس في المدرسة "الإسماعيليّة" و"العثمانيّة" و"الخرسويّة"، تسلم العديد من المناصب، منها: "مفتي مدينة حلب" حتّى وفاته، ترك أثراً وحيداً وهي الفتاوى التي أصدرها، إذ جمعها حفيده وأصدرها في كتاب (كاتبي، 2008م، ص225-227-228-230).

متوليّها (51) أمورها وقلة تقديرهم العلم حقّ قدره، ولو وجّهت العناية إلى استثمار أراضيها الواسعة لدرّت خيراً كثيراً وغزرت مواردها، وعاد ذلك بالفائدة الكبرى على هذا المعهد العلميّ العظيم، ورجعت إليه حياته الأولى ومجده السابق (الطباخ، 1988م، ج3، ص264-265). والمدرسة كانت قبل عام 2010م عامرة بالصّلوات، وفيها دار لتعليم القرآن الكريم، وبعض الدّروس المحدّدة (كاتبي، 2006م، ص6)، ومقرّها اليوم 2022م تعرّض إلى ما تعرّض له من الخراب، لكنّه بحالة لا بأس بها.

4.1.4.1- المدارس المتخصّصة

عرّفت بعض المدارس بتخصّصها بتدريس مادّة من المواد أو بعض المواد- وذلك لتطبيق شروط الواقف- أو تخصّص مدرّسيها بفن ما دون غيره، ومن أمثلة هذه المدارس: المدرسة "الأسديّة الجوانيّة"، و"الدليويّاتية"، و"الأحمدية" (كاتبي، 2006م، ص58)

- أنموذج عن مدارس هذا المستوى "المدرسة الأحمدية"

تقع هذه المدرسة في محلّة الجلوم الكبرى، أنشأ هذه المدرسة 1165هـ/1751م أحمد أفندي (52) ابن طه أفندي ابن مصطفى أفندي (الغزي، 1923م، ج2، ص52-53)، وتعدّ هذه المدرسة متخصّصة بعلوم الآلة والمنطق وأصول البحث إضافة إلى العلوم الشّرعيّة (كاتبي، 2006م، ص61)، لها أكثر من (120) عقاراً، تشتمل على دكاكين ودور وإصطبل قرب مبنى المدرسة، وقاساريات وخانات وبساتين وفرن وغيرها الكثير، وفيها مكتبة كبيرة ونادرة؛ بسبب جمع الواقف لهذه الكتب من القدس وبغداد وحلب، ونقلت مكتبتها إلى مجمّع المكتبات الوقفيّة بالمدرسة الشّرفية قرب الجامع الأمويّ بحلب عام 1949م، ثمّ نُقلت مخطوطات هذا المجمّع إلى مكتبة

(51) خلال فترة الانتداب الفرنسيّ، تعرّضت ملكيّات وقف العثمانيّة لانتهاكات واعتداءات بتواطؤ من القضاة الفرنسيّين، وقد تولّى الدفاع عن عقارات الوقف المحامي فتح الله صقّال الذي أصدر كتاباً هاماً في وصف الاعتداءات العقاريّة على عقارات الوقف والدّعاوى القانونيّة التي جرت بهذا الخصوص، انظر كتاب "قضايا وقف العثمانيّة أمام المحاكم السوريّة المختلطة 1939م"

<https://www.dig->

[https://www.dig-
=doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=MTA0&lan=YXI](https://www.dig-)

(52) أحمد أفندي بن طه زاده المشهور بالجلبي (1698-1773م): أخذ في التلقّي على علماء عصره إلى أن فُضّل ونُبّل، وكانت نفسه منصرفة إلى اكتساب المعالي والجاه والثروة، تولّى نقابة الأشراف مرتين، وكذلك تولّى قضاء القدس وبغداد، وعاد أخيراً إلى حلب وشرع ببناء مدرسته (الطباخ، 1988م، ج7، ص69-70).

الأسد الوطنية بدمشق عام 1986م (أسود، 2009م، ص115). وقد شرط في وقفيتها (بكر، 1998م، ص40-41-42):

1- أن يجاور فيها عشرة طلاب من أكراد الموصل عزاباً ملتزمين بالشرع، يتأهلون فيها ثم يعودون إلى بلادهم لنشر العلم فيها

2- مدرّس عالم بالمعقول والمنقول، من صلحاء أكراد ما وراء الموصل

3- مُحَدِّث يقرأ الحديث 4- مُدرّس يقرأ الفقه الحنفي

5- قارئ يقرأ دلائل الخيرات⁽⁵³⁾ على قبر والده. 6- قراء يقرؤون القرآن 7- حافظ للكتب

إنّ أكراد تلك البلاد يأتون إلى هذه المدرسة ويتخذونها داراً للبطالة، وقلّ منهم من يشتغل بالعلم اشتغالاً يجعله في صفوف العلماء الذين يُستفاد منهم، ولم يكن في شرط الواقف مدّة مخصوصة، فإنّ أحدهم ربما جاور في هذه المدرسة ثلاثين سنة أو أكثر وليس له من الغرض سوى تناول الوظيفة (الزّاتب) (الطّباخ، 1988م، ج7، ص77). لهذا سعى الشّيخ الطّباخ عندما كان نائباً في مجلس الأوقاف الأعلى سنة 1922م، لاستصدار قرار كان قد ألغى بموجبه كون المجاورين والمدرسين من تلك المنطقة، فاسترجعت المدرسة بعض مكانتها، ومن مشاهيرها:

- علماء: الشّيخ محمّد الزّرقا، والشّيخ محمّد العالم، وغيرهما.

- طلاباً: الشّيخ محمّد راغب الطّباخ، والشّيخ أحمد الكردي، والشّيخ مصطفى الزّرقا⁽⁵⁴⁾، وغيرهم.

وكانت المدرسة عام 2009م مسجداً ومدفناً للواقف وأهله، ويسكن بعض غرفها طلبة العلم (أسود،

2009م، ص116)، وحال المدرسة اليوم 2022م قيد التّرميم بعد تعرّضها للدمار والخراب.

⁽⁵³⁾ دلائل الخيرات: وهو كتاب للإمام أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، ويضمّ مجموعة من الأوراد والأحزاب والأدعية والاستغاثات (بكر، 1998م، ص41).

⁽⁵⁴⁾ مصطفى الزّرقا (1904-1999م): ولد في حلب في أسرة عُرفت بالعلم والورع والدين، تلقّى العلوم الشّرعية، واللّغة والأدب، ولازم الشّيخ علماء عصره، والتحق بمدرسة "الفرير" الفرنسية، ثمّ تلقّى العلوم الشّرعية، حاصل على إجازتين في الحقوق والآداب من جامعة دمشق، وزاول مهنة المحاماة ما يقارب العقدين، نال عدداً من الجوائز على مؤلفاته، شغل عدّة مناصب منها: عضو في المجمع الفقهي لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعضو في مجلس المجمع للبحوث الإسلامية في الأردن، ونائباً في البرلمان السوري، ووزيراً للعدل والأوقاف (كعيد، 2008م، ص95-96-97).

يمكن القول: إنّ هذه المدارس في مرحلة البحث لم تؤت ثمارها المرجوة لأسباب عدّة، منها:

- شروط الواقف عليها، فمن أمثلتها: حصر المجاورة والتّدرّيس بأهل مدينة أو منطقة بعينها دون أخرى، المجاورة لمُدّة مفتوحة بغرض السّكن والزّاتب، لم تحدد سناً للانتساب أو الانتهاء، ضياع واردات المدارس بسبب إهمال المتولين لأوقافها أو تغلب الآخرين عليها.
- عشوائية المناهج، فالكتب المقرّرة كانت كيفيّة، فقد كانت مقتصرة على النّحو والبلاغة والصّرف والتّفسير... الخ، وتكاد تخلو تماماً من العلوم السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة واللّغات الأجنبيّة.
- السّياسة التّعليميّة التي جعلت الطّالب يجاور طيلة حياته بدون أن يُمتحن أو يُختبر.
- حصر التّعلّم بالمجاورين، ممّا يعني قلة أعداد المتعلّمين نظراً لقلة عدد غرف المبيت في المدرسة.
- لا يوجد تنسيق لجمع جهود هذه المدارس أو توحيدها ضمن برنامج جامع نافع.
- الشّهادة التي تُمنح من هذه المدارس غير معترف بها، ولا تخوّل حاملها للحصول على وظائف الدّولة الرّسميّة، ولا حتّى دخول الجامعة السّوريّة بدمشق.

ذاك كلّه وغيره من الأسباب أوجزه الشّيخ الطّبّاخ (1950م) قائلاً: "أمّا المدارس الدّينيّة، فإنّها منذ مدّة طويلة ليس فيها شيء من التّنظيم، ومن دخل إليها لا يخرج منها إلّا الموت، مهما طالّت مدّته فيها، وليس فيها برامج للتّعليم، والتّعليم فيها كفيّ، ومع ذلك فقد أخرجت علماء فضلاء فطاحل، إلّا أنّ هؤلاء كانوا يعدّون بالأصابع، وأكثر المنتمين لهذه المدارس مقتصرين على دراسة النّحو والصّرف والفقه، والقليل من البلاغة، وقلّ منهم من يشغل بالأدب، وغيره من العلوم، وكاد الإنشاء يُفقد بينهم، وهناك فكرة ترمي إلى إصلاحها، وإدخال شيء من التّنظيم فيها... الخ (ص389). وهذه الفكرة طُبّقت بعد ذلك، وبدأت من المدرسة الخسروية لتصبح الكلّيّة الشّرعيّة عام 1362هـ/1942م وأدخلت إليها العلوم العصريّة واللّغات، واشتُرط على المنتسبين إليها أن يحصلوا على الشّهادة الابتدائيّة، وفي عام 1379هـ/1959م أصبحت الثّانويّة الشّرعيّة بعد تنظيم التّعليم الشّرعّي ودمجها بالمدرسة الشّعبانيّة. إذ يمكن تسمية المرحلة (1918-1948م) بمرحلة "ما قبل توحيد المدارس الشّرعيّة"، بيد أنّ هذه المدارس ضُم بعضها إلى بعض - بقرار من دائرة الأوقاف - إلى مدرستين هما: الخسروية،

والشّعبانيّة {لم يتحدّث الباحث عنها لأنّها كانت مغلقة خلال مرحلة البحث}، وبانت بقية المدارس مسكناً للطلّاب ومساجد لإقامة الصّلوات، ولاحت مع هذا القرار بشائر التّقدّم والتنّظيم والإفادة على المستويات كلها (بكرو، 1998م، ص 62-63). وفي عام 1972م صدر قرار بتعديل شهادة الثّانويّة الشرعيّة بالثّانويّة العامّة -الفرع الأدبي- وغدا طّلاب الثّانويّة الشرعيّة يدرسون المواد التي يدرسها طلاب الثّانويّة العامّة، بالإضافة إلى مواد هزيلة في العلوم الشرعيّة، وهكذا خسر طالب العلم كثيراً من العلوم الدينيّة، وفرضت عليه علوم لا تفيده كثيراً في عمله في الدّعوة إلى الله ونشر العلم الشرعي، ومنذ ذلك الحين بدأ أمر المدرسة بالتّراجع (كاتبي، 2006م، ص 78-79-80).

2.4.1- المدارس الإسلاميّة الخاصّة (المأجورة)

جاءت هذه المدارس لتعوض حالة الضعف التي أصابت المدارس الشرعيّة الإسلاميّة (الوقفية)، وبحسب الشيخ كامل الغزي، يوجد في حلب من هذا النوع أربع مدارس ابتدائية: ثلاث منها مختصة بالذكور، وهي المدرسة "الفاروقية" و"الشرقية" وقد أسستا في أواخر أيام الحكومة العثمانية، والأولى أقدم من الثانية، والمدرسة الثالثة "المدرسة الإسلاميّة العربيّة" أسست بعد انقضاء الحرب العامّة {الحرب العالميّة الأولى}، وكلها تتلقّى فيها مبادئ العلوم القديمة والحديثة، حسب أصول التّعليم الحديثة، وهي على أتم ما يكون من النجاح، وفي كل واحدة منها مزية لا توجد في الأخرى، وتأخذ من التلميذ أجره معلومة، والمدرسة الرابعة مختصة بالإناث وتسمى "مكتب الصنائع النسائية"، وهي على جانب عظيم من النجاح، تتقاضى من التلميذات أجره معلومة، وكان تأسيسها بعد انقضاء الحرب العامّة (الغزي، 1923م، ج 1، ص 165).

- أنموذج عن مدارس هذا المستوى/مدرسة شمس المعارف (1903م)/ "المدرسة الفاروقية التجهيزية (1918م)"

أنشأها محمد نجيب باقي زاده حين نال رخصة لافتتاح أول مدرسة عربيّة ابتدائيّة "شمس المعارف" في العهد العثمانيّ في مدينة حلب عام 1903م، على أن تدرّس العلوم الفنون، وللمدرسة مطلق الحرّيّة في تدريس اللّغات العربيّة والتركيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة، وقد أحضر كتباً من القاهرة لهذا الغرض، وكانت المدرسة المثاليّة

في حلب في نظامها وتدرّيسها، وتوجيهها الدّيني والقومي، وقد أجبرتها ظروف الحرب العالميّة الأولى إلى إغلاقها مؤقتاً عام 1916م (مبيض، 2004م، ج1+2، ص145-146-147-150) بعد ذلك تنازل نجيب باقي زاده عن المدرسة لزميله عبد الغفور المسوتي الذي سمّاها "الفاروقيّة" في عهد الانتداب (الكوراني، 2000م، ص43). في عام 1924م قام مدير المدرسة الأستاذ عبد الغفور المسوتي - الذي نهض إلى تطوير التّعليم في هذه المدرسة - بإنشاء مختبر علمي فيها لمادّة الفيزياء والكيمياء، وذلك ليُمكّن طلابه من ربط المعلومات النّظرية بتطبيقاتها العمليّة، واستقدم مواد هذا المختبر وآلاته وأدواته من أوروبا، ثمّ أقام حفلاً كبيراً بمناسبة افتتاح هذا المختبر ووضعه بين أيدي طلابه، وتضمّن الحفل دعوة لتأسيس جمعيّة لدعم طلاب هذه المدرسة تحت اسم "جمعيّة معاضدة أبناء الفاروقيّة"، وإنشاء مجلّة خاصّة بهذه المدرسة باسم "حديقة التّلميذ". ومن مشاهيرها، علماء: الشّيخ محمّد راغب الطّبّاخ، والشّيخ محمّد جميل العقّاد⁽⁵⁵⁾، والأستاذ سامي الكيّالي⁽⁵⁶⁾، والشّيخ صادق الزّفاعي وغيرهم، طلاباً: الأستاذ الشّاعر عمر بهاء الدّين الأميري⁽⁵⁷⁾، والأستاذ عمر أبو قوس⁽⁵⁸⁾، والدكتور نافع فنصة وغيرهم. (كاتبي، 2021م). بعد الاطّلاع على المراجع والمصادر ذات الصّلة التي تحدّثت عن هذه المدرسة، ظهر تضارب في المعلومات بينها، فمؤسّسها باقي زاده لم يذكر مكان مقرّ المدرسة، وغالب الظّن أنّها كانت في حيّ الفرافرة، ومن جهة أخرى يوثّق مصدر ما اسمها "بشمس التّرقّي"، وآخر "شمس المعارف"، ثمّ

(55) محمد جميل العقّاد (1896 - 1968م): محدّث، علامة، واعظ، ولد في حلب، وقد لازم والده فترة من الرّمن، مكّنته من تلقّي العلوم الدّينيّة، ثمّ سافر إلى مصر للمجاورة في الأزهر الشّريف، ثمّ عاد إلى حلب ليعمل مدرّساً في ثانويّات حلب ودور المعلّمين فيها، وعُيّن خطيباً للجامع الأمويّ، وكان أديباً ناظماً للشّعر (الأويسى، 2003م، ص795-796-797)

(56) سامي الكيّالي (1898-1972م): أديب متحرّر، دافع عن حرّيّة الفكر وكرامة الإنسان، وحقّ المرأة العربيّة، وكان سبباً في إنشاء الكثير من مدارس الإناث في المدن والأرياف، أصدر أهمّ مجلّات مدينة حلب عام 1927م وهي مجلّة الحديث، وله خمس وعشرين مؤلّفاً، منها: "الحركة الأدبيّة في حلب 1850-1950م" (مبيض، 2004م، ج3+4، ص1143-1144-1145).

(57) عمر بهاء الدّين الأميري (1915-1992م): داعية، مفكّر، شاعر، فيلسوف، ولد في حلب، ودرس مراحل التّعليم الأساسيّة فيها، ثمّ درس الأدب وفقه اللّغة في جامعة "السّوربون"، والحقّق بالجامعة السّوريّة بدمشق، عمل في التّعليم والمحاماة، وصار وزيراً، كان عضواً للعديد من المجمعّات العلميّة في الوطن العربيّ، وحاضر في جامعات مصر والمغرب العربيّ والخليج وباكستان وتركيا... الخ، امتاز بدواوينه العشريّة، منها: "قلب ورب"، دُفن في المدينة المنوّرة (كعيد، 2008م، ص149-150-151-152).

(58) عمر أبو قوس (1913-1982م): ولد في حلب في عائلة عريقة في التّصوّف، درس في المدرسة العربيّة الإسلاميّة واللايك والفاروقيّة والتّجهيز الأولى. عُيّن معلّماً وظلّ في هذه المهنة حتّى 1946م، وكذلك عُيّن مفتّشاً في ديوان محافظة حلب، ثمّ مديراً للمطبوعات والإذاعة، وغير ذلك، وامتازت أعماله الشّعريّة بميّزة القصّ الشّعريّ (مبيض، 2004م، ج3+4، ص1284-1285-1286).

"المدرسة الفاروقية"، وآخر "الكلية الفاروقية"، وغيره "المدرسة الفاروقية التّجهيزية"، ولم يُشار إلى عدد صفوفها، وربما نستطيع الجزم أنّها كانت تتضمّن كلّ مراحل التّعليم ما دون الجامعيّ، نظراً لنعتها بصفة "التّجهيزية" الذي ظهر خلال صور لإعلان حفل المدرسة السالف الذّكر، إضافة إلى أنّ الشّيخ الطّبّاخ أشار (1939م) في ترجمته أنّه ترك التّدريس في "الكلية الفاروقية التّجهيزية" عام 1931م؛ لإلغاء الصّفوف العالية فيها، لأسباب مالية وغيرها (ص21).

بناءً عليه يمكن القول: إنّ هذه الفئة من المدارس قامت بما عجزت عنه المدارس الإسلاميّة الأخرى خلال مرحلة البحث، ونالت أولاً ترخيص تدرّس اللّغة العربيّة في العهد العثمانيّ، ثمّ اللّغات الأجنبيّة، ولم تقتصر على العلوم الشرعيّة، بل أدخلت بمناهجها العلوم العصريّة وفق سياسة تعليميّة ناجعة ومفيدة، ولم تقف عند هذا الحد بل أقامت الدّورات الشرعيّة، والمناسبات والأنشطة الثقافيّة، والمسرحيّات الهادفة، وهذا ما دفع الشّيخ الغزيّ بتصنيفها في كتابه نهر الذّهب بـ "المدارس الإسلاميّة حديثة الطّرز في حلب".

3.4.1- المدارس المسيحيّة الخاصّة (التّبشيرية)

بدأت هذه الفئة من المدارس تنتشر وتتوسّع منذ أوائل القرن التّاسع عشر في الوطن العربيّ، عبر منح سلاطين الدّولة العثمانيّة امتيازات كثيرة للدّول الأجنبيّة، وفي طليعتها افتتاح مدارس - إمّا دفعاً لشرّ أو طمعاً في فائدة - باسم نشر الهداية، وتحضّر الشعب العربيّ المتخلّف عن الحضارة (النحاس، د. ت، ص6)، كانت هذه المدارس من نوع المدارس الدينيّة، غير أنّها تطوّرت بعد ذلك بسرعة وتحوّلت إلى معاهد تعليميّة عصريّة بكلّ معنى الكلمة، وكانت تسير على مناهج خاصّة بها، تختلف باختلاف أديان الجماعات ومذاهبها، وكثيراً ما كانت تستلهم خططها ومناهجها من المدارس الأجنبيّة المؤسّسة داخل البلاد أو من البلاد الأجنبيّة نفسها، إذ زودتها بالكهنة والمعلّمين والكتب المدرسيّة، وكان يصل تأثيرها إلى درجة توجيه مناهج الدّروس وأساليب التّدريس المتّبعة

فيها أيضاً، وكانت فرنسا أنشط الدول في هذا المجال⁽⁵⁹⁾ (الحصري، 1949م، ص 10-11-12). وسنعرض بعض أبرز هذه المدارس في حلب:

1.3.4.1 - مدرسة التيرسانت (1859م) (Terre Sainte) - الجزويت (Jésuites) - الشيباني⁽⁶⁰⁾/

مدرسة الإعداد الحزبي (1967م)/ دير الأرض المقدسة للآباء الفرنسيين (2020م)

قدم الرهبان الفرنسيين إلى حلب عام 1233م وأقاموا عام 1560م ديراً لهم ومعبداً قرب باب إنطاكية، ثم انتقلوا إلى خان القصابية وبعدها إلى خان البنادقة ثم إلى محلة الشيباني عام 1853م وشيدوا كنيسة وديراً، وفي عام 1859م أقاموا مدرسة الأرض المقدسة (هلال، 2006م، ص 208). وكان مديرها آنذاك الأب (d'Orléans) "برنارد دورليان" الذي قدم من فرنسا مع الأخ "لويس داميان" (d'Amiens) معلم اللغة الفرنسية، ووزع برنامج التعليم مطبوعاً بالعربية والإيطالية والإنجليزية، وكان يجري فحص اللغات للتلامذة قناصل إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وغيرهم، وضمت المدرسة مكتبة للمطالعة اشتملت على (2500) مؤلفاً بالفرنسية والعربية والإيطالية عام 1909م، وكان التلاميذ يلبسون زيّاً رسمياً موحداً خاصاً بها مدموغاً عليه شارة وأحرف المدرسة بالإنكليزية (C.T.S College Terre Sainte) وذاع صيت المدرسة فقصدها الطلاب إلى حلب من سائر أنحاء البلاد الشرقية (توتل، 1964م، ص 15-16-17-18). كانت هذه الدروس توزع على ثلاثة أقسام:

(59) وينبغي هنا الإشارة إلى إشكالية اعتبار المدارس ذات الإرساليات الدينية التبشيرية من المدارس الأجنبية، لا من المدارس الأهلية؛ وذلك لما حظيت به من دعم بأشكاله المتعددة من الدول الأجنبية. لكن نجد وزير المعارف مصطفى الشهابي يصنفها ضمن التعليم الأهلي ويقول: "تأثير السياسة الاستعمارية في تلك المدارس كان أقل من مثله في المدارس الفرنسية؛ لأنّ القائمين عليها حافظوا على منزلة اللغة العربية وآدابها، ولم يحاربوا الثقافة العربية، ولا العقيدة الوطنية في نفوس التلاميذ، وكانت تلقنهم أيام الانتداب مبادئ وطنية طيبة (الشهابي، 1957م، ص 184). ومن جهة أخرى محاولات فرنسا نفسها زج هذه المدارس - المسيحية وحتى اليهودية - ضمن تصنيف المدارس الأجنبية، وفي ذلك يقول المستشار الفني لوزارة المعارف السورية ساطع الحصري: إنّ الفرنسيين أدخلوا مدارس "الإليانس" في إحصاءاتهم الرسمية في عداد المدارس الفرنسية، في حين أنّها تعتبر في سائر البلاد من المدارس الأهلية؛ لأنّ نفقاتها تؤمن من قبل الطائفة الإسرائيلية. وكذلك بسطوا حمايتهم وسيطرتهم على الكثير من المدارس المسيحية، لا سيما الكاثوليكية، رغم أنّ كوادرها هذه المدارس من أهل البلاد (الحصري، 1946م، ص 87-90). وهذا الكلام يتوافق مع تعريف المدارس الأهلية.

(60) أطلق على هذه المدرسة العديد من الألقاب، منها: التيرسانت Terre Sainte: من الفرنسية، وتعني الأرض المقدسة، الجزويت Jésuites: من الفرنسية، وتعني المنسوب إلى يسوع (عيسى المسيح)، أي: مدرسة اليسوعيين. واشتهرت باسم الشيباني أيضاً لقربها من ضريح ولي مسلم معروف بهذا الاسم (الكوراني، 2000، ص 43).

- قسم أدبيّ: ويشمل اللّغة العربيّة والتّركيّة والإيطاليّة والفرنسيّة وجميعها إلزاميّة، أمّا الإنكليزيّة والألمانيّة فلمن يطلبهما، وكذلك الجغرافيا والتّاريخ.
 - قسم مهنيّ أو تجاريّ: ويشمل الحساب والرياضيّات وقانون التّجارة والآلة الحاسبة والرّسم.
 - قسم علمي: ويشمل الهندسة والجبر والفيزياء والكيمياء والعلوم الطّبيعيّة والفلسفة وعلوم الاجتماع والتّربية والجمال وتاريخ الفنّ، بالإضافة إلى التّربية الدّينيّة الإلزاميّة لكلّ الطّلبة والرياضة والموسيقى.
- وكانت هذه الموادّ موزّعة على إحدى عشرة سنة، أي أحد عشر صفّاً بين المراحل الابتدائيّة والمتوسّطة والثّانويّة والسّنة الثّالثيّة، وكانت شهادة المعهد تؤهّل صاحبها للالتحاق بالجامعة السّوريّة في دمشق وبجامعات العالم المختلفة، وفي عام 1934م نُقلت المدرسة إلى حيّ العزّيزيّة، ثمّ انتقلت عام 1949م إلى مقرّ جديد حول محيط حلب {حيّ الفرقان حالياً}، وأُغلقت المدرسة عام 1967م، فحوّل البناء إلى معهد الإعداد الحزبيّ (حجار، 2011م، ص 115-116)، في عام 2020م أُعيد المقرّ مرّة أخرى إلى الرّهينة الفرنسيكانيّة، لكنّه لم يُفتح مدرسة، وهو الآن يتولّى شؤون رعاياه الدّينيّة والاجتماعيّة. وتخرّج من هذه المدرسة نخبة من الحلبيين أمثال: الدّكتور ناظم القدسي (1905-1998م) رئيس الجمهوريّة الأسبق، والبطيرك مكسيموس الصّائغ الرّابع (1878-1967م)، والكاردينال أكايوس كوسا⁽⁶¹⁾ (ديك، د. ت، ص 2).

2.3.4.1 - مدرسة الفرنسيكان⁽⁶²⁾ (1932م)/ ثانوية السيّد مريم الخاصّة للبنات (1967م)

وصلت الرّاهبات الفرنسيكانيّات إلى حلب قُبيل الحرب العالميّة الأولى عام 1913م على طلب "مطران الموارنة ميخائيل أّخرس"، وبدأن عملهنّ التّدريسيّ عام 1919م، وكانت مدرستهن في بادئ الأمر في الدّار الّتي يشغلها "دير القديس كاترينا" في حيّ العزّيزيّة (ديك، د. ت، ص 7)، بعد ذلك اقترح الرّاهب الفرنسيكاني "نيقولا أسود" على شقيقته "ماري أسود" بالتّبرّع بتركة زوجها رزق الله غزالة -وقد بلغت حصّتها حوالي الخمسين ألف ليرة

⁽⁶¹⁾ أكايوس كوسا (1897-1962م): ولد في حلب، أرسل إلى روما 1913م، وحصل على الدكتوراة في الحقوق، نبغ في التّشريع والقانون، وأوّل شرقيّ أسند إليه أمانة سرّ لجنة القانون الكنسيّ الغربيّ والشرقيّ 1946م، وأوّل مسؤول بعد الحبر الأعظم عن الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة في العالم كلّ عام 1962م، لُقّب بـ "كاردينال العرب" وأصبح عضواً مرموقاً في مجلس أمراء الكنيسة جمعاء (مبيض، 2004م، ج 1+2، ص 773-774).

⁽⁶²⁾ انظر الملحق (4) مدرسة ودير وميتم الفرنسيكان عام 1935م في حلب.

ذهبيّة- بالكامل للزّاهبات الفرنسيّات لبناء دير وكنيسة ومدرسة داخلية وميتم للفتيات ومطبخ مجاني للفقراء في حيّ السّيل، فقامت بالتّبرّع وبدأ البناء عام 1929م، وتمّ افتتاح القسم الأوّل منه عام 1932م، وتتالي بعدها بناء بقية الأقسام (السيد، 2020-ج)، فضلاً عن مشاغل لتعليم الصّناعات، وكانت هذه المدرسة تهئّ المتعلّمين لفحوص الشّهادات طبقاً لبرنامج التّعليم الثّانوي (ديك، ب. ت، ص7)، وفي عام 1967م أصبحت من المدارس المستولى عليها فتحوّلت إلى "ثانوية السيّدة مريم الخاصّة للبنات" وحالياً تشتمل على مرحلة ابتدائية للبنين والبنات، ومرحلة إعداديّة وثانوية للبنات فقط.

3.3.4.1 - كليّة وسط تركيا (1860م) (CTC: Central Turkey College) / ثانوية الصّبيان الإنجيليّة

في حلب (1923م) Boys' High School / كليّة حلب الأمريكيّة (1928م) AAC: American
Aleppo College / معهد حلب العلميّ (1967م)

كان المرسلون الإنجيليّون الأميركيّان قد ساعدوا في السّبعينيّات والثّمانينيّات من القرن الثّاسع عشر الأرمن الإنجيليين في عنتاب على إنشاء كليّة دعوها "كليّة تركيا الوسطى" (ديك، د. ت، ص3)، وتعتبر هذه الكليّة التّوءم لكليّة "روبرت" التي افتُتحت في استانبول والكليّة السوريّة الإنجيليّة التي افتُتحت في بيروت قبل حوالي عشر سنوات من افتتاح هذه الكليّة التي تحوّلت لاحقاً للجامعة الأميركيّة ببيروت (السيد، 2020م-أ) وعقب الحرب العالميّة الأولى ولما نزح أرمن عنتاب إلى حلب، نقلت الإرساليّة الكليّة إليها، فنشأت على أرض واسعة اشتراها الأمريكيّ جيمس لاك "James Leck" بالاشتراك مع البرفسور ألّتونيان بمساحة تقارب (20) هكتاراً في مدخل حلب الغربيّ عام 1923م (ديك، د. ت، ص3). درس في الكليّة الأميركيّة التي اشتهرت باسم مدرسة الأميركيّان نخبة من شباب مدينة حلب وفتياتها، وتميّزوا بلغتهم الإنكليزيّة المتينة، عملت "كليّة حلب" مدرسة ابتدائيّة، وإعداديّة، وثانويّة، وكليّة تقدّم السّنات الدّراسيّة الأولى والثّانية -Junior College- في عديد من المجالات (سكرتاريا - إدارة أعمال - فنون - تمهيدي طب - تمهيدي هندسة)، تميّزت هذه الكليّة بأنّ

منشأتها التّعليميّة كانت نموذجيّة كأحدث الكليّات والمدارس في العالم الغربيّ⁽⁶³⁾، ففيها قاعات مطالعة ومكتبة على أرفع مستوى وملاعب رياضيّة واسعة لألعاب كرة القدم والسّلة وغيرها، ومسبح خاصّ بالأساتذة والطّلاب، وصالات مسارح، وصفوف دراسيّة ومخابر وغيرها من منشآت (السيد، 2020م-أ)، ربّما كان من المقدّر لهذه الكليّة أن تتحوّل لجامعة على أحدث الطّرز العلميّة كالجامعة الأميركيّة ببيروت، وقد تناوب على رئاسة هذه الكليّة منذ افتتاحها في عنتاب النّابعة لولاية حلب على يد مجلس الوكلاء الأمريكيّ للإرسالات الأجنبيّة عام 1860م حتّى عام 1958م خمسة رؤساء أمريكيّين. إلّا أنّه في عام 1967م بعد أزمة المدارس الخاصّة في سورية، غادر المجلس الأمريكيّ البلاد مغادرة كاملة، وترك ملكيّة الكليّة مقسومة مناصفةً بين السيّنودس الإنجيليّ الوطنيّ في سورية ولبنان (معهد حلب العلميّ الخاصّ للبنين ومدرسة النّشء الجديد) وبين اتّحاد الكنائس الأرمنيّة الإنجيليّة (معهد حلب العلميّ الخاصّ للبنات ومدرسة الرّسالة)، توقّف معهد حلب العلميّ إثر ذلك عن كونه "كليّة" وتحوّل إلى مدرسة تشمل رياض الأطفال ومرحلتيّ التّعليم الأساسيّ والثّانويّ. ويدير المعهد ممثّل من الجهة الصّاحبة (سواء كانت السيّنودس أو الاتّحاد الأرمنيّ) بالاشتراك مع مدير منتدب من مديرية تربية حلب (American Aleppo College, n. d). ومن أبرز خريجيه: المخرج العالميّ مصطفى عقّاد (1930-2005م)، والفنان الرّسام فاتح المدرس (1922-1999م).

4.3.4.1 - مدرسة الفريّر مارست (Frères Maristes) (1932م) - معهد شمبانياه (College Champagnat)⁽⁶⁴⁾ / معهد الأخوة (1967م)

كان الأخوة المريميّون يديرون "مدرسة الأرمن الكاثوليك" منذ أن استقدمهم إلى حلب "المطران أوغسطينوس صايغ" بعد أن ضعفت همّة مدرسة "القديس غريغوريوس الطّائفيّة" فطلب من لبنان معلمين رهبان فرنسيّين لتعليم الأولاد، وفي عام 1923م عملوا لمدة في مدرسة "القديس نيقولاس" في عهد "المطران مكاريوس

(63) انظر الملحق (5) طالبات مدرسة الأميركان بلباس رسميّ خلال خمسينيات القرن العشرين.

(64) الفريّر مارست (Frères Maristes): من الفرنسيّة، وتعني "الأخوة المريميّون، نسبة إلى السيّدّة مريم. شمبانياه (Champagnat): هو راهب له منظّمة، يُسمّى المنتسبون إليها من رجال الدّين بالفريّر أو الفريّرات (الأخوة) (اتّصال شخصيّ مع الباحث علاء السيّد، 2022، أيلول، 14).

ساباً"، ثمّ قرّروا أن ينشئوا مدرسة خاصّة لهم يستقلّون بها، وبدؤوا التّدريس فيها 1932م (ديك، د. ت، ص3-4)، اشترى الرّهبان المريميّون أرضاً بنوا فيها تلك المدرسة وديراً وكنيسة في المنطقة التي ستكون "شارع فيصل" حالياً، عند اقتراب جلاء القوّات الفرنسيّة عن سورية باع الأخوة المريميّون البناء، ونقلوا مدرستهم لاحقاً إلى التّكنة الفرنسيّة المسماة "التّكنة الحمراء"، وهي مدرسة "الفرير" حالياً في حيّ المحافظة، بعدما قدمتها لهم الحكومة الفرنسيّة (السيد، 2020م-ب). وكانت تُدرّس جميع المراحل (روضة - ابتدائيّ - إعداديّ - ثانويّ)، وفي عام 1967م تحوّلت إلى "معهد الأخوة"، تخرّج منها كبار الأطباء والمهندسين والشّخصيّات العلميّة، كانت تهتمّ بتعليم اللّغة الفرنسيّة بأقدر الكفاءات، ومنهم: الشّيخ مصطفى الزّرقا (1904-1999م)، المدرّس في المدارس الشّرعيّة، وقد سجّله والده بمدرسة الفرير ثمّ ألحقه بالعلوم الشّرعيّة، وهذا له دلالات كبيرة، وقد تكون غريبة أيضاً لدى بعضهم، منها أنّ آل الزّرقا المعروفين بعلمائهم، أدركوا تراجع المدارس الأخرى، وخاصّة الإسلاميّة، وآمنوا كذلك بضرورة تسلّح رجل الدّين بعلوم العصر واللّغات الأجنبيّة، ومجاعة خريجي المدارس الأخرى، والنّهوض كذلك بمدارسهم.

ومما سبق نجد أنّ هذه المدارس كانت على مستوى متطوّر في مدينة حلب وواكبت النّقدّم العلميّ، وتشتمل على تجهيزات ومخابر ومسارح وقاعات حديثة، وعلوم عصريّة، وكوادرها كانت تشرف عليها وتعلّم بها بعثات تبشيريّة علميّة تتقن اللّغات والعلوم العصريّة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قبلت هذه المدارس المتعلّمين من كلّ الأديان والملل والطوائف مما حدا بأولياء الأمور أن يلحقوا أولادهم بها، وشهاداتها معترف بها، وتؤهل حاملها لمواصلة تعليمه بأرقى جامعات العالم، وخير دليل على ذلك إنجاب تلك المدارس لأعلام برزوا في عالم الفن والتّربية والسّياسة والآداب...الخ. وكما ذكرنا سابقاً بخصوص المدارس الأجنبيّة، أنّه مرّت سورية والأمة العربيّة منذ الحرب العالميّة الأولى بأحداثٍ جسام، منها تقسيم وحدة بلاد الشّام إلى أربع دول باتفاقيّة سايكس بيكو 1916م برعاية فرنسا وإنكلترا، سلخ لواء إسكندرونة عام 1941م وتقديمه من قبل فرنسا إلى تركيا، احتلال فلسطين 1948م من قبل الكيان الصّهيونيّ مدعوماً من الدّول الغربيّة وعلى رأسها إنكلترا وفرنسا وأمريكا، والعدوان الثلاثيّ على مصر 1956م (فرنسا- إنكلترا- الكيان الصّهيونيّ) بسبب تأميم قناة السّويس، ونكسة

حزيران 1967م باحتلال الجولان والقنيطرة وشبه جزيرة سيناء والصّفة الغربيّة وقطّاع غزّة، ممّا جعل هذه المدارس ومدارس الإرساليّات عرضة للهجوم والاتّهامات، لأنها تتّبع الدّول المموّلة لها، إضافة إلى تعليمها لغات الغرب وثقافتهم، وعندما بسطت وزارة المعارف السّوريّة نفوذها على كامل البلاد، ازدادت حدّة المواجهات مع الانتداب، وأولها أن أغلقت المدارس الأجنبيّة ومدارس الإرساليّات في أيار عام 1945م، نتيجة المواجهات بين الاحتلال الفرنسيّ والحكومة السّوريّة، ثمّ ما لبثت أن افتُتحت مرّة أخرى بعد الجلاء، وإثر العدوان الثلاثيّ على مصر (فرنسا - إنكلترا - الكيان الصّهيونيّ) 1956م، أحرق لفيّف من الطّلاب - منهم من ثانويّة "المأمون" و"هنانو" و"الخسرويّة" وغيرها - مدرسة "اللايك" و"الفرنسيسكان" و"جان دارك" و"المركز الثقافيّ الفرنسيّ" - الذي أصبح بعد ذلك المركز الثقافيّ العربيّ - في حلب في يوم عطلة وهو يوم الأحد في شهر تشرين الثّاني، وقد رأوا أنّهم يقومون بعمل وطنيّ، ووصلت الأمور إلى نهايتها بعد نكسة حزيران، ممّا أدّى لحدوث أزمة المدارس عام 1967م التي استولت فيها الدّولة على بعض المدارس الكاثوليكيّة وأغلقت بعضها الآخر.

أما المدارس التي استُولى عليها فهي:

"مدرسة الأرض المقدّسة" التي أصبحت "مدرسة للإعداد الحزبيّ"، و"مدرسة الأخوة المريميّين" التي أصبحت "ثانويّة الأخوة"، و"مدرسة الرّاهبات الفرنسيكانيّات" التي أصبحت "ثانويّة السيّدة مريم"، ومدرسة "جان دارك" لراهبات القديس يوسف" التي أصبحت "ثانويّة المحبّة"، و"مدرسة جورج سالم الصّناعيّة" التي تحوّلت إلى "مدرسة صناعيّة حكوميّة"، و"مدرسة القديس نيقولاوس" التي أصبحت "مدرسة التّعاون"، و"مدرسة القديسة كاترينا" التي أصبحت "ثانويّة القدس"، و"مدرسة الفرنسيكان" في حيّ الرّام التي أصبحت "إعداديّة ميخائيل كشّور"، والمدرسة المجاورة لـ "كنيسة القديسة بربارة" التي سُمّيت "مدرسة الآباء المختارين"، و"مدرسة القديس أغناطيوس" للسّريان الكاثوليك التي أصبحت "إعداديّة الأم". أمّا المدارس التي أغلقت وظلّت عقاراتها تحت تصرّف الطّوائف فهي: "مدرسة القديس غريغوريوس"، و"مدرسة الحبل بلا دنس للأرمن الكاثوليك"، و"مدرسة القديس ديمتريوس للبنين"، و"مدرسة القديس ديمتريوس للبنات"، و"مدرسة القلبين الأقدسين" في العلاف، و"مدرسة جبل السيّدة للرّوم الكاثوليك"، و"مدرسة الأرمن الكاثوليك" في نفس الحيّ، و"مدرسة الموارنة"، و"مدرسة اليسوعيّين" في الميدان

"القديس فارطان"، وبقيت المدارس غير الكاثوليكية على وضعها، ولم تتأثر بقرارات عام (1967م) وتابعت نشاطها ونموها. وبعد مدة سمحت الدولة بإنشاء مدارس جديدة ليست باسم الطوائف بل باسم أفراد علمانيين شريطة أن يعين عليها مدير {منتدب} من قبل مديرية التربية (ديك، د. ت، ص 12-14).

4.4.1- المدارس اليهودية الخاصة

لا شك أنه كان لليهود مدارسهم التي لا نعرف عددها ولعلها واحدة أو اثنتان، وكانت بحسبنا حي اليهود بحلب، وقد كان لهم فيها أكثر من كنيس وربما كانت تُلحق به مدرسة، ثم انتقل أثريائهم ومتوسطو الحال منهم إلى حيّ الجميلية 1300هـ / 1882م حيث بنوا كنيساً وكذا مدرسة (جحا، 1988م، ص 79)، ومنها:

1.4.4.1- مدرسة (تلمود تورا)

اسم يطلق على المدرسة التي يتلقى فيها الطفل اليهودي المعارف الأولية للقراءة، ويدرس أجزاء من التلمود، وكانت تقع عادة بجوار المعابد (أتينجر، 1995م، ص 239)، والظاهر أن هذه الأنواع من المدارس غايتها دينية، وتقوم مقام "الكتاتيب" وتزود أبناء الطائفة بمبادئ التعلم البسيطة والأساسية.

2.4.4.1- مدرسة السموئل

كانت في محلة بحسبنا خلال مدة البحث تتضمن القسم الإعدادي فقط، وفي حيّ الجميلية يوجد القسم الابتدائي منها، وبعد ذلك نُقل القسم الإعدادي إلى الجميلية أيضاً (محفوظ، 2021م)، وكانت تشتمل على روضة وابتدائية وإعدادية (جحا، 1988م، ص 79).

3.4.4.1- مدرسة الإليانس (Alliance)

تأسست في الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر عديد من المدارس اليهودية الحديثة بالإمبراطورية العثمانية، وكانت هذه المدارس تحظى بمساعدة مالية من قبل الشخصيات اليهودية الثرية بأوروبا التي أرسلت أيضاً مديريين إلى هذه المدارس، وقد رأت هذه الهيئة أنه يتعين عليها العمل على نشر فكر حركة التنوير الأوروبية في أوساط يهود الشرق، وجعل اليهود مواطنين مفيدين لدولتهم (أتينجر، 1995م، ص 241)، وفي مدينة حلب في حيّ الجميلية يوجد فرع لمدرسة "الإليانس" تشرف عليه جمعية "حبراه" في باريس، وهي

مدرسة ناجحة مفتوحة أبوابها للملث الثلاث إلّا أنّ أكثر تلامذتها موسويّون ثمّ مسلمون، وأحسن ما يبرع به طلبتها هو اللّغة الفرنسيّة، وهي نهاريّة فقط، لا طعام فيها، تأخذ من التّلامذة أجرة زهيدة، والفقير منهم تقبله مجاناً (الغزي، 1923م، ج2، ص324). ويُدرس فيها أساتذة لا ينتمون للهيئة التّدرسيّة للإليانس، وتخدم هذه المدارس الشّؤون التّعليميّة والدّينيّة للجالية اليهوديّة الحليّة الكبيرة بمراحلتيها التّحضيريّة والابتدائيّة، وللحصول على "السّرتيكا" و"الكفاءة"، وتُدرس فيها العبريّة والعربيّة إلى جانب الفرنسيّة (حريّتاني، 2008م، ص126-127).

إنّ المعلومات عن المدارس اليهوديّة في مدينة حلب قليلة ونادرة، ربّما لأنّ الطّائفة اليهوديّة منغلقة على نفسها، بيد أنّ اليهود لم يشاركوا مشاركة كبيرة في بناء وجه حلب الاجتماعيّ والثّقافيّ والوطنيّ كما فعل المسيحيّون، على الرّغم من أنّ اللّغة المحكيّة بين اليهود هي العربيّة، فلم يكن المدرسون والتّلاميذ يتقنون إلّا قراءة الكلمات المطبوعة بالعبريّة، ويفتقرون القدرة على الكتابة أو استعمال اللّغة استعمالاً كاملاً وجيذاً، الأمر الذي أثار مخاوف الطّائفة بشأن تلاشي الثّقافة اليهوديّة، فافتتحت مدارس "الإليانس" بغرض إيجاد بديل مناسب لئلا يلتحق أطفال اليهود بالمدارس الأخرى، وإعداد جيل جديد يعي ثقافته ولغته ودينه. إذ اعتاد الذّكور متابعة دراستهم الثّانويّة في معهدي الأخوة (الشّامبنياه)، ومعهد حلب العلميّ (الأميركان)، في حين تتوجه معظم الإناث إلى معهدي السيّد مريم (الفرنسيسكان)، ومعهد المحبّة (الجاندارك) (محفوظ، 2021م)، وقد تميّزوا في كثير من المهن المختلفة والاختصاصات التّجاريّة والماليّة، وكذلك بمهنة الطّب إذ كان عدد منهم مشهوراً جداً في مدينة حلب في السّتينيات والسّبعينيات من القرن العشرين.

5.4.1- المدارس المهنيّة الأهليّة (الخاصّة)

ضيق الفرنسيّون نفقات المدارس الرّسميّة وأهملوا فتح المدارس الصّناعيّة الفنّيّة والزّراعيّة، على الرّغم من حاجة البلاد إليها (إسماعيل، 1998م، ص283)، لذلك توجّه التّعليم الأهلي لسدّ هذا النّقص ما استطاع إليه سبيلاً عبر إنشاء مدارس مهنيّة، أو إلحاق بعض الصّفوف والأقسام المهنيّة بمدارس التّعليم العام، لسدّ احتياجات التّلاميذ لتعلّم بعض المهن الرّائجة، ومن هذه المدارس:

- مدرسة الصّنائع النّسويّة 1920م (التي ورد ذكرها في المدارس الإسلاميّة الخاصّة -المأجورة)
- ميتم الفرانسييسكان الصّناعي 1932م يضمّ الورشات والمشغل (الذي ورد ذكره في المدارس المسيحيّة الخاصّة - مدرسة الرّاهبات الفرنسيكانيّات)، وكذلك مدرسة "الثّيرسانت".
- المدرسة الزراعيّة التابعة للميتم الإسلاميّ بحلب عام 1945م، عدد طّلابها (37) (الحصري، 1946م، ص 62). وفيها أيضاً قسم صناعيّ يتضمّن التّجارة والخياطة وصناعة الأحذية وغيرها (مبيض، 2004م، ج 1+2، ص 156-157).
- مدرسة جورج ومتيلد سالم الصّناعيّة 1948م (ديك، د. ت، ص 10).

6.4.1 - الكتاتيب

الكتّاب: صاغوا هذا الاسم على فَعَال من كتب لمن يعلّم الكتّابة، وهو المعلّم الذي يتلو على من كان يتعلّم القراءة فقط، فإذا علّم الكتّاب الحساب مع الكتّابة كان أعلى، وإذا علّم مسك الدفاتر⁽⁶⁵⁾ كان أعلى وأعلى، وأطلقوا الكتّاب مجازاً على محل هذا المعلّم (الأسدي، 2009م، ص 2468)، والمكاتب الأهليّة {الكتّاب} في حلب كثيرة توجد في كلّ محلة منها ما هو مختصّ بالذكور، ومنها ما هو مختصّ بالإناث، وهي تعلّم القرآن العظيم، وبعضها يعلّم معه الخطّ ومبادئ الحساب ومعلّموها رجال ونساء، وهي تأخذ على التّعليم أجره زهيدة تعرف "بالخميسيّة"⁽⁶⁶⁾، وبعض هذه المكاتب وقف يدخلها الولد مجاناً (الغزي، 1923م، ج 1، ص 164-165)، وكان الأهالي أيضاً يرسلون أولادهم إلى الخوجة⁽⁶⁷⁾ التي تستقبل الأولاد الذكور والإناث على حد سواء حينما يبلغون 4 أو 5 سنوات من العمر، وكانت جل نشاطها هو تعليم قراءة القرآن الكريم حسب معرفتها دون تعليم الكتّابة، وتكلّف الأولاد الكبار في بعض شؤون البيت كسحب الماء من الجب، أو تحضير الطّيبخ، وإعداد المؤونة في فصل الصّيف، والبنات الكبيرات يقمن برعاية الأطفال الصّغار وتربيتهم، وكانت الخوجات منتشرات بكثرة في

(65) مسك الدفاتر: أطلقوها على تسجيل التّجارة، صادرها وواردها وبيعها وضممها (الأسدي، 2009م، ص 2767)

(66) الخميسيّة: أطلقوها على مبلغ من النقود يدفعه التلميذ إلى شيخه، أو تلميذ الخوجة إلى خوجته أجره التّعليم يوم الخميس (الأسدي، 2009م، ص 1176).

(67) الخوجة: من التّركيّة "قوجه"، وهي الشّيخة التي تُعلّم القرآن (الأسدي، 2009م، ص 1183).

كلّ حارات حلب القديمة داخل الأسوار وخارجها، وكان لهم إسهام أكبر وخاص في إعداد الفتيات للزّواج ليكنّ أمّهات المستقبل، وحين يكبر الذّكور منهم يرسلونهم إلى الكتّاب -وخاصّة في العطلة الصّيفيّة- الذي يعلّم القراءة والكتابة والخطّ و"مسك الدّفاتر" و"الدوبيا"⁽⁶⁸⁾، ويسمّى التّلميذ في هذا المكتب "أجير الشّيوخ"، وقد يقضي الأولاد من ستّة سنوات إلى عشرة في الكتّاب، وكان تجار المدينة يقصدون الشّيوخ ليرشّح لهم كاتب "دوبيا" من خريجي مكتبه الخلوّقين للعمل لديهم (حريّتاني، 2018م، ص 21-22-23-24). كان أولياء الأمور يفضّلون الكتّاب على المدارس ويقدمونه عليها، وكان خيارهم الأفضل بعيداً عن العلوم الحديثة التي يصنّفونها ضمن علوم الإفرنج، وهذا يؤكّده الحصريّ عام (1944م) إحصائياً بقوله: "إنّ الكتّاتيب تشغل حيزاً مهماً بين معاهد التّعليم، وعددها يزيد على مجموع المدارس الرّسميّة الابتدائيّة والأوليّة الموجودة بين رسميّة وأهليّة وأجنبيّة، أمّا عدد أطفال الكتّاتيب فيبلغ ربع التّلاميذ الموجودين في جميع المدارس الابتدائيّة والأوليّة من رسميّة وغير رسميّة، ولا يقلّ كثيراً عن نصف الموجودين في الرّسميّة منها (ص 67). على الرّغم من أنّ هذه الكتّاتيب كانت أمورها غير منظّمة وابتدائيّة، فلا فيها برنامج للحصص ولا منهاج محدّد ولا أوقات معيّنة للاستراحة، ولا كادر تدريسيّ، ويستخدم العقاب البدنيّ رادعاً، ومحقّراً للاجتهاد أيضاً، ولا تمتلك البيئّة الفيزيائيّة المناسبة أيضاً؛ ذلك أنّ هذه الكتّاتيب تكون غالباً ملحقة بإحدى غرف المساجد، أو المسجد نفسه ما لم توجد فيه غرفة خاصّة للتّعليم. لذلك كلّه ولغيره عدّ قانون المعارف العام حسب المادّة (48) الصّادر سنة 1944م الكتّاتيب بأنّها: "بمنزلة مدارس أهليّة غير منظّمة، وتطبّق بشأنها أحكام المدارس الأهليّة في الأساس، ومع هذا يوضع نظام خاص لها، يكفل إصلاح أحوالها، ويؤمّن استفادة البلاد منها (الحصري، 1949م، ص 146)، مع ذاك كلّه كان التّخرّج من الكتّاب مصدر فخر واعتزاز في الحيّ، وحين يختم الولد القرآن الكريم يقيم ولي أمر التّلميذ حفلاً له بهذه المناسبة يسمّى "نشيدة". وينبغي الإشارة إلى أنّ "الكتّاتيب" لم تكن خاصّة بالمسلمين فقط، إذ كان لدى المسيحيين أيضاً

(68) الدّوبيا: من اصطلاح التّجارة، من الإيطاليّة: Doppia بمعنى الحساب المزدوج، أي أن تقام لكلّ ذمّة يتعامل معها ذمّتان: ذمّة (من) وذمّة (إلى) (الأسدي، 2009م، ص 1278).

كتاتيبهم الخاصّة في حلب، وأشهرها قديماً "كتاب المعلّم نعموم بخّاش"⁽⁶⁹⁾، وكذلك لدى اليهود "تلمود-توراة"، فإذا نجد أن الغاية الأولى للكتاتيب دينيّة ثمّ تعليميّة، واللّغة هي وعاء الفكر، وبالتالي ترتبط هذه الكتاتيب تلقائياً بتعلّم القراءة ثمّ الكتابة وغيرها من المهارات المطلوبة للتّكيف مع الحياة ومتطلّبات المجتمع. وقد ذُكر أيضاً في أكثر من مرجع أنّ الكتاتيب ليست حكراً على دين واحد، فقد كان التّلاميذ المسلمون والمسيحيون واليهود يتعلّمون في كُتّاب إسلامي، وهذا ذكره توتل (1964م): "تعليم مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب أو في المنازل الخاصّة الإسلاميّة لا يُحرم منه المسيحيّون، أمّا المدارس الإسلاميّة للشّافعيّة والمالكيّة...، ليس من المأنوس أن يجلس فيها الطّلاب غير المسلمين، وبرامج التّعليم فيها مبنية على العلوم القرآنيّة، وما إليها من معقول ومنقول، فكان للمسيحيّين معاهدهم الدّراسيّة العليا" (ص11)، أو في كُتّاب مسيحي كما ذُكر في حاشية ترجمة المعلّم نعموم بخّاش أدناه (حجار، 2011م، ص277-278).

7.4.1 - معلومات إحصائيّة

لم يذكر الحصريّ في إحصائيّة عام 1945م المدارس الابتدائيّة الأهليّة حسب عائديتها إلى طوائفها بالتّفصيل في محافظة حلب، لكنّه ذكرها بمجمل سورية، فإن أسقطنا عدد مدارس طوائف سورية على حلب، يمكن توضيح الصّورة وتقريبها تقريباً أفضل، ولقد كان عدد مدارس سورية الابتدائيّة الأهليّة عام 1945م (287) مدرسة، (77) للمسلمين، (71) للكاثوليك، (111) للأرثوذكس، (17) بروتستانت، (4) يهوديّة، (7) مختلفة⁽⁷⁰⁾.

⁽⁶⁹⁾ نعموم بخّاش (- 1875م): معلّم، خطّاط، مؤرّخ، هو نعمة الله بخّاش، مولده ووفاته بحلب، وهو من أسرة مسيحيّة عربيّة من طائفة السريان الكاثوليك، كان يقرأ العربيّة والتركيّة والسريانيّة واليونانيّة، وكان خطّاطاً ماهراً، أبرز ما قام به إنشاء مكتب لتعليم القراءة والكتابة 1827م، وظلّ يعلّم فيه (48) عاماً حتّى وفاته، ومن آثاره: خمسة دفاتر {وقد جرى تحقيقها وطبعها بعد وفاته بقرن} بمثابة مذكرات لتاريخ حلب ومجتمعها وأخبارها الدّينيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، وأخبار تلامذته، وكان معظمهم من الذّكور المسيحيّين، وكان هناك بعض الإناث والمسلمين واليهود (حجار، 2011م، ص277-278).

⁽⁷⁰⁾ ربّما يقصد الحصريّ أنّها تنتمي إلى طوائف أخرى غير الإسلاميّة والمسيحيّة واليهوديّة، ومن خلال اطلاع الباحث لم يجد هذا النّوع من المدارس في حلب نفسها، لذلك حذفها من العدد الأصليّ، حتّى تكون النّسبة أقرب لتمثيل مدينة حلب.

ويمكن تمثيل الإحصائيات السابقة بالجدول الآتية:

الجدول (15) المدارس الابتدائية الأهلية في مدينة حلب عام 1945م

جنس المدارس	الذكور	الإناث	المختلطة
عدد المدارس	38	10	21
الطائفة	الإسلامية	المسيحية	اليهودية
عدد المدارس	19	48	2
مجموع المدارس	69		
عدد المتعلمين (الذكور)	7800		
عدد المتعلمين (الإناث)	6240		
مجموع المتعلمين	14040		

الجدول (16) المدارس الثانوية الأهلية في محافظة حلب عام 1945م

جنس المدرسة	مدارس الذكور		مدارس الإناث		
مرحلتها	متوسطة	تامة	متوسطة	تامة	المجموع
عدد المدارس	1	3	1	-	5
عدد المتعلمين	411		28		439

2- نظام التّعليم في دور العبادة

إنّ دور التّعليم المألوفة هي المدارس، والمدارس تكون غالباً في جوار المعابد، وفي دائرة المعارف الإسلاميّة جاءت مادّة مدرسة مدموغة في مادّة مسجد، كأنّ دار التّعليم لا تفترق عن دار الصّلاة (توتل، 1964م، ص10)، لذا ينبغي الإتيان على هذه المؤسّسات بشيء من التّفصيل، وبيان أهمّيّتها تعليمياً في مدينة حلب، وما قدّمته من فائدة.

1.2- دور العبادة الإسلاميّة

1.1.2- المسجد والجامع

المسجد: هو البيت الذي يُسجد فيه، وكلّ موضع يُتعبّد فيه فهو مسجد، فالمسجد قد يكون صغير المساحة والحجم، والجامع: مسجد عظيم يجمع المصلّين أيام الجمع والأعياد (كرد علي، 1928م، ج6، ص4). ولقد كان في حلب عديد الجوامع المهمة، مثل جامع الطّواشي، وجامع التّوتة، وجامع العادليّة، والجامع الكبير، وغيرها الكثير.

- أنموذج عن هذه المؤسّسات "الجامع الأمويّ الكبير بحلب"

يقع في محلّة سويقة حاتم {غربي قلعة حلب}، كان موضعه في عهد الرّوم بستاناً لكنيسة القديسة هيلانة الواقعة أمامه، التي تقوم مكانها المدرسة الحلويّة اليوم {1923م}، ولما فتح المسلمون حلب صالحوا أهلها على موضع الجامع، وكان في أوّل أمره يضاوي جامع دمشق في الزّخرفة والرّخام والفسيفساء والتّأنيق، ويقال: إنّ سليمان بن عبد الملك هو الذي بناه ليضاوي به عمل أخوه الوليد في جامع دمشق، وقيل أنّه من بناء الوليد أيضاً؛ لأنّه نقل إليه آلة كنيسة "قورص"، وكانت من عجائب الدّنيا (الغزي، 1923م، ج2، ص235)، ومرّ بعد ذلك الجامع بأحداث عديدة، فقد سطا العبّاسيون عليه ونقلوا رخامه وفسيفسائه إلى جامع الأنبار قرب بغداد، وفي عام 962م أحرقه "تفقور فوكاس" ملك الرّوم، ثمّ أصلحه "سيف الدّولة الحمدانيّ"، كما أحرقه "الإسماعيليّون" عام 1169م، وأعاد بناءه نور الدّين الزّنكي، وعاد "التّتار" بقيادة هولاكو فأحرقوه عام 1260م، وأعاد المماليك بناءه عام 1285م، أمّا مؤنذته مربّعة فجُدّدت في العصر السّلاجوقي عام 1089م، وتمثّل رائعة من روائع العمارة

العربيّة الإسلاميّة، ومنبره الخشبيّ يعود إلى القرن 14م، وهو مزخرف ومرصّع بالعاج والأبنوس، وفيه ضريح للنّبّي يحيى بن زكريا (هلال، 2006م، ص196)، والجامع الكبير لم يكد يخلو في وقت من الأوقات من حلقة للوعظ والإرشاد، أو درس في الحديث النّبويّ الشّريف، أو الفقه، أو التّفسير، أو السّيرة، أو غيرها، ومن المشايخ الّذين تولّوا التّدريس فيه: الشّيخ محمّد نجيب سراج الدّين، والشّيخ جميل عقّاد، وغيرهم الكثير (كاتبي، 2006م، ص29-114)، نستطيع أن نقول: إنّ الجامع الأمويّ في حلب يمثّل حالة رمزيّة ومعنويّة وتعليميّة- كما الجامع الأمويّ بدمشق-، ففي بداية الإسلام كانت المساجد وجوامع المدينة وبيوت العلماء مراكز لنشر العلم والقيادة والاجتماع، لعدم وجود المدارس بتشكيلاتها ونظّمها الحاليّة، وكان لها إسهام فعّال خلال العهود الّتي تعاقبت على مدينة حلب حتّى العهد العثمانيّ، وكانت ترفد التّعليم الشّرعّي، أو بالأحرى هي عماد وامتداد له، لكن مع ظهور المدارس وتقسيماتها الحديثة، وخراب الأوقاف ونهبها وغير ذلك من الأسباب الكثيرة، تراجع أثرها لتشكّل مركزاً للمناسبات الدّينيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة فقط، يؤدى فيه الحكّام ورجال الدّولة الصّلاة، ومنها وإليها تغدو وتروح وفود النّاس في الحروب والمظاهرات والمناسبات وغيرها، إضافة إلى إرشاد عوام النّاس وتعليمهم وتوجيههم في الخطب وحلقات الحديث والقرآن وغيرها، وبعد عام 2010م تعرّض الجامع للدمار الشّديد، وتدمّرت مئذنته الأثريّة بالكامل، وسُرق منبره الخشبيّ الثّمين، ومنذ عام 2017م يعاد ترميم الجامع الأمويّ بمختلف مرافقه حتّى يومنا هذا عام 2022م.

2.1.2- التّكاي والزّوايا والخانقاهات

التّكيّة: من التّركيّة عن الفارسيّة: تكيّة: مجتمع الدّراويش، الخانقاه، يقابلها بالعربيّة: الرّباط والزّاوية (الأسدي، 2009م، ص739)، الزّوايا: كالخانقاهات والرّباطات إلّا أنّها تُقام فيها الأذكار، وقد كثرت بكثرة الطّرق والمشايخ المعتقدين وذلك بعد القرن السّادس الهجريّ (كرد علي، 1928م، ج6، ص140)، الخانقاهات: الخانقاه كلمة فارسيّة، قيل أصلها خونكاه أي الموضع الّذي يأكل فيه الملك، وهي زوايا الصّوفيّة، الصّوفيّة: هم نسّاك هذه الأُمّة ورُهادها، نشأت طريقتهم بعد عصر الصّحابة والتّابعين لما أخذ النّاس يتهافنون على الدّنيا، وينصرفون إلى زخرفها وزينتها، والزّاجح أنّهم نزعوا ثياب الخز والديّاج، واكتسوا الصّوف، فسُمّوا الصّوفيّة (كرد

علي، 1928م، ج6، ص133-134). تتألف هذه المؤسسات من مسجد وغرف سكن ومطابخ ومخازن وقاعات وحدائق، وفي حلب عشرات التّكايا والزّوايا، منها المنصورية والهلالية والصّيادية، كما فيها خانقاهات لمختلف الطّرق الصّوفيّة تقام فيه الأذكار والأدعية (هلال، 2006م، ص187-199).

- أنموذج عن هذه المؤسسات "الزّاوية الهلالية"

تقع جنوب محلّة الجلوم، وهي مسجد صغير قديم، جُدّد ووسّع عام 1205هـ/1790م، ويقوم بالأذكار فيه أحد أفراد العائلة الهلالية القادرية، وأصبح يعرف منذئذ بـ"الزّاوية الهلالية" نسبة إلى الشّيخ محمد هلال الرّام حمداني ابن الشّيخ عمر المتوفّى في سنة 1147هـ/1744م والمدفون في تربة الزّاوية في صحن المسجد، وقد أوصل ماء القناة إلى الزّاوية بعهد يوسف آغا بن مصطفى آغا عربي كاتبي الموصلي - أحد مريدي الزّاوية- الّذي وسّع بعده كذلك البناء كما ذكر سالفاً (الأويسى، 2003م، ص496-497). أمّا الزّاوية فقاعة مربّعة، اصطفّت على جوانبها أبواب الخلوات في طبقتين، علويّة وسفليّة، وهي (40) غرفة، أعدت لإقامة المريدن المختلين فيها "للخلة الأربعينيّة" في فصل الشّتاء، وفي زاويتي الجدار القبلي، رُفعت راية السّادة (القادرية الخلوتيّة)⁽⁷³⁾ وهي قطعة مربّعة من القماش الأسود أخذت من كسوة الكعبة المعظمة-، يصطفّ الذّاكرون أمام جدران الزّاوية الأربعة، وخلفهم أبواب الخلوات، يتخلّلهم العرفاء يضبطون إيقاع الذّكر، ويقف الشّيخ أمام المحراب، بينما يجلس المنشدون أمامه، ويقف عريفهم في وسطهم يرّد المدائح النّبويّة والموشّحات، والابتهالات الدّينيّة، وهم يرّدون معه (كاتبي، 2008م، ص289).

والزّاوية الهلالية فيها مقرّ "مشيخة الطّريقة القادرية والخلوتيّة" لشمال سورية، فهي أم الزّوايا للمنطقة، وكانت تصدر عنها إجازات للمشايع الّذين يتعلّمون فيها، ثمّ أوقفوا الإجازات لغياب وجود الكفاءة سنة

(73) الطّريقة (القادرية الخلوتيّة) في الزّاوية الهلالية: تحوّل هذا المسجد الصّغير لزّاوية صوفيّة قادرية حوالي عام 1590م، عندما قام الشّيخ علي الهلالي - الّذي جاء من العراق وعمل مدرّساً شرعيّاً في المدرسة "العصرونيّة" بحلب- بإقامة الشّعائر الصّوفيّة القادرية فيه، وتتابع الأمر من شيخ لآخر حتّى وصل الأمر للشّيخ إبراهيم الهلالي مواليد عام 1742م، والّذي اشتهرت الزّاوية أيامه بعدما سافر للقاهرة وهو شاب وتلقّى الطّريقة الخلوتيّة فيها عام 1765م، وتولّى الزّاوية عام 1789م ودمج في هذه الزّاوية الطّريقتين الصّوفيّتين القادرية والخلوتيّة (السيد، 2021م).

1279هـ/1862م، وعن شروط قبول المريدین يقول شيخ الزاوية الهلالية جمال الدين الهلالي⁽⁷⁴⁾: "لم يكن يُقبل إلا أن يكون عالماً عاملاً حتى يكون مريداً للطريقة، ثم تبتدئ مرحلة تهذيب النفس، وكان المريد يتلقى علوم عصره من رياضيات وفلك، ويُكلّف عالم لشرح دروس الرياضيات، وشرح الشعر والمنطق والمذاهب، كلّ العلوم كانت تُدرّس، وعندما يتخرّج المريد يمكن أن يفتتح زاوية، كان المريدون خريجو "الأزهر" وسواه من المدارس ومركز العلم، درسوا في الزاوية" (حري، 2018م، ص3). وأهم ما قامت به هذه الزاوية الهلالية -التي تلقّب بـ "أم الزوايا"- خلال (400) سنة ماضية هو أن استقطبت حلب في العصرين الأيوبي والمملوكي كثيرين من الأندلسيين بعد سقوط مدنهم بيد الإسبان، وحملوا معهم مئات الموشحات التي طوّر ألقانها الحلبيون، وأبرزهم الشاعر الأندلسي ابن جابر، وكان لا بد لهذا التمازج أن يتطوّر إلى ظهور الموشح الحلبي، ثم القدود الحلبيّة، والمواليل، والفصول - وأشهرها فصل "اسقي العطاش" - والأناشيد الدينيّة، وأبرز مَن تخرّجوا من هذه الزاوية: المنشد حسن الحفّار (1943-2020م)، والمطرب صباح فخري (1933-2021م) وكثيرون سواهما، وهذا ما حدا أخيراً بمنظمة الأمم المتّحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) أن تقرّر إدراج القدود الحلبيّة في مجال التّراث الفنيّ الإنساني⁽⁷⁵⁾، ضمن التّراث الثقافيّ غير الماديّ (قجة، 2021م). ومع مرور الوقت توقّفت كثير من طقوسها، فأُلغي الاعتكاف في أواخر العهد العثمانيّ، وأصبحت أوقافها تابعة لمديريّة الأوقاف بعد الاستقلال،

⁽⁷⁴⁾ جمال الدين الهلالي (1935-2019م): مواليد حلب، محلّة الجلّوم، ولد في عائلة توارثت المشيخة والعلوم منذ فجر الإسلام، تابع تعليمه الرسميّ حتّى البكالوريا عام 1958م، وتلقّى العلوم الشرعيّة عن والده وغيره من مشاهير علماء حلب، سافر بعدها إلى ألمانيا العربيّة لدراسة الطب عام 1959م، توقّف عن الدراسة وعاد إلى حلب بسبب وفاة والده عام 1966م (الشيخ عبد القادر)، عاد مجدداً لدراسة الطب في إيطاليا عام 1968م، وتخرّج عام 1973م، وعيّن في مشيخة وإمامة وخطابة جامع الزاوية الهلالية، ولم تمكّنه التزاماته في الزاوية من ممارسة مهنة الطب، وبقي يشغل هذا الموقع حتّى وفاته (كعيد، 2008م، ص312-313).

⁽⁷⁵⁾ انظر "اليونسكو" عقدت اللّجنة الدّوليّة الحكوميّة لصون التّراث الثقافيّ غير الماديّ اجتماعها السنويّ عبر الإنترنت في الفترة الممتدّة من (13) إلى (18) كانون الأوّل/ديسمبر عام 2021م، وأدرجت خلاله أربعة عناصر في قائمة اليونسكو للتّراث الثقافيّ غير الماديّ الذي يحتاج إلى صون عاجل (39) عنصراً في القائمة التمثيلية للتّراث الثقافيّ غير الماديّ للبشريّة ومنها عنصر للجمهورية العربيّة السّوريّة وهو القدود الحلبيّة، وفيما يلي تعريف اليونسكو لـ "القدود الحلبيّة": هي أحد أنواع الموسيقى التقليديّة ذات اللّحن الثّابت التي اشتهرت بها مدينة حلب، وتُغنّى في المناسبات الدينيّة ولأغراض ترفيهيّة بمرافقة فرقة موسيقيّة، وتتغيّر كلمات القدود تبعاً للمناسبة التي تُغنّى فيها. وقد حافظت القدود على عناصرها التقليديّة على الرّغم من تأثّرها بالتّغيّرات الاجتماعيّة، ولا تزال تُؤدّى في جميع أنحاء المدينة. وهي جزء حيويّ من النّقافة الحلبيّة وتعتبر مصدراً تُستمد منه القدرة على الصّمود، ولا سيّما في أوقات الحرب. وتُثقل ممارسة القدود بطرق غير رسميّة من الموجهين إلى الشّباب، وبطرق رسميّة عبر المناهج الدّراسيّة والبرامج التي تُبث في وسائل

الإعلام. <https://ar.unesco.org/news/drj-43-nsran-jdydan-fy-qwym-lywnskw-lltrth-lthqfy-gyr-lmdy>

وغير ذلك...الخ، ولكن بقي فيها الذّكر والإنشاد الصّوفيّ بعد صلاة العصر كل يوم جمعة، وكان لها فرقة لإحياء حفلات الإنشاد الدّينيّ والرّقصة المولويّة، وبعد عام 2010م أُزيلت أضرحة علمائها من صحن الرّأويّة، ولم تتعرّض الرّأويّة الهلاليّة للضرر، وهي الآن جامع لأداء الصّلوات الخمس، وما زالت تقام فيها الأذكار والأنشيد.

من خلال ما سبق يمكن القول: إن هذه المؤسسات لا تُصنّف ضمن إطار مؤسسات التّعليم النّظاميّة، بل هي رديف له، وربّما يمكن عدّها جزءاً أصيلاً في زمن من الأزمنة وخاصّة في العهد العثمانيّ، وتقوم بتثقيف العامّة من النّاس وتهذيبهم، والمعتكفين بها، أو الملازمين لها ب حلقات الذّكر والقرآن والحديث إلى جانب بعض العلوم الابتدائيّة الّتي تُعين الإنسان في حياته اليوميّة، وكانت تتوفّر كلّ المستلزمات والتكاليف من أوقاف الرّأويّة، فالغاية منها أساساً تعبديّة والوسيلة تعليميّة.

2.2- دُور العبادة المسيحيّة

1.2.2- الكنائس والأديار⁽⁷⁶⁾

الكنيسة: من العربيّة، معبد النّصارى، ومعبد اليهود أيضاً (الأسدي، 2009م، ص2557)، الدّير: من العربيّة مقام الرّهبان أو الرّاهبات، وانتشرت الرّهبة في القرن الرّابع الميلاديّ، وجعلوا الدّير حصيناً ليكون -وهو منعزل- في مأمن (الأسدي، 2009م، ص1290). والكنائس المسيحيّة قديمة من قبل الفتح الإسلاميّ، ولكن لم يبقَ من تلك الكنائس ولا كنيسة واحدة، وأقدم الكنائس الموجودة الآن في حلب لا تعدو العصر المملوكي (طلس، 1956م، ص297)، وأدّت الخلافات المذهبيّة إلى تعدّد الطوائف المسيحيّة، والأحداث التاريخيّة عمّقت هذا التّعدّد، خاصّة انقسام الإمبراطوريّة الرّومانيّة إلى: شرقيّة بيزنطيّة في القسطنطينيّة طابعها يونانيّ، وغربيّة في روما طابعها لاتينيّ، وتبدّدت الخلافات المذهبيّة بين الطوائف الكاثوليكيّة الشرقيّة والمارونيّة بعد ارتباطها بالكنيسة الغربيّة في روما، وبالرّغم من ذلك فإنّها لم تتوحّد في طائفة واحدة، نتيجة لتمسك كلّ طائفة بتاريخها

(76) ويقولون في جمع الدّير: أديرة على "أفعلة"، وهذا الجمع غير منقول، ولا هو ممّا يصحّ في القياس، لأنّ "أفعله" خاص بما ثالثه حرف مد، والصّواب في جمعه: أديار وديورة (الأسدي، 2009م، ص 1290).

وتنظيمها البطرقي وطقوسها الدّينية، ولغتها الطّقسيّة التّاريخيّة من سريانيّة أو يونانيّة أو أرمنيّة، إضافة إلى اللّغة العربيّة الّتي لا ترغب باستبدالها بالطّقس الغربيّ لكنيسة روما الّتي تستخدم اللاتينية (هلال، 2006م، ص203-204). ومن الكنائس المهمّة في مدينة حلب، كنيسة الأربعين شهيد، وكنيسة المواردنة، وكنيسة اللاتين، وغيرها الكثير.

- أنموذج عن هذه المؤسّسات "كنيسة اللاتين"

تقع في محلة العزيزيّة، وهي من أعظم كنائس حلب، كانت كنيسة صغيرة مبنية وسط مقابر المسيحيين، ثمّ أعيد بناؤها وشيّدت عام 1937م مع الدّير المجاور لها (الأسدي، 2006م، ص279-280)، ويضم هذا الدّير متحفاً يحتوي على تراث الطّائفة وسجّلاتها منذ عام 1563م وكتبها القديمة، ومنها أوّل إنجيل طبع باللّغتين العربيّة واللاتينيّة عام 1591م، وألبسة الطّقوس الدّينيّة ومصوغاتها، وعديد من اللّوحات الفنّيّة، ومنها لوحة تعود إلى القرن السّابع عشر (هلال، 2006م، ص208). منذ الفتح الإسلاميّ في سنّة 638م/16هـ أمّن أبو عبيدة الجراح للمسيحيين الحرّيّة الدّينيّة، فبقيت كنائسهم، وإلى الكنيسة ترجع المدرسة، كأنّها جناح للتّعليم الدّينيّ والمدنيّ، ورجال الكنيسة مقيّدون بواجب تعليم البشر عامّة والنّاشئة خاصّة خلال كلّ العهود، ولقد كان عدد الكنائس المسيحية موازياً لعدد المدارس، ودور التّعليم المألوفة هي المدارس، وهذه المدارس تكون غالباً في جوار المعابد، الّتي ينشأ فيها الرّهبان الّذين يتعلّمون ثمّ يعلمون، وذلك ضمن الحلقات النّقائيّة المتسلسلة في القرون السّابقة، وكانت هذه الحلقات تتمتّع بلوعة الذّكاء، ونبراس المعارف، ولو لم تكن لهؤلاء الرهبان مدارس لما تخرّج بينهم العلماء الّذين نقلوا إلى العربيّة الكتب اليونانيّة والسّريانيّة (توتل، 1964م، ص10-11)، لقد كان المسيحيّون من رواد اللّغة العربيّة، وتمسّكوا بها -كما المسلمين-، وعملوا على وضع الكتب وتأليفها بالعربيّة، خاصّة في العهد العثمانيّ وما تلاه، ناهيك عن تأثيرهم النّقائيّ المتعدّد، فقد كانوا يجيدون أكثر من لغة، وهذا ما جعلهم صلة الوصل بين اللّغات الأجنبيّة واللّغة العربيّة، والمسيحيّون سواء بكنائسهم أو أديارهم أو مدارسهم شاركوا في رسم الوجه التّعليميّ لسورية وحلب مشاركة فعّالة ومهمّة، وقدّموا خدمات جليّة رفعوا بها سويّة التّعليم عامّة، واللّغة العربيّة خاصّة، فكانوا أحد أسباب نمو التّعليم وازدهاره.

3.2- دور العبادة اليهوديّة

1.3.2- الكنس (معابد اليهود)

ذكرت المصادر التّاريخيّة عدداً كبيراً من المعابد اليهوديّة، وقد نقل الغزّي عن أحد الحاخامات عدد ثمانية عشر كنيساً في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر (الغزي، 1923م، ج1، ص200)، إن عدد الكنس اليهوديّة يدلّ على وجود طائفة يهوديّة كبيرة في حلب، منتشرة في المدينة والضّواحي، وفي البلدات القريبة ك تادف (حريتاني، 2008م، ص33)، ويُعدّ معبد تادف من أقدم معابد الموسويين في شمال سورية، بجوار بلدة الباب، وقيل بأنّه كان يحتوي على كتابة عبريّة، ترجمتها: "هنا يجلس عزرا الكاتب يكتب التّوراة"، وكان هذا الكاتب قد عاد من السّبي البابلي إلى تادف، وبدأ يكتب أسفار العهد القديم بالّلغة الآراميّة (هلال، 2006م، ص209) وقد عدّد الطّبّاخ (11) كنيساً عام 1924م، منها الكنيسة الصّفراء الكبيرة، وكنيس حاخام موسى دباح، وكنيس الجميليّة، وغيرها (الطّبّاخ، 1988م، ج3، ص438).

- أنموذج عن هذه المؤسّسات "الكنيسة الصّفراء"

تقع في بحسيتا، وصفها الغزّي (1923م، ج2) بأنّها: من أقدم الآثار العامرة التي اطلّعتُ عليها في مدينة حلب، وبعض اليهود يدّعون أنّها من آثار أيوب بن سيرويا قائد جيش داود عليه السّلام، وأنّه بناها حين ضرب "داود" الآراميين بحلب ووادي الملوحة، وبحسب الرّموز والعبارات التي نقشت عليها ولفظها سريانيّ وقلمها آشوريّ أنّ المتبرّع ببناء هذه البنايات و"التّبه" (سدة مُعدّة لوقوف رئيس دين اليهود) السيّد الرّباني إبراهيم كوهن بن يعقوب، وقد مضى على عمارة هذه البيانات و"التّبه" 515 سنة حسب النّقوش المرسومة. وهذه الكنيسة عمارة مستطيلة من الغرب إلى الشّرق، فيها مقام للخضر عليه السّلام، وفيها حجرة قد حُفظ فيها نسخة من التّوراة القديمة المكتوبة في درج على رق يقولون إنّ إحداها أقدم توراة في العالم "المعروفة باسم "توراة حلب" / "Aleppo Codex" (ص211-212-213-214)، وتعود هذه التّوراة إلى القرن العاشر الميلاديّ، وقد كُتبت في طبريّّا، وادّعى اليهود عند خروجهم من حلب عام 1947م أنّها احترقت في كنيسهم في حلب، وثمّ تبيّن أنّها لم تحترق، وإنّما نقلوها تبعاً إلى دولة الكيان الصّهيونيّ (هلال، 2006م، ص210). ولقد كان هذا المعبد مكاناً للعبادة

ومدرسة للتّعليم (الأسدي، 2006م، ص131)، وينطبق عليها ما ينطبق على كلّ المراكز الدّينيّة، ويشتمل على حلقات التّعليم كما الجوامع والكنائس وغيرها من المعابد، يضاف إلى ذلك وجود "توراة حلب" في مدينتها عن سائر المدن يعكس عكساً كبيراً مدى أهميّة حلب التّاريخيّة والعلميّة والدّينيّة على مرّ العصور، ويستخدم اليهود اللّغة العربيّة في تعليمهم وحياتهم اليومية، وقلّ استخدامهم للّغة العبريّة إلّا في إلقاء التّحيّة أو قراءة بعض تعاليمهم الدّينيّة، وكانت هذه المعابد تتضمّن أيضاً مخطوطات وبعض المكتبات المهمّة، وهي تمثّل رافداً مهماً للتّعليم لديهم.

نلاحظ مما سبق: إن الجوامع والكنائس والكُنُس ذا قيمة وظيفيّة إلى جانب العبادة، فغالباً ما تلحق بها المدارس أو الكتاتيب لتعليم الأطفال، أو قسطل لتوزيع المياه، وكان من ألوان الاجتماع والثّقافة حضور أهل الحيّ حلقات الدّرس، والمناسبات الدّينيّة المختلفة فيها، لكنّها أخذت تفقد تأثيرها الوظيفيّ، واكتفت بكونها مكاناً للعبادة فقط، وتلاشت أو تقلّصت منها حلقات التّدريس شيئاً فشيئاً، ولن يورد الباحث دُور العبادة ضمن إحصائيّة التّعليم النهائيّة لهذا البحث؛ لأنّها لا تشتمل على نظام تعليميّ واضح، فهي تقبل وتُعَلِّم كلّ الأعمار والفئات، ولا ندري هل كانت تُعَلِّم القراءة فقط؟، أم القراءة والكتابة؟ أم كلّ ذلك مع مهارات أخرى كالحساب -مثلاً-؟، ومن الصّعب جدّاً إحصاء عدد متعلّميها، وغير ذلك من أساسيّات نظم التّعليم، ثمّ إنّّه في عهد الانتداب الفرنسيّ قلّت دور العبادة كمراكز للتّعليم، لانتشار تشكيلات المدارس الحديثة، ورغم ذلك ينبغي الإشارة إليها من باب الإحاطة.

الجدول (17) دور العبادة في مدينة حلب عام 1343هـ/1925م

نوع المؤسّسة	عددها
الجوامع	120
المساجد	180
الزّوايا والنّكايا	34
الكنائس المسيحيّة	16
الكُنُس اليهوديّة	11
المجموع	361

(الطباخ، 1988م، ج3، ص435-436-437-438)

إن هذا العدد الكبير لدور العبادة يدل على أهميّتها، لا سيما إذ ما قارناه بعدد متعلمي الكتاتيب، إذ أنّ أغلب الكتاتيب كانت مرفقة بدور العبادة، وذلك يفسّر وصول عدد أطفال الكتاتيب إلى (7027) متعلّماً في مركز مدينة حلب عام 1944م مقابل (361) داراً للعبادة عام 1925م التي غالباً ما استمرّت على حالها، نظراً لانتشارها في كلّ أحياء المدينة، وقربها من سكن رعاياها، وثقتهم واعتيادهم عليها.

خاتمة

لقد قام التّعليم الأهلي (الخاصّ) بخدمة جليّة لمنظومة التّربية والتّعليم الرسمية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أدار شؤونها كما ينبغي، وقَدّم جودة تربويّة وتعليميّة تفوّقت على الكثير من أنواع المدارس الأخرى، فأصبح محطّ ثقة المجتمع، لذلك حاولت فرنسا استمالة هذه المدارس ودعمها، واستخدامها أداة في سياساتها الاستعماريّة، إلّا أنّ أغلب عناصر المجتمع الحلبّي واجهت هذه المحاولات بالتأكيد على المبادئ والثوابت الوطنيّة، وانحازت إلى الحكومة الرّسميّة وأهدافها.

الفصل الخامس

أبرز رواد الفكر التربوي والتعليمي في مدينة حلب ما بين عامي 1918-1946م

مقدمة

1- فئة الأعلام

1.1- الأساتذة (المدارس الرسمية والخاصة)

- أنموذج عن المعلمين الأساتذة " العلامة خير الدين الأسدي (1900 - 1971م)"

2.1- الشيوخ (المدارس الأهلية الإسلامية الوقفية والخاصة)

- أنموذج عن المعلمين الشيوخ "الشيخ محمد راغب الطباخ (1877-1951م)"

3.1- الرهبان والقساوسة والمطارنة والأساقفة والبطاركة... الخ (المدارس المسيحية)

- أنموذج عن المعلمين المسيحيين "المطران إيسيدروس فتال (1886-1961م)"

2- فئة المديرين والمدرسين

1.2- الحاخامات والأساتذة اليهود (المدارس اليهودية)

- مجموعة مختارة

2.2- المستشرقين والمعلمين الأجانب (مدارس الإرساليات الدينية والأجنبية)

- أنموذج عن المستشرقين والمعلمين الأجانب "الدكتور ألفورد كارلتون (1903-1983م)"

3- فئة المربين والمعلمين

- أنموذج عن المربين والمعلمين "المرتبعة عائشة الدباغ (1927-2020م)"

4- الحركة الكشفية ونظام الفتوة

5- رواتب المعلمين والمدرسين

خاتمة

مقدمة

للإحاطة بوضع التعليم في حلب إحاطة جامعة وشاملة، لا بد من التعرف أخيراً إلى أبرز القائمين عليه والعاملين فيه من جهة، وعرض عينة مما قدّمه المعلمون في رسم السياسة التربوية، وتأليف المناهج المدرسية والاختصاصية، وما مارسوه من طرائق وتقنيات تعليمية من جهة أخرى، فمن المعلوم أنّ كلّ مكونات العملية التربوية التعليمية سالفه الذكر وغيرها لن تكون قادرة على إتمام أهدافها على أكمل وجه إلا بوجود المعلم المتمكّن والمتقن والمجيد، وبالتالي انعكاس جهوده هذه على تقدّم نظام التعليم، الذي بدوره يؤدي إلى تحقيق الغايات المنشودة بأعلى جودة ممكنة. وقد حاول الباحث عرض عينة تمثل أبرز التيارات الفكرية التربوية والتعليمية من أساتذة وشيوخ ورهبان وحاخامات ومستشرقين نظّروا أو عملوا أو نشؤوا في ميدان التربية والتعليم في مدينة حلب خلال مدة البحث، إضافة إلى ذكر نموذج من الإنث، وبنوّه الباحث إلى تفاوت طبيعة الحديث ومدته عن كلّ شخصيّة، نظراً لمدى توقّر المعلومات، وقد وزّع الباحث هذا الفصل إلى ثلاث فئات هي: فئة الأعلام، فئة المديرين والمدرسين، فئة المربين والمعلمين.

1- فئة الأعلام

يقول مبيض (2004م): إنّ مصطلح "أعلام" مفردة "علم"، ومسألة تحديدهم هي نسبية وتُقاس حسب عصرهم، غير أنّ ما يتفق عليه الكثيرون هو أنّ كلّ من قدّم علماً أو فكراً أو أدباً أو فناً أو إسهاماً اجتماعياً متعارفاً عليه يعدّ علماً في مجاله واختصاصه (ص22).

1.1- الأساتذة (المدارس الرسمية والخاصة)

تُطلق غالباً لفظة "أستاذ" على المعلمين الذين يمارسون مهنتهم في المدارس الرسمية، والمدارس غير الدينية، وتشتمل هذه الفئة على عشرات المربين والمعلمين البارزين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: المربي ساطع الحصري (1882-1968م)، الدكتور عبد الرحمن الكيالي (1887-1969م)، الأستاذ محمد نجيب باقي

زاده (1878-1953م)، الشاعر المربي سليمان العيسى (1921-2013م)، العلامة خير الدين الأسدي (1900-1971م)، الدكتور جميل محفوظ (1914-1985م)، وغيرهم الكثير.

- أنموذج عن المعلمين الأساتذة " العلامة خير الدين الأسدي (1900 - 1971م)"

على الرغم من وجود عشرات المعلمين البارزين في هذه الفئة إلا أن اختيار الأسدي يعود إلى ما قدمه في مختلف الميادين من إنتاج قيم، ولأنه كان رجلاً متعدد المواهب والمهارات، ولم ينل كذلك حقه كما ينبغي من الاهتمام والدراسة. وتجدر الإشارة إلى أن الأسدي زاول مهنة التعليم طيلة حياته، إلا أنه لم يُدرَس من هذا الجانب التربوي التعليمي، ربما لأن الأسدي يعدُّ علامة لغويًا بالدرجة الأولى، وقد يكون مرد هذا إلى أن الباحث لم يعثر على أية دراسة متكاملة عن الأسدي بعده معلماً أو مربيًا أو مفكرًا تربويًا، على الرغم من تحليله بفلسفة تربوية مبتكرة، ترجمها عبر تأليف عديد الكتب المدرسية مثل: "قواعد الكتابة العربية"، وكتب اختصاصية مثل: "الموسوعة في النحو"، فضلاً عن ممارسته طرائق وتقنيات تعليمية مشوقة وجذابة وسابقة لأوانها آنذاك.

1 - حياته

علامة، مؤرخ، باحث، أديب، شاعر، مترجم، صحفي، مذيع، مُعلم، رحالة... الخ. ولد محمد خير الدين الأسدي عام 1900م، في حيّ "الجلوم" بقلب مدينة حلب القديمة لأب هو الشيخ عمر رسلان "أسد"، الذي كان من رجال الدين، ويعمل أستاذاً (الملاح، 2015م، ص1)، تلقى أولى الصدمات في سن المراهقة بسبب طلاق والديه، يتلو ذلك حادثة بتر يده في أثناء مسرحية مدرسية، مما أحدث انقلاباً في حياته، وبعدها توفي والده عام 1940م، ثم والدته مطلع الخمسينيات (مكاسي، 2016م، ص9-11-12). وفي عام 1956م تعرّضت مدرسة "اللايك" الفرنسية التي يعمل بها للإحراق في مظاهرة شعبية - بعد العدوان الثلاثي على مصر - حصل على إثرها على تعويض مادي، اشترى به أسهماً في شركة الغزل والنسيج، لكن في الستينيات زمن الوحدة السورية المصرية أُممت هذه الشركة، وبقي بلا مورد (سليمان، 2018م، ص26-27-33)، ولقد أمضى سنين عمره ليس له من مورد يرتزق به سوى ما كان يتقاطر من مهنة التعليم والأحاديث الإذاعية، وكانت هذه الظروف العائلية والشخصية السبب في عزوفه عن الزواج، فتفرّغ للعلم والتأليف (عبد المحسن، 2017م، ص41-59)،

ولقد آثر الأسدي أواخر حياته أن ينتقل إلى دار العجزة، فتوفي 29 كانون الثاني من عام 1971م، فأرسلته للدفن، ولم يُعرف مكان قبره! (الملاح، 2015م، ص3).

2- مؤهلاته العلمية

تلقى تعليمه في مكتب شمس المعارف، والمدرسة العثمانية، وتابع في المدارس الرسمية حتى بلغ الرشدية - تعادل الثانوية الآن-، ثم ما لبث أن تابع تحصيله العلمي معتمداً على نفسه بالمطالعة الخاصة (مكانسي، 2016م، ص14). ومن أبرز معلميه: الشيخ بدر الدين النعساني⁽⁷⁷⁾، والشيخ محمد الحنفي⁽⁷⁸⁾، وغيرهم من فحول العلماء، ومن أبرز من تأثر بهم عبر المطالعة: حافظ الشيرازي⁽⁷⁹⁾، وابن عربي⁽⁸⁰⁾، وغيرهم (عبد المحسن، 2017م، ص37-60)، وقد درس بمدرسته العثمانية اللغة العربية، والتركية، والفارسية، والفرنسية، والإنكليزية (سليمان، 2018م، ص13)، اهتم بدراسة كتب التاريخ والفلسفة والأدب والنصوف والتراث، وعرف عدّة لغات شرقية (عبد المحسن، 2017م، ص22-133-134).

3- خبرته العملية/المهنية

احترف الأسدي التعليم فدرس مادة اللغة العربية، أدبها ونحوها وصرفها وبلاغتها، في مدارس عدّة عربية وأجنبية، في مدينة حلب منذ عام 1918م، مثل: المدرسة "العربية"، والمدرسة "الشرقية"، ثم المدرسة "الفاروقية"،

(77) بدر الدين النعساني (1881-1943م): عالم موسوعي الثقافة، وشاعر مجيد، وأديب ناقد، درس في الأزهر، وسافر إلى الهند والجزائر وليبيا وتونس، فحاضر ودرس وحزّر المقالات في الجرائد، منذاً بالاستعمار، ثم رُحّل إلى حلب، فعمل مدرّساً في المكتب السلطاني، ودار المعلمين، ومدرسة اللايك، وغيرها، وكان عضواً في المجمع العلمي العربي له العديد من المؤلفات، منها: "الإرشاد والتعليم" (كاتبي، 2008م، ص162-163-164-166).

(78) محمد الحنفي (1875-1923م): فقيه ومفسّر ونحوي، جاور في الأزهر لأربع سنوات، ثم عاد لحلب وجاور في المدرسة العثمانية، تقلّد العديد من الوظائف، منها: مترجماً لجريدة الفرات الرسمية الناطقة بالتركية، وكاتباً في المجلس الإداري لمدينة حلب، ومدرّساً للعلوم العربية في العديد من المؤسسات التعليمية، مثل: دار المعلمين، والمدرسة الخسروية والعثمانية، له العديد من المؤلفات، منها: "كتاب كبير في أصول اللغة واشتقاقها" (مبيض، 2004م، ج1+2، ص577).

(79) حافظ الشيرازي (1389م): من أكبر شعراء إيران المتصوّفين، اشتهر بغزلياته التي تدعو إلى الزهد والنصوف، له ديوان شعر "أغاني شيراز أو غزليات حافظ الشيرازي" (جابر، 1988م، ص19).

(80) ابن عربي (1165-1240م): محي الدين ابن عربي، الملقّب بالشيخ الأكبر، فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كلّ علم، ولد في الأندلس، زار الشام وبلاد الروم، والعراق، والحجاز، استقرّ أخيراً في دمشق، وتوفّي فيها، له نحو أربعمئة كتاب ورسالة، وعشر مجلّدات في النصوف وعلم النفس، وكتب عنه قدحاً ومدحاً (الزركلي، 2002م، ج6، ص281).

ودرس في مدرسة "الهايكازيان" الأرمنية، ومدرسة "الإليانس" اليهودية، ومدرسة "النرسانتا"، وفي الكلية العلمانية "اللايك"، وفي مدارس مديرية التربية بحلب، من مثل: ثانوية "الكواكبي"، وإعدادية "إسكندرون"، وإعدادية "الحكمة" (عبد المحسن، 2017م، ص 40-41). لعل أبرز من تتلمذوا على يديه، أو تأثروا به: الدكتور ناهد كوسا، الدكتور محمد حسن عبد المحسن، الأستاذ محمد كمال⁽⁸¹⁾، وغيرهم.

4- مكتبته

ويحدثنا الأسدي (1961م) عنها: "جمعت مكتبة حافلة يصفها "دي طرازي" في كتابه: (المكتبة العربية في الخافقين) بأن: "مكتبة الأسدي من أكبر الخزائن في سورية ولبنان".

5- مناصبه

أسندت إليه وظيفة قيم فرع الاختصاص {أمين المكتبة} في دار الكتب الوطنية بحلب ليرشد الباحثين والمؤلفين إلى المراجع عام 1946م (سليمان، 2018م، ص 28-29)، عُين كذلك نائباً لرئيس "جمعية العاديات" وأميناً لسرها في حلب 1950م (فضة، 2015م، ص 1).

6- شخصيته العلمية وميادينه وإنتاجاتها

قدم الأسدي نتاجاً في عديد من الميادين، فقد كان:

باحثاً: طلب الأسدي (1961م) منحه التفرغ العلمي، وأديباً: أمضى (28) عاماً بكتابة مخطوط عن "ليس" بلغ (600) صفحة (عيسى، 2006م، ص 24). **ومحققاً لغوياً:** ألف كتابه "حلب": الجانب اللغوي من الكلمة عام 1951م، **وشاعراً:** فله ديوان "أغاني القبة" 1951م، **ومترجماً:** بالمشاركة في ترجمة ملحمة إلى العربية "عروج أبي العلاء المعري" 1940م، للشاعر الأرمني "أفيديك إسحاقيان"، **ومؤرخاً:** فآلف في الأدب الشعبي "موسوعة حلب المقارنة" عام 1987م (عبد المحسن، 2017م، ص 63-70-78). **ورحالة:** فيروي الأسدي (1961م)

⁽⁸¹⁾ محمد كمال (1938- م): مربي، شاعر، أديب، محقق، باحث، ولد في حلب، حاصل على إجازة في اللغة العربية من جامعة دمشق عام 1964م، ودبلوم تربوي عام 1965م، عمل مدرساً في مدارس حلب وجامعتها من مؤلفاته: "جذور الكلام العامي"، ومجموعة شعرية باسم "حريق الفصول"، حقق الكثير من كتب التاريخ والتراث، أبرزها: "إعلام النبلاء بتاريخ الشهباء" للطباخ، و"موسوعة حلب المقارنة" للأسدي (الموسوعة التاريخية، 2016م-ب).

أنّه زار مختلف بلاد العالم، ومكتباتها، ومتاحفها. **ومصوّراً:** فلقد مسح بصوره محافظات سورية وأحيائها (هلال، 2011م، ص39). **ومذيعاً:** خلال السّتينيات قدّم برنامجاً إذاعياً في إذاعة حلب مساء كلّ جمعة (سليمان، 2018م، ص34). **وقاصّاً:** وكان له قصص مترجمة ومقتبسة ومروّية بتصرّف، مثل: "الأمير السعيد" و"العلاق الأناني" عام 1944م (سليمان، 2019م، ص2). وله كذا مؤلّف في هذه الميادين وغيرها.

7- فكره التربوي

بعد اطلاع الباحث على المصادر ذات الصّلة، يمكنه تلخيص الفكر التربوي لدى الأسدّي بأنّه واكب الفكر التربوي المعاصر، فسبق فيه مربّي عصره، ويمكن إيجاز ذلك بالنّقاط الآتية: **السياسة التربويّة:** نبذ التقليد والتّوريث وقدّم التّربية على التّعليم، فجعل المتعلم محور العمليّة التربويّة، واستخدم اتّفاقيّة سلوكيّة في تعامله مع المتعلّمين، وعزّزها بالنّوَاب والعقاب، وكلف المتعلّمين بأنشطة لا صفيّة تدمج التّعليم بالتّراث والثّقافة. **منهج التّعليم:** ترجم سياسته من خلال تأليف عدّة كتب مدرسيّة واختصاصيّة -معتمداً مبدأ الاستقراء بذلك- مثل: "قواعد الكتابة العربيّة" و"البيان والبديع"، و"الموسوعة في النّحو". **طرائق التّعليم:** استخدم عديداً من استراتيجيّات التّعلّم النّشط التّفاعليّة، مثل: التّمثيل الفنّي والمسرحي، ولعب الأدوار، والسرد القصصيّ، والتّعلّم التّعاونيّ. **تقنيّات التّعليم:** أورد الباحث استخدام الأسدّي تقنيّة تعليم خطّ المتعلّمين وتحسينه، وكذلك تقنيّة تلحين قواعد اللّغة العربيّة كأغنية، ممّا يساعد على بقاء أثر التّعلّم.

2.1- الشيوخ (المدارس الأهليّة الإسلاميّة الوقفيّة والخاصّة)

تطلق لفظة "الشّيوخ" على علماء الدّين الإسلاميّ من مدرّسين وأئمّة وخطباء وغيرهم، وقد ترجم كاتبني (2008م) في كتابه الموسوعي "علماء من حلب في القرن الزّابع عشر هجري" {1883-1980} لعدد كبير من العلماء وصل إلى (120) ترجمة، ونشير إلى أبرزهم خلال مدة البحث على سبيل المثال لا الحصر: الشّيوخ محمد راغب الطّبّاخ (1877-1951م)، الشّيوخ بدر الدّين النّعساني (1881-1943م)، الشّيوخ كامل الغزّي (1853-1933م)، الشّيوخ محمّد جميل العقّاد (1896-1968م)، الشّيوخ محمّد نجيب سراج الدّين (1857-1954م)، الشّيوخ مصطفى الزّرقا (1904-1999م)، وغيرهم الكثير.

- أنموذج عن المعلمين الشيوخ "الشيخ محمد راغب الطباخ (1877-1951م)"

1- حياته

علامة، محدث، مؤرخ، فقيه حنفي، مفكر ومصلح تربوي، معلم، صحفي... الخ. وُلد في حي "باب قنسرين" بحلب القديمة، وكانت أسرته قد جمعت بين التجارة والعلم والتصوف، وتجارتهم جعلت جده هاشم يعتذر عن منصب القضاء على الآستانة؛ لأن لهم صنعة أغناهم الله بها، وهي صناعة "البصم"⁽⁸²⁾ توارثوها أباً عن جد، وقد جمع والده محمود بين العلم بأحكام الفقه وتجارة البصم، وعمه عبد السلام ينتقل بين علوم اللغة والفقه...، وكان جده أحد مريدي الطريقة "الخلوتية القادرية" في الزاوية الهلالية، وقد تبع الشيخ الطباخ مسيرة عائلته (الطباخ، 1988م، ج1، ص10)، فدأب على تحصيل العلم على نخبة من أفاضل حلب، وظلّ معروفاً ومشهوراً طيلة حياته في ميادين العلم، وامتهن التدريس، فكان من الأوائل الذين دعوا للتعليم باللغة العربية، وألّفوا فيها كتباً مدرسية، فضلاً عن ذلك جاهد ضد الاستعمار، عبر طبع المنشورات الثورية عام 1926م، فاعتقل الفرنسيون ابنه من دار المطبعة وعذبوه حتى استشهد، كما أحرقوا مكتبة منزله الخاصة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل واجه مشاكل كثيرة حين قرّر ترقية وضع المدارس الأهلية الإسلامية (الوقفية)، بتوحيد المدارس وتعديل سياساتها، عبر إدخال المواد الكونية، وإنشاء الملاعب الرياضية، فتعرض لحملة تكفير من زملائه وأقرانه. كما بقي مشهوراً في مضمار التجارة حتى انتخب عضواً في غرفة تجارة حلب، إضافة إلى عضويته في عديد من اللجان والجمعيات والهيئات التجارية والتاريخية والعلمية والإسلامية، توفي في (29) حزيران، وشيّع جثمانه في موكب حافل من العلماء والوجهاء وطلاب المدارس إلى مرقد الأخير، في تربة "السنبلة" بحلب (مبيض، 2004م، ج1+2، ص169-170-171-172-173).

2- مؤهلاته العلمية

ختم القرآن الكريم وهو في الثامنة من عمره في أحد الكتاتيب، وشرع في الكتابة والخط على الشيخ "محمد العريف" الخطاط المشهور، ثم درس في المدرسة "المنصورية" (الحكومية)، تعلم خلالها مبادئ اللغات

⁽⁸²⁾ صناعة البصم: طباعة نقش الشاش الأبيض بأنواع من الزخارف النباتية، ليتخذ منه المناديل والعصائب وغيرها (كاتبي، 2008 م، ص189).

التركية والفارسية والفرنسية، ثم سافر إلى الحجاز مع والده، وعاد إلى حلب مجاوراً في المدرسة "الشعبانية"، فحفظ الأجرومية في النحو، والجوهرة في التوحيد، والإيساغوجي في المنطق، وشيئاً من ألفية ابن مالك، وغير ذلك الكثير من العلوم العربية والشرعية، كما درس أيضاً في المدرسة "العثمانية" و"الإسماعيلية" (عيتابي وعثمان، 1993م، ج1، ص92)، وطلب الشيخ الطباخ العلم في كل مكان، باحثاً عن شيوخ يأخذ عنهم مختلف العلوم الشرعية وعلم الحديث خاصة، فالتقى عدداً كبيراً من العلماء في حلب ودمشق وحمص ومكة المكرمة والمغرب وبيروت ومصر والهند، واستطاع الحصول على أكثر من خمس عشرة إجازة... (كاتبي، 2008م، ص190)، وإذا ما تعرّث على الشيخ السفر واللقاء المباشر بأحد العلماء، عمد إلى مراسلته، فقد راسل عدداً من العلماء والأدباء والمستشرقين، منهم: الدكتور داود الجليبي في الموصل، وأحمد تيمور باشا، والأمير شكيب أرسلان، وكذلك المستشرق Krenkow (كرنكو)، و Margoliouth (مرجليوث)، و Sussheim (سوسهايم)، فأفاد منهم وأفادوا منه في كثير من الشؤون المتعلقة بالثقافة الإسلامية، والمخطوطات العربية (الطباخ، 1957م، ص9-18)، ومن بعض أبرز شيوخه الذين لازمهم: الشيخ محمد الزرقا، والشيخ محمد بشير الغزي⁽⁸³⁾ (كعيد، 2008م، ص1021)، لقد كان شغوفاً بالعلم والمطالعة، والنسخ، والترحال، والاتصال بالعلماء، وذلك ربّما شكّل لديه تعويضاً عن الدراسات العليا والشهادات الجامعية، فتكوّنت له ثقافة عالية ونوعية.

3- خبرته العملية/المهنية

عمل في الإدارة التربوية والمدرسية فكان عضواً في معارف ولاية حلب، وتسلم كذلك إدارة المدارس الدينية، إضافة إلى مزاولته التعليم والتدريس طيلة حياته، فعُين مدرساً للغة العربية والإنشاء والعلوم الدينية في "الكلية الفاروقية التجهيزية" عام 1918م، كما عُين كذلك عام 1921م في المدرسة "الخسروية" لتدريس السيرة النبوية والحديث ومصطلحه، ثم التاريخ والثقافة الإسلامية (الطباخ، 1939م، ص21). ولديه الكثير من الطلاب

⁽⁸³⁾ بشير الغزي (1857-1921م): ولد محمد بشير في حلب وتوفي فيها، كان نائباً في مجلس النواب العثماني، ثم قاضياً بعد خروج الأتراك من بلاد الشام، كان آية في الحفظ، ومن محفوظاته: الكامل للمبرد، كان كذلك مدرساً في العديد من مدارس ومساجد حلب، وله العديد من المؤلفات، منها: رسالة في التجويد ((الزركلي، 2002م، ج6، ص53).

الذين أصبحوا لامينين فيما بعد في مجال العلم والثقافة والسياسة والتجارة، منهم: الشيخ معروف الدواليبي⁽⁸⁴⁾، والشيخ محمد النبهان⁽⁸⁵⁾ (كاتبي، 2008م، ص 195).

4- مناصبه

كما تسلم الشيخ عديد المناصب العلمية والإدارية، فاختير (كاتبي، 2008م):

- عام 1328هـ/1910م عضواً في مجلس المعارف بحلب، فعمل على تقوية اللغة العربية
 - عام 1332هـ/1913م عضواً في جمعية المعارف الأهلية الإسلامية
 - عام 1342هـ/1923م عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق
 - عام 1349هـ/1930م عضواً في جمعية الآثار القديمة بحلب
 - عام 1350هـ/1931م عضواً في اللجنة الإدارية في المتحف الوطني
 - عام 1355هـ/1936م عضواً في جمعية المعارف التعمانية في حيدر آباد الدكن (الهند)
 - عام 1356هـ/1937م مديراً للمدارس الدينية بحلب
 - عام 1358هـ/1939م رئيساً لجمعية البر والأخلاق الإسلامية
 - رئيساً لرابطة العلماء بحلب حتى وفاته (ص 191-192).
- وكان كذلك عام 1355هـ/1936م عضواً في جمعية العاديات (الطباخ، 1939م، ص 21). وغير ذلك مما ذكر سابقاً، كعضويته في غرفة تجارة حلب، ومجالس الأوقاف الحليّة والسورية.

⁽⁸⁴⁾ معروف الدواليبي (1909-2004م): سياسي، عالم، وزير، ولد في حلب، ودرس فيها المرحلة الابتدائية، ثم انتسب إلى المدرسة "الخرسوية"، حصل على إجازة في الشريعة وليسانس في الحقوق من جامعة دمشق 1935م، ودكتوراة في القانون والحقوق من فرنسا 1946م، عمل أستاذاً في جامعة دمشق، ثم صار وزيراً للاقتصاد وللنواب وللدفاع وللداخلية ورئيساً للوزراء، له الكثير من التحقيقات والمؤلفات، منها: "الاجتهاد في الحقوق الإسلامية"، و"المدخل إلى التاريخ العام للقانون" (مبيض، 2004م، ج 1+2، ص 179-180).

⁽⁸⁵⁾ محمد النبهان (1900-1974م): فقيه، صوفي، داعية، حلبي المولد والوفاة، ولد في أسرة عرفت بالتجارة، انقطع عن التجارة في أوائل حياته إلى المدرسة "الخرسوية"، ثم سافر إلى مصر والعراق والسعودية وغيرها لطلب العلم، من أبرز إنجازاته: تأسيس "المدرسة" "الكتاوية" ذائعة الصيت، وأسس كذلك جمعية "النهضة الإسلامية" الخيرية، ولم يترك أثراً مكتوبة (كعيد، 2008م، ص 84-85-86).

5- مكتبة ومطبعة

إلى جانب نشاطه العلمي والمهني، كان شغوفاً بجمع الكتب القديمة والمخطوطات الثمينة، إذ حوى مكتبة ضخمة فيها كثير من الكتب النفيسة المطبوعة والمخطوطة، ولتطوير هذا الشغف قام عام 1341هـ/1922م بتأسيس "المطبعة العلمية"، وكانت غايته إحياء كتب السلف وما خلفوه من آثار علمية، فطبع فيها الكثير من الكتب بعد أن حققها (الطباخ، 1957م، ص17-18)، وسدت هذه المطبعة حاجة كبيرة وماسة في حلب، نظراً لقلّة عدد المطابع وقتئذ.

6- شخصيته العلمية وميادينه وإنتاجاتها

ترك الشيخ الطباخ عدداً من المؤلفات، تدلّ على سعة علمه وغزارة ثقافته في مختلف العلوم والفنون، منها كتب مطبوعة، ومنها أبحاث ورسائل منشورة في بعض الصحف والمجلات، ومنها ما يزال مخطوطاً. أمّا المطبوعة: "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء"، و"ذو القرنين وسدّ الصين"، و"المصباح في مقدمة ابن صلاح"، وغيرها الكثير. والمخطوطة: "الفتح المبين على نور اليقين في سيرة سيد المرسلين"، و"ديوان أبي فراس الحمداني" وغيرهما الكثير، وأخيراً الرسائل والأبحاث: "المدارس في الإسلام" في مجلة الجامعة الإسلامية الحلبية، و"السياسة في القرآن" نشرها في مجلة الفتح المصرية (كاتبي، 2008م، ص192-193-194-195-196)، وغيرهما الكثير.

7- فكره التربوي

من خلال اطلاع الباحث على الرسالة التي أعدها يحيى الطباخ (1957م) ابن الشيخ محمد راغب الطباخ في الجامعة السورية بدمشق، يمكن تلخيص الفكر التربوي لدى راغب الطباخ بأنه فكر نهضوي توفيق بين الماضي والحاضر، ويمكن إيجاز ذلك بالنقاط الآتية: السياسة التربوية: إدخال العلوم الكونية والعصرية واللغات الأجنبية إلى المدارس الشرعية، وجعلها مدارس ذات صفوف محدّدة، وكتب وعلوم معيّنة ونظام مرجعي. منهج التعليم: سعى إلى إحياء اللغة العربية، وجعلها لغة التدريس في المدارس، عبر إعداد عدّة كتب مدرسية لغوية ودينية، مثل: "تمرين الطلاب في صناعة الإعراب"، و"عظة الأبناء بتاريخ الأنبياء"، و"المطالب العلية في

الدروس الدينية". طرائق التعليم: اهتم بمادة التاريخ والحديث اهتماماً خاصاً، وطريقته في شرح الأحداث التاريخية للمتعلّمين تعتمد على توجيه العناية للأسباب والنتائج والتعليل والتفسير، فلا يسرد ولا يُلقّن كما كان رائجاً وقتئذ، وأما في الحديث وفقهه، يُنبّه إلى النواحي الاجتماعية والسياسية والتشريعية التي تستنبط منه، حسب مقتضى الظروف المعاصرة (ص11-12-13-14).

3.1- الزهبان والقساوسة والمطارنة والأساقفة والبطاركة... الخ (المدارس المسيحية)

كما هو معروف أنّ الدين يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتربية والتعليم، فهما غايته النبيلة، ولذلك كان رجال الدين المسيحي على اختلاف رتبهم يؤدون مهامهم في الكنائس والأديار والأبرشيات والمدارس وغيرها بأن واحد، فلا تقتصر مهمتهم على الجانب التعليمي البحت فقط، ومن هؤلاء على سبيل المثال: الأب فردينان توتل اليسوعي (1887-1977م)، المطران إيسيدروس فتال (1886-1961م)، الأب يوسف قوشاقي (1914-1995م)، المطران فرنسيس أيوب (1899-1966م)، القس جرجس منش (1873-1931م)، والخوري جبرائيل رباط (1889-1935م).

- أنموذج عن المعلمين المسيحيين "المطران إيسيدروس فتال (1886-1961م)"

ولد في حلب عام 1886م، تلقى العلوم الأولية في المدرسة الأسقفية بحلب، ومنها انتقل إلى المدرسة الصلاحية بالقدس عام 1899م، ولما أنهى دروسه الثانوية والفلسفية واللاهوتية فيها نال السيامة الكهنوتية، فأصبح مدرّساً في المدرسة المذكورة حتى أسندت إليه وظيفة التدريس وإدارة مدرسته الأسقفية بحلب عام 1930م، فعمل على رفع مستوى التعليم في مدرسته بإيصال الصفوف الثانوية حتى الدرجة الأولى من البكالوريا السورية والفرنسية، ومنذ ذلك الحين شارك المطران إيسيدروس فتال في الحياة الدينية والتعليمية والسياسية والوطنية لمدينة حلب مشاركة فعّالة ومؤثرة (مبيض، 2004م، ج1+2، ص182).

1- مناصبه

وقد زاول المطران فتال عديداً من المناصب التعليمية والدينية مزاولاً متزامنة، منها (إدليبي، 1983م):

- عام 1930م مديراً ومدرّساً في المدرسة الأسقفية بحلب

- عام 1936م مرشداً عاماً لجمعية التعليم المسيحي بحلب

- عام 1943م مطراناً لأبرشية حلب، ومديراً للنّادي الكاثوليكي، ومديراً للمدرسة الطائفية المجانية في حيّ

"الشّرعاسوس" (ص 269-270).

2- آثاره الوطنية

تمكّن المطران فتّال بحنكته وجرأته أن يسهم في إبعاد خطر الدمار عن حلب كما حدث في دمشق أيار عام 1945م، وكانت له اليد الطولى في ضمّ عناصر الشعب حول الاستقلال الوطني، كما جاهد لكي يمنع كلّ تمييز عنصريّ أو مذهبيّ، وحارب الاستعمار، إذ رفض -مثلاً- عام 1945م عرض خدمات مخابرات الجيش البريطانيّ إذا اقتضى الحال، ولذلك ولغيره قرّرت الحكومة السوريّة منحه وسام الاستحقاق السوريّ المذهب من الدرجة الأولى، الذي قلّده إيّاه الأمير مصطفى الشّهابيّ محافظ حلب 18 تمّوز 1946م في دار الحكومة (مبيض، 2004م، ج 1+2، ص 183).

3- آثاره التربويّة والتعليميّة

كان خبيراً في تدريس اللّغة العربيّة صرفها ونحوها وآدابها، ومن ثمرة خبرته كانت سلسلة كتب "المشوّق"، التي جاءت أحد عشر جزءاً، كان نصيبه منها خمسة، والتي نالت استحسان كثير من مدارس الأقطار العربيّة كلّها، من العراق إلى المغرب، فنالت رواجاً كبيراً، حتّى طُبِع منها أكثر من نصف مليون نسخة، توجّه أيضاً نحو الخدمة الدّينيّة، فألّف كتاب "التّعليم المسيحيّ" بطريقة السّؤال والجواب مع شروحات وافية للمعلّم، وكذلك كتاب "القواعد"، و"الإنشاء"، وكتاب "العروض"، و"الخطابة الدّينيّة والمدنيّة". أسهم كذلك المطران فتّال في إنشاء الكثير من المؤسّسات كالمشافي والمساكن والجمعيات والأندية والمدارس وغيرها، منها: مدرسة القديسة كاترينا للبنات عام 1946م في حيّ "العزّيّة"، ومدرسة القديس ديمتريوس للبنات عام 1946م في حيّ "الجابريّة"، ومدرسة جورج ومتيلد سالم الصّناعيّة عام 1948م، مدرسة مار إلياس الحيّ في "الرّمضانيّة"، ولم يقف عند هذا الحد، إذ شجّع المطران فتّال كهنته على التّخصّص في العلوم، وأرسلهم إلى جامعات أوروبا، منهم:

العلامة الأرشمندريت أغناطيوس ديك⁽⁸⁶⁾، وشارك بإسهام كبير في حلّ مشاكل المدارس الخاصة مع زملائه أساقفة سورية الكاثوليك في الحوار الذي جرى مع وزير المعارف عبد الوهاب حومد عام 1956م، وأخيراً كان عضواً عام 1957م في اللجنة الخاصة التي تابحت في أمر إنشاء جامعة حلب، التي أسفرت عن تحقيق آمال الحلبيين عبر افتتاحها في العام التالي (إدلي، 1983م، ص 269-272-275-276-278-280).

2- فئة المديرين والمدرسين

1.2- الحاخامات والأساتذة اليهود (المدارس اليهودية)

تجدر الإشارة إلى ندرة المراجع وقلة توفرها عن هذه الفئة، إضافة إلى انطوائهم على أبناء طائفتهم نتيجة ظروف متعدّدة، وقد وجد الباحث ترجمة بسيطة لمجموعة من المعلمين والحاخامات في مدينة حلب.

- مجموعة مختارة (محفوظ، 2021م):

- الحاخام يوسف شاشو، مدير مدرسة "الإليانس" اليهودية الخاصة
- الأستاذ فرج ساسون، مدرّس لغة فرنسية، وهو أستاذ قدير ومخضرم، وقد شغل أيضاً منصب مدير مدرسة السموئل اليهودية الخاصة من الأربعينيات حتّى الستينيات في القرن العشرين.
- الأستاذ جوزيف كندي، مدرّس لغة إنكليزية يقال: إنّه نال شهادته من جامعة أكسفورد، عمل مدرّساً في مدرسة السموئل من الأربعينيات حتّى السبعينيات من القرن العشرين.
- الأستاذة راشيل كندي، وهي أخت الأستاذ جوزيف، استمرّت في تأدية واجبها التربوي حتّى تاريخ مغادرتها حلب عام 1992م، وتابعت مهنة تدريس اللغة الإنكليزية في واحدة من أرقى المدارس في مدينة نيويورك، توفيت عام 2021م إثر حادثة دهس أليمة عن عمر ناهز (95) عاماً.

⁽⁸⁶⁾ أغناطيوس ديك (1926- م): ولد في حلب، والتحق بإكليريكية القديسة "حنة" في القدس الشريف، حيث تلقى دروس الفلسفة واللاهوت، عُيّن نائباً على أبرشية حلب للزوم الكاثوليك 1986م، نال الدكتوراة من جامعة "لوفان" في بلجيكا، وقد نشر مقالات هامة كثيرة في مجلات عربية وأجنبية، وله أيضاً الكثير من المؤلفات التي أغنى بها المكتبة المسيحية العربية والشرقية، منها: "سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم" (مبيض، 2004م، ج1+2، ص 638).

- الأستاذ سليم ربيع، مدرّس لغة إنكليزية، عمل مدة من الزمن في مدرسة السموءل، ثم تابع مهنة تدريس اللغة الإنكليزية في مدينة نيويورك، وتوفي وهو في التسعينيات من عمره.

كذلك احترف أبناء الطائفة اليهودية مهنة التدريس في علوم ومجالات متعدّدة، منها العزف على الآلات الموسيقية، والرياضيات، واللغات كما اتضح من تراجم المدرّسين اليهود سالفه الذكر.

2.2- المستشرقين والمعلّمين الأجانب (مدارس الإرساليات الدينية والأجنبية)

أكثر ما قدّمه المعلّمون المستشرقون من فائدة هو رفع مستويات المتعلّمين في اللغات الأجنبية الإنكليزية والفرنسية، ونجد خلال مدة البحث الكثير من خريجي مدارس التعليم الخاص بحلب الذين أجادوا الإنكليزية أو الفرنسية بطلاقة، حتّى أنّهم تأثّروا وأحبوا مدينة حلب. أمّا من عملوا في التربية والتعليم نذكر منهم عمداء كلية حلب الأمريكية: العميد الثالث الدكتور "جون إرنست ميريل (1872-1960م)" -الذي نقلت الكلية في عهده إلى حلب- وترأسها من 1905 حتّى 1936م، والعميد الرابع الدكتور "ألفورد كارلتون (1903-1983م)" وترأسها من 1937 حتّى 1954م، وكان الدكتور "هوراس مكمولن (1913-1996م)" العميد الخامس والأخير، وقد ترأسها من 1954 حتّى 1958م.

- أنموذج عن المستشرقين والمعلّمين الأجانب "الدكتور ألفورد كارلتون (1903-1983م)"

رجل نبغ في العلم والعمل، في السياسة، العلاقات الدولية، التاريخ، الاقتصاد، التربية، التعليم واللاهوت. حمل خمس شهادات دكتوراة -أربع منها فخرية- من مؤسسات أكاديمية معتبرة حول العالم وكان مساهماً في الكثير من المنظّمات العالمية المختلفة، أحبّ حلب وأهلها وأفنى جهداً وسنيماً طويلة في خدمة مجتمعتها.

ولد ألفورد كارلتون في (26) آذار 1903، في ألباني بنيويورك. بدأ تعليمه في كلية أوبرلين عام 1920م وتخرّج منها عام 1924م ليغدو مرسلأً لصالح مجلس الوكلاء الأميركي للإرساليات الأجنبية ABCFM، وعمل مدرّساً في الكلية الأميركية في طرسوس بتركيا، ثم في كلية حلب الأمريكية حيث درّس هناك مواد الفلسفة والأخلاق والديانة 1926-1927م، ثم سافر كارلتون إلى أميركا عام 1927م ودرّس في معهد "هارتفورد" للاهوت حيث تمّت سياحته قساً عام 1930م، بعد حيازته درجة الدكتوراة في التاريخ العثماني من

هارتفورد عام 1937م، عاد إلى حلب ليصبح العميد الرابع لكلية حلب الأمريكية، وبقي كذلك (17) عاماً، كان فيهم خير حافظٍ لتلك المسؤولية الكبيرة، وفي تلك المدة عمل أيضاً ممثلاً للصليب الأحمر الأمريكي في شمال سورية (1941-1945م)، وعضواً في لجنة محافظة حلب لتخطيط التقدم التربوي عام 1946م، كما انتُخب نائباً لرئيس جمعية العاديات عام 1950م. وقد جعلت منه سنوات العيش في حلب مرجعاً كبيراً في الميادين الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والدينية. كان الدكتور كارلتون محبوباً من الجميع لمودته تجاه الناس، نقله للحقائق بوضوح وسلاسة، تحديه الطلاب لحثهم على الإبداع والاجتهاد.

كتب الدكتور كارلتون عديداً من المقالات والأبحاث في دوريات وصحف متنوعة، وحمل إحدى شهادات الدكتوراة الفخرية في التعليم والقيادة DLL عام 1962 Emerson College، وانتُخب كذلك عام 1954م نائب رئيس تنفيذي للمجلس الأمريكي، وأسهم في دمج مع عدة إرساليات أخرى ليتحوّل بذلك إلى كنيسة المسيح الموحدة United Church for Christ، التي قاد فيها الدكتور كارلتون مجلس الإرساليات العالمية حتى تقاعده في تشرين الثاني عام 1970م، بعد التقاعد أسّس الدكتور كارلتون جمعية أصدقاء الشرق الأوسط وكان رئيسها الأول.

توفي الدكتور كارلتون في (23) آب عام 1983م في أوهايو تاركاً إرثاً مشرفاً على الصعيد العلمي إذ خدم في أرقى المؤسسات العلمية، وعلى الصعد الاجتماعية والسياسية والدبلوماسية خاصة فيما يتعلق بالشرق الأوسط (American Aleppo College, 2015).

3- فئة المربين والمعلمين

من جملة المشاكل التي يعاني منها المجتمع الحلبّي مشكلة تعليم الإناث التي مازالت ممتدة منذ القدم إلى هذه اللحظة، وتعزف الأسر عن إرسال بناتها إلى المدارس أو تمتنع عن ذلك بعد المرحلة الابتدائية في المناطق المحافضة والشعبية والريفية، وكذلك ارتفاع نسبة الأمية والجهل بين النساء الطاعنات في السن -وقد التمس الباحث هذه المشكلة بحكم عمله في مدارس مدينة حلب وريفها-. وإن عدنا عبر الزمن نجد ما يدعم ويأصل هذه المشكلة، وهو أنّ تعليم النساء في حلب لم يكن رائجاً، ولم يعرف الدراسة النظامية قبل عام

1311هـ/1893م، وأسست الحكومة مكتب رشدي للإناث، ثم مكتب السليمية للإناث في عام 1902م (جحا، 1988م، ص 87-88)، وهذا أكدّه أسود (2009م) حين أشار أنّ العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري شهد بداية تأسيس مدارس إسلامية {عليا واختصاصية} للبنات، وهذه الظاهرة لم تكن من قبل، فقد بلغت (6) مدارس (ص 128)، وفي جانب متصل ربط عبد الرحمن الكواكبي (1931م) انحلال أخلاق المجتمع، وتخلّفه ب جهل النساء فيقول: "تركهنّ جاهلات - النساء - على خلاف ما كان عليه أسلافنا حين كان يوجد في نساءنا كأُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي أخذنا عنها نصف علوم ديننا، وكمئات من الصحابيّات والتابعات راويات الحديث والمتفقهات، فضلاً عن ألوف من العالمات والشاعرات اللاتي في وجودهن في العهد الأول بدون إنكار حجة دامغة نحو غيرة الذين يزعمون أنّ جهل النساء أحفظ لعقّتهن، فضلاً عن أنّه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون حتّى يصحّ الحكم بأنّ العلم يدعو للفجور وأنّ الجهل يدعو للعقّة" (ص 157)، وفي حديث الكواكبي تأكيد للكلام السابق عن مدينة حلب وغيرها، وقد قيل أنّ رجال الدين هم أوّل من حثّوا الرّجال على رفض إرسال بناتهم للتعلّم، والحجّة الحفاظ على شرف الفتاة وعفتها. بل وصل الأمر ببعضهم أن أفتوا برفض تعليم البنات، وألفوا كتباً بهذا الصدد، مثل الشيخ خير الدين نعمان الآلوسي (1836-1899م) بكتابه "الإصابة في منع النساء من الكتابة" عام 1897م (بيات، 2013م، ص 38)، وربّما إيراد الكواكبي للأمثلة السابقة كان جواباً وردّاً على هؤلاء.

أمّا إقبال الفتيات المسيحيّات على التعلّم كان أكبر من الفتيات المسلمات لاتصال المجتمع المسيحي المبكر بالمجتمعات الغربيّة، وقد كُنّ يرتدين ملابس الصّبيان، فكُنّ يبدأن مع أخوتهن أو أقاربهن حتّى يخطبن فينقطعن، وكان بينهن متزوّجات (جحا، 1988م، ص 88)، وكان مجتمع المرأة اليهوديّة خاصّاً جدّاً يتساوى في ذلك مع المسلمين وبقية الطوائف، ويعود ذلك إلى عوامل متعدّدة منها: جهل المرأة، وغياب اشتراكها في الحياة العامّة، والزّواج المبكر، وعدد الأولاد (حريّاني، 2008م، ص 118).

لذلك بقيت نسبة الأميّة لدى النساء أعلى منها لدى الرّجال، كما أنّ فرص العمل كانت نادرة بالنسبة للمرأة التي بقيت ربّة منزل {والعاملات منهنّ كنّ غير مرغوبات للزّواج؛ لمخالطتهن الرّجال من جهة، واقتدار

الرجال على الإنفاق ببسر خلال مدة البحث}، لكننا نلاحظ أنّ بعض النساء قد أخذن مهمة واضحة في المضمار الاجتماعي (قجة، 2016م، ص 61). فنتساءل عن المنزلة التي بلغنها؟ وعن آثارهن في عالم الفكر والأدب؟ بيدّ أننا لا نستطيع أن نعدّ بين عشرات الأدباء إلّا كذا أدبية، وكُن يساهمن في الصحافة بأسماء مستعارة، ولا نستطيع أن ننكر كذلك أنّ في حلب عدداً كبيراً من النساء المثقّات، وأنّ منهن من برأتتهن الطّبيعة على البلاغة والإبداع. ولكنهن لسن من الجرأة والحرّيّة ليشاطرن في هذه التّهضة الحديثة وبيعن فيها الرّوح والإحياء (عيتابي وعثمان، 1993م، ج 3، ص 199)، وممّا يثير الاستغراب أيضاً أن وزارة المعارف السّوريّة نفسها عاملت المعلمة بإجحاف -حسب المرسوم (163) الصادر عام 1943م- وبمنظرة دونيّة عن المعلّمين الذكور في ملاك موظفي التّعليم الابتدائيّ، إذ جعلت رواتب المعلّمت أقلّ من رواتب المعلّمين، على الرّغم من تساوي الشّهادات المطلوبة منهنّ ومنهم، وعلى الرّغم من تساوي الواجبات عليهنّ وعليهم، ومفاد هذا التّفاوت أنّ المعلّمة إذا كانت من الفئة الأولى تتقاضى راتب الفئة الثّانية من المعلّمين، وبمعنى آخر إذا كانت المعلّمة تحمل شهادة البكالوريا القسم الأوّل تعامل كالمعلم الذي يحمل شهادة الكفاءة (الحصري، 1944م، ص 21-22)، وبالتالي ينعكس كلّ ما ذكر على نوعيّة المربيّات والمعلّمات وعددهن.

ويمكن أن نذكر بعض النساء اللواتي أسهمن في المجالات الفكرية والتّربويّة والتعليميّة، مثل: أمينة القلعة جي- النّادفية (1868-1945م)، فائقة المدرس (1885-1986م)، نديمة المنقاري (1904-1991م)، عائشة الدباغ (1927-2020م)، ملكة أبيض (1928-2019م).

- أنموذج عن المربيّين والمعلّمين "المربيّة عائشة الدّباغ (1927-2020م)"

مربية، باحثة، مؤرّخة، شاعرة، مترجمة، سياسيّة، صحفية ومذيعة، ولدت عائشة الدّباغ في حلب بحي قرب الجامع الأمويّ، أبوها عبد القادر كان تاجراً بين الشّام ومصر واسطنبول وصديقاً للمفكر عبد الرّحمن الكواكبي. درست عائشة المرحلة الابتدائيّة بحلب، والإعداديّة والثّانويّة بمدرسة داخلية للبنات في دمشق، ثمّ تابعت الدّراسة في الجامعة الأمريكيّة في بيروت، فنالت البكالوريوس والماجستير في التّاريخ، درست كذلك دبلوم في التّربية وعلم النّفس، والدّراسات الإسلاميّة في كندا، وقامت بعدة أسفار في أوروبا وأمريكا والبلاد العربيّة،

فأثقت بعد ذلك كلّه اللّغة الإنكليزيّة والفرنسيّة إلى جانب العربيّة، فترجمت عديداً من الأعمال الإنكليزيّة والفرنسيّة ليستفيد منها القارئ العربيّ، ولم تقف الدّباغ عند هذا الحد، بل أدارت عديداً من ثانويّات حلب وإدلب، إضافة إلى تدريس مادتي اللّغة الإنكليزيّة والتّاريخ (قجة، 2022م).

من أهم إنجازاتها: أنّها ناضلت ضد الظلم والانتداب، وقادت المظاهرات، وقابلت رؤساء جمهوريّات عرب وأجانب، وأسهمت كذلك في الدّوات والمؤتمرات والمليقات، فاقترن اسمها بالتهضة النّسائية في حلب، فكانت أول امرأة دخلت البرلمان السوري 1965م، وكذلك أول عضو نسائي في مجلس إدارة جمعية العاديات في حلب، ومجلس إدارة جمعية النور الخيريّة لعدّة دورات، كما أسهمت في تأسيس "دار الرّحمة للمسنين والمستات"، وأول عضو نسائي في مجلس إدارة "المركز الإسلامي" في مونتريال كندا 1965م وغير ذلك، ومن أهم آثارها: أسهمت بتحرير مجلّة "العروة الوثقى" في بيروت، وقدمت في إذاعة حلب برامج اجتماعيّة، وألّفت كتاب "الحركة الفكرية في حلب في النّصف الثّاني من القرن الثّاسع عشر ومطلع القرن العشرين"، وعدة دواوين منها: "وأعشب القلم" وهو شعر وقصّة ونصوص مترجمة بالفرنسيّة، إضافة إلى دراسات بالإنكليزيّة حول التّصوّف (مبيض، 2004م، ج1+2، ص620-621-622).

4- الحركة الكشفية ونظام الفتوة

لا بد من الإشارة إلى فضل آخر من أفاضل المعلمين في مدينة حلب، وهو إنشاؤهم ما يسمّى "الحركة الكشفية" في مدارس حلب، وقد كانت حلب من أوائل المدن السوريّة التي تبنت الحركة الكشفية، وتقوم هذه الحركة مع "نظام الفتوة" مقام التّربية البدنيّة للمتعلّمين، وقد انتشرت بادئ الأمر في المدارس الإسلاميّة الخاصّة في مدينة حلب.

ويرجع تأسيس الحركة الكشفية إلى "بادن باول (1857-1941م)" الضابط في الجيش البريطاني حين حضر في إفريقيا عام 1901م معركة مع بعض القبائل لقرية "مافيكنغ" التي تحكمها بريطانيا، فاستعان القائد اللورد "سيسيل" لقلّة جنوده بفتيان المدينة، وأوكل إليهم مهمّة نقل البريد والمؤن والذخيرة وحمل الجرحى، وخصّص جنوده للدّفاع فقط، ولمّا رأى "بادن باول" أنّ مساعدة الفتيان كان لها تأثير كبير في الانتصار، وعلم أنّ الأحداث

يستطيعون أن يقوموا بأعمال كبيرة إذا دُرِّبوا عليها، فانطبعت هذه الفكرة في ذاكرته وحينما عاد إلى بلاده وضع كتاباً ذكر فيه جميع مشاهداته (اللجنة المركزية، 1938/1939م، ص10)، ومنذ ذلك الحين أصبحت الحركة الكشفية في العالم من أهم الطرق التربوية التي تعمل على إعداد الفتان إعداداً صحيحاً، جسمياً وعقلياً، وتقديم فوائد كثيرة في الاستفادة من مواهب الأحداث وكفاءاتهم، وما يكمن فيهم من استعدادات فطرية لتأدية الواجب وتحقيق المثل الأعلى للمواطن الصالح، وما أن لمس العالم قيمة هذه الحركة حتى عمّت جميع الأقطار، وأصبحت حركة تربوية إنسانية لا تخلو منها مدينة أو قرية. أما في البلاد العربية تألفت أول فرقة كشفية في بيروت عام 1912 بمدرسة "دار العلوم"، فكانت نواة لتأليف الفرق الكشفية في سورية ولبنان (العقاد، 1954م، ص9-15).

أما في مدينة حلب عام 1919م أُلِّف الأستاذ عبد القادر الشّوّ مدير المدرسة العربية الإسلامية الخاصة فرقة كشفية منظمّة، وقد اتجهت بعض النوادي والمدارس الأهلية، مثل: "الفاروقية" و"الشرقية" الإسلاميتين الخاصتين هذا الاتجاه بتشكيل الفرق الكشفية وتنظيمها، وفي عام 1932م بدأت الحركة بالانتشار في المدارس الرسمية، فدخلت مدرسة الفيوضات والهاشمية ثم النّجاة والعرفان والنّجاح الحكوميات في مدينة حلب (اللجنة المركزية، 1938/1939م، ص12).

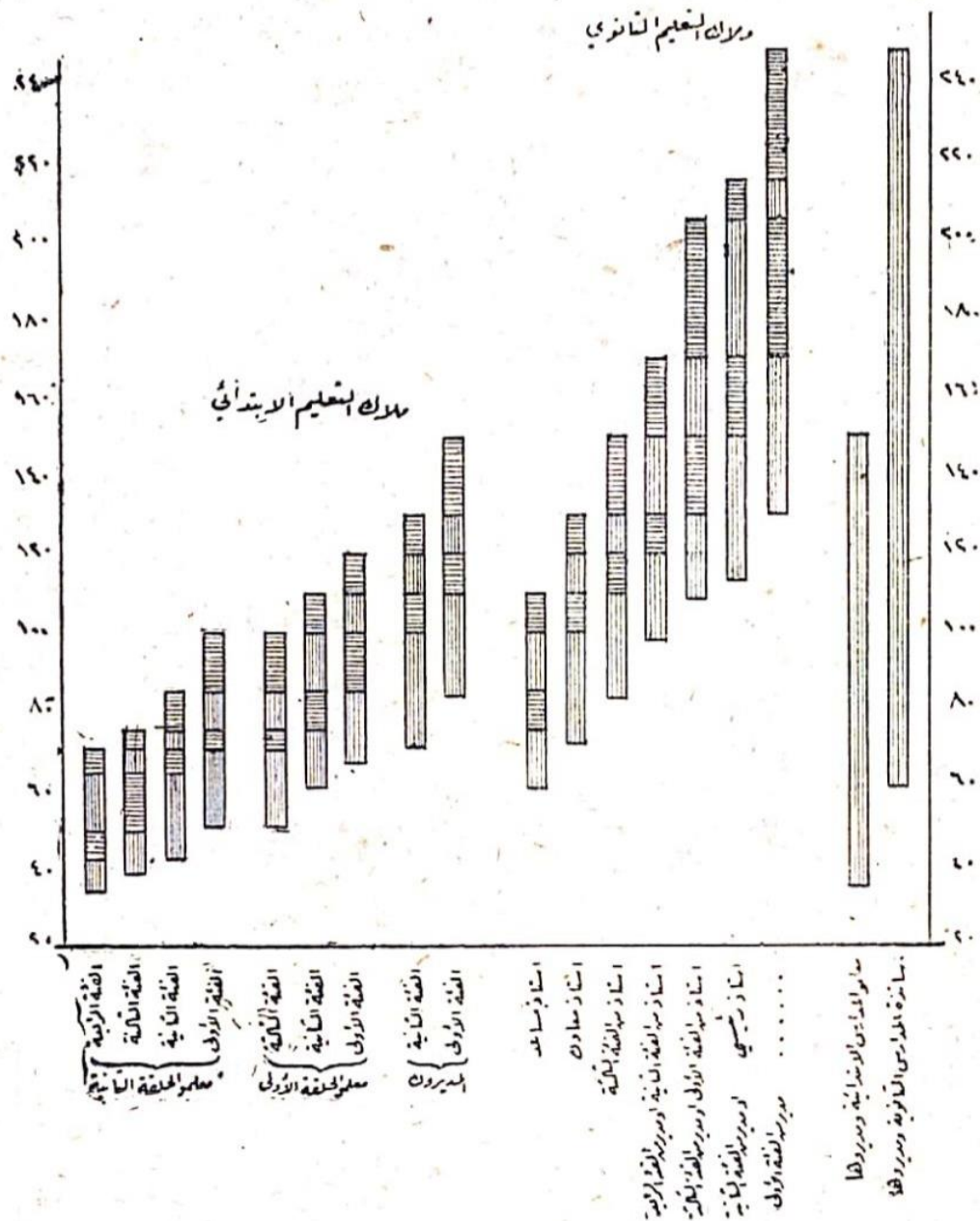
اشتدّ التنافس والمنافسة بين الفرق الكشفية عن طريق الرّحلات والمخيمات والنشاطات المختلفة وخاصة جوقات الفرق الموسيقية التي تقدّم العروض في المناسبات الوطنية والاجتماعية، وفي عام 1936م اتخذت الحركة الكشفية في سورية شكلاً جديداً في تنظيمها (مبيض، 2004م، ج5+6، ص2764)، وكان ذلك بسبب الكشّاف المسلم الذي عمّت فرقته أرجاء لبنان وسورية، وأصبحت هذه الفرق حينذاك خطراً على الفرنسيين لتمسكها بعهدا وقانونها وإخلاصها لوطنها، وعمل الكشّاف في سورية ولبنان على توحيد الكلمة، وجمع شمل أبناء الساحل والدّاخل، كما لم يأل جهداً في إقامة المخيمات الكبيرة سواء في سورية أو لبنان، حتى كان عام 1935م حيث أقيم مخيم الكشّاف المسلم في مدينة دمشق واشترك فيه ثلاثة آلاف كشّاف ونيف، ممّا أهاب بالمفوض الفرنسي أن يُصدر قراراً بحل جميع الفرق الكشفية والنوادي الرياضية في سورية ولبنان إثر انتهاء هذا المخيم،

فُصلت الفرق الكشفية بلبنان عن سورية عام 1936م (العقاد، 1954م، ص9)، واندمج كشّاف المعارف بالكشّاف الأهلي، وأصبحت الحركة في سورية منظمة أهلية واحدة، وحصلت بعدها على رخصة باسم كشّاف سورية (مبيض، 2004م، ج5+6، ص2764).

وتضمّ الحركة الكشفية تلاميذ المرحلة الابتدائية وما بعدها، وتبدأ من عمر (8) سنوات (اللجنة المركزية، 1938/1939م، ص52)، أمّا نظام الفتوة الذي قرّر في المرسوم (183) عام 1945م يتضمّن إعداد طّلاب المدارس الثانوية فقط. وقد عرّفته المادة (1) من المرسوم السابق: "أن تُعدّ وزارة المعارف الطّلاب إلى الحياة العسكرية إعداداً تاماً خلال دراستهم الثانوية، وذلك بتقوية أبدانهم وتنسيق حركاتهم، وتطبيعهم بالطّباع والخصال التي تتطلبها الحياة العسكرية، من تحمل المشاق، وحب النظام، وروح الطّاعة، وشيمة المفادة" (الحصري، 1949م، ص121).

5- رواتب المعلمين والمدرّسين

سَلَّم الدّرجات والرواتب الذي كانت وزارة المعارف تعتمد حسب المرسوم (163) الصّادر (11) آب عام 1943م بشأن ملاك موظفي التعليم الابتدائي والثانويّ شديد التعقيد، فملاك التعليم الابتدائيّ يقسم المعلمين إلى حلقتين، وسبع فئات، ويجعل في كلّ فئة أربع درجات. أمّا ملاك التعليم الثانويّ يقسم الأساتذة إلى ست فئات، وكذلك كلّ فئة إلى أربع درجات، ولا يكفي المرسوم بذلك، بل يميّز المديرين عن المعلمين، ويضع لكلّ قسم منهم ملاكاً خاصاً، وكذلك يُقسم إلى فئات عديدة، ويبنى هذا التّصنيف على نوع المدرسة من جهة، وعدد طّلابها من جهة أخرى، ويعتمد المرسوم في تحديد ملاك كلّ هؤلاء العاملين وفئتهم ودرجتهم على شهاداتهم بدءاً من الكفاءة إلى البكالوريا ثمّ البكالوريوس والدبلومات والدكتوراة، وتُعدّ كلّ سنة جامعيّة واحدة من أصل البكالوريوس بمنزلة شهادة -وذلك تطبيق حرفي للنظام المعمول به في فرنسا-، ولا يعطي المرسوم قيمة إلى مسألة الخبرة والقدم في تصنيف المعلمين، بل حسب شهاداتهم في مبدأ الدّرجات (الحصري، 1944م، ص11-15-18-25). والتّمثيل البيانيّ الآتي يوضّح ما ذكر سالفاً، ويشير إلى مبتدأ راتب كلّ فئة من فئات ملاك التعليم الابتدائي والثانويّ باللّيرة السّوريّة ومنتهاه.

الشكل (4) مبتدأ رواتب الفئات في ملاكي التعليم الابتدائي والثانوي ومنتهاه عام 1943م⁽⁸⁷⁾

(الحصري، 1944م، ص 31)

وما يعنينا من الرسم البياني السابق مبتدأ رواتب المعلمين والمديرين من أدنى فئة ودرجة حتى أعلى فئة ودرجة ومنتهاه، ومقابلة هذه الرواتب بالليرة السورية بزماننا؛ لكي تتضح قيمة الرواتب. يُذكر أن الليرة السورية

⁽⁸⁷⁾ للمزيد عن هذا الملاك وحلقاته وفئاته ودرجاته وشهاداته، انظر كتاب ساطع الحصري "تقارير عن حالة المعارف في سورية واقتراحات لإصلاحها"، 1944م، الجزء الأول، دمشق، وزارة معارف الجمهورية السورية، ص-ص: 11-32.

كان يساوي سعرها أمام القطع الأجنبي عام 1943م، 218.50 قرشاً (ليرتان تقريباً) لكل دولار أمريكي، 883.125 قرشاً (9 ليرات تقريباً) لكل جنيه إسترليني، 5 قروش لكل فرنك فرنسي (أي أن الليرة الواحدة تساوي 20 فرنكاً فرنسياً)، وإذا علمنا أيضاً أنه في آب عام 1943م - زمن إصدار مرسوم ملاك موظفي التعليم ورواتبهم - كان سعر الليرة الذهبية الإنجليزية 4500 قرشاً سورياً (ووزنها 8 غرامات، وعيارها 22 قيراطاً) {غرفة تجارة حلب، 1947م، ص 269-351}، بمعنى آخر: إن سعر غرام الذهب الواحد ذو العيار 22 قيراطاً كان 5.625 ليرة سورية، وفي زماننا الحالي حسب جمعية الصاغة تجاوز سعر غرام الذهب الواحد ذو 21 قيراطاً 200 ألف ليرة سورية في آب عام 2022.

ومنه نستطيع وضع إحصائية تقريبية لا دقيقة، تتضح فيها الصورة أكثر. فقد بلغ مبتدأ راتب العاملين من أساتذة ومديرين من أدنى فئة ودرجة في المرحلة الابتدائية 35 ليرة سورية شهرياً، وهذا ما يعادل 6.22 غراماً من الذهب 22 قيراطاً آنذاك، ومليوناً ومئتين وأربع وأربعين ألفاً في زماننا الحالي (على افتراض سعر غرام الذهب 200 ألف وأنه من عيار 21 قيراطاً). أما منتهى أعلى فئة ودرجة في المرحلة الابتدائية بلغ 150 ليرة سورية شهرياً، وهذا ما يعادل 26.66 غراماً من الذهب 22 قيراطاً آنذاك، وخمسة ملايين وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ألفاً في زماننا.

وقد بلغ مبتدأ راتب العاملين من أساتذة ومديرين من أدنى درجة وفئة في المرحلة الثانوية 60 ليرة سورية شهرياً، وهذا ما يعادل 10.66 غراماً من الذهب 22 قيراطاً، ومليونين ومئة وثلاثة وثلاثين ألفاً في زماننا، أما منتهى أعلى درجة وفئة بلغ 250 ليرة سورية، وهذا ما يعادله 44.44 غراماً من الذهب 22 قيراطاً، وثمانية ملايين وثمانمائة وثمانين ألفاً في زماننا.

وكما هو الحال في أي زمان، فإن التعليم الخاص والأجنبي مأجور وأعلى من تكاليف التعليم العام، وبالتالي قد يتقاضى فيهما المعلم ضعف راتب معلم المدارس الحكومية أو أضعاف ذلك، فمدرسة "اللايك" الفرنسية بحلب مثلاً، منحت أيضاً تعويضات لأساتذتها حين أحرقها المتظاهرون وأغلقت، ومن هؤلاء الأستاذ خير الدين الأسدي الذي اشترى بهذا المبلغ أسهماً في شركة الغزل والنسيج.

ويمكن إجمال ما سبق من خلال الجدولين الآتيين:

الجدول (18) قيمة الليرة السورية أمام القطع الأجنبي والذهب عام 1943م

الفرنك الفرنسي	5 قروش (الليرة = 20 فرنكاً)
الدولار الأمريكي	218.50 قرشاً (ليرتان تقريباً)
الجنيه الإسترليني	883.125 قرشاً (9 ليرات تقريباً)
الليرة الذهبية الإنجليزية	4500 قرشاً (45 ليرة)
غرام الذهب 22 قيراطاً	562.5 قرشاً (6 ليرات تقريباً)

الجدول (19) معادلة رواتب المعلمين والمديرين عام 1943م بالعام 2022م

الراتب 1943م	قيمة الراتب شهرياً أمام غرام الذهب 22 قيراطاً 1943م	قيمة غرامات الذهب بالليرة السورية آب عام 2022م
المرحلة الابتدائية		
35 ل.س	6.22 غراماً ذهبياً	1,244,000 ل.س
150 ل.س	26.66 غراماً ذهبياً	5,333,000 ل.س
المرحلة الثانوية		
60 ل.س	10.66 غراماً ذهبياً	2,133,000 ل.س
250 ل.س	44.44 غراماً ذهبياً	8,880,000 ل.س

وقد أورد الباحث مسألة رواتب المعلمين من باب الإحاطة بوضع المعلم -بعد أن ذكر العوامل السياسية والاجتماعية... الخ المؤثرة في التعليم في الفصل الثاني- إذ ينبغي الإشارة إلى ما يتقاضاه هؤلاء المعلمون من معاش، وربما يكون هذا أيضاً أحد أسباب تفرغ المعلم، واكتفائه وسعيه لتقديم الأفضل، خاصة أن كل الصور المرتبطة بالمدارس والمعلمين والمتعلمين خلال مدة البحث، اشتملت على رقي في البناء والهندام وغيرها من عوامل الاستقرار المعيشي والنفسي لدى سلك التربية والتعليم وما يحيط به.

خاتمة

إنَّ حلب كانت تغصّ بالأعلام من كلّ المجالات والميادين، والفئات التي ذكرها الباحث ونماذجها بهذا الفصل أيضاً تعبّر عن جزء مهمّ جدّاً من سياسة مربّي ومعلّمي مرحلة البحث ومناهجهم وطرائقهم وتقنياتهم وكفاءاتهم (النّصف الأوّل من القرن العشرين)، فقد سعى أغلبهم إلى النهوض بالنّظام التربويّ والتعليمي، وإدخال سياسات وأدوات وحركات تتناسب مع روح العصر والحدّاث، وقد شكّل معلّمو حلب دعامة مهمة للتأليف في كتب اللّغة العربيّة المدرسيّة في سورية والوطن العربيّ، وقد كان عدد منهم أعضاء في المجمع العلميّ العربيّ، الذي أخذ على عاتقه مهمّة تعريب الدّولة ووزاراتها بعد خروج العثمانيين، وقد استخدم عدد منهم طرائق تعليم وتقنيات مغايرة لما هو معتاد وقتئذ، وتمتّع أغلبهم بكفاءات وقدرات عالية خرّجت أفضل المتعلّمين.

ويقول مبيض (2004م) في مقدّمة كتابه الموسوعي "مئة أوائل من حلب 1901-2001م": والحقّ أنّ القرن العشرين قد شهد تألّق عدد كبير من الأعلام في شتّى مجالات الأدب والفن والعلوم، إنّ أعلام حلب في النّصف الأوّل من القرن العشرين امتازوا ببراعة البحث ومبتكر التّحقيق، هذه البراعة التي خبا نورها في زماننا إلّا جمرأ ضئيلاً من رماد، فالباحثون الأجانب يتوافدون من كلّ فج عميق على بلادنا من المحيط إلى الخليج (ص20)، وقد بلغ عدد تراجمه في الكتاب (100) ترجمة من أوائل حلب في مختلف المجالات السّياسيّة والفكريّة والتّربويّة والزّياضيّة والموسيقيّة... الخ، إضافة إلى (675) علماً آخرين صنّفهم بعد هؤلاء الأوائل، فيصبح مجموع التّراجم كلّها (775) ترجمة. وقد خصّ المفكرين والمربين والمؤلّفين بفصل مستقلّ.

الفصل السادس

نتائج البحث وتفسيره ومقترحاته

1- نتائج البحث

2- تفسير نتائج البحث ومناقشتها

3- مقترحات البحث

1- نتائج البحث

يقوم الباحث في هذا الفصل بالإجابة عن أسئلة البحث، ومناقشتها، وتفسيرها في ضوء الدراسات السابقة، والأدبيات المعتمدة.

1.1- ما أبرز العوامل المؤثرة في التربية والتعليم في سورية عموماً وحلب خصوصاً بين عامي 1918-1946م؟

وقد توصل الباحث إلى العوامل الآتية:

1.1.1- العوامل السياسية

- وقد بدا أثر هذا العامل على التعليم في سورية عامة وحلب خاصة من أواخر العهد العثماني حتى 1918م:

- جعل اللغة التركية اللغة الرسمية في الولايات العربية.
- منع تعليم اللغة العربية إلا بقرار من وزارة المعارف العثمانية.
- إهمال المدارس الشرعية (الوقفية) من قبل وزارة المعارف العثمانية.
- فتح باب الامتيازات والإرساليات الدينية للدول الغربية، ومنها إدارة شؤونهم التعليمية، والسماح لهم بالتعليم باللغة العربية.

- يلي ذلك مرحلة الحكم العربي الفيصلي 1918-1920م التي تسلمت أعباء كبيرة؛ نظراً لتترك معارف البلاد لمدة طويلة، فضلاً عن الفوضى والارتباك الذي تركه انسحاب الموظفين والمعلمين مع القوات العثمانية، ولكن تم خلال هذه المرحلة:

- انتهاء مدة الولاء الديني للخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية.
- إعلاء الاتجاه القومي العربي وتصعيده.
- افتتاح عديد من المؤسسات التعليمية المدرسية والعالية التي أغلقت أثناء الحرب العالمية الأولى.
- تأسيس المجمع العلمي العربي، وتأليف الكتب العربية المدرسية.

- أصبح التعليم باللّغة العربيّة.
- تعريب الدّولة: مثل وزارة المعارف، والدّواوين، واعتماد اللّغة العربيّة لغة رسمية للدولة.
- وأخيراً مرحلة الانتداب الفرنسيّ 1920-1946م التي اتّسمت:
 - تعزيز الانفصاليّة والطائفية.
 - رسم خارطة جديدة للمنطقة، قُرِمت فيها مساحة سورية الطّبيعيّة وحلب التّاريخيّة.
 - فرض تعليم اللّغة الفرنسيّة إلى جانب العربيّة في كلّ المراحل والصّفوف لغة مماثلة ومكافئة.
 - اعتماد سياسة ومنهجية تربويّة وتعليميّة طبق الأصل عن معارف فرنسا، وذلك لكلّ فئة من فئات المجتمع السوريّ لترسيخ ثقافة فرنسا وتاريخها.
 - عرقلة مساعي المدارس الحكوميّة، وتسهيل مهام المدارس الأجنبيّة والطائفية وتثبيت أعدادها، وخلف كلّ ذلك المندوب الساميّ ومستشاريه ووكلائه، وهؤلاء هم المتحكّمون الفعليّون على أرض الواقع بالتّربية والتعليم.

2.1.1- العوامل الاقتصاديّة

تحوّلت ولاية حلب إلى مدينة مقطّعة الأوصال في مرحلة الانتداب الفرنسي، بعد أن كانت ثالث أهم مدينة في العهد العثمانيّ -بعد إسطنبول والقاهرة- كلّ ذلك وغيره انعكس انعكاساً سلبياً على مدينة حلب، مما أدى إلى:

- تراجع التأثير الاقتصاديّ والسياسيّ للمدينة.
- تفضيل فرنسا لمصلحتها على مصلحة الشعب السوريّ، وتحكّمها واحتكارها للمواد والصناعات السوريّة الوطنيّة.
- إنشاء الحواجز الجمركية بينها وبين المدن السوريّة الأخرى.
- فصل حلب عن مينائها الطّبيعيّ "الإسكندرونة"، وامتدادها في الأناضول.
- مزاحمة الواردات الأجنبيّة للبضائع الوطنيّة، وتسهيل سيطرة الشركات الفرنسيّة.
- فرض ضرائب وغرامات باهظة، وربط الليرة السوريّة بالفرنك الفرنسيّ المتقلّب والضعيف.

- استبدال الذهب المتداول بالأوراق النقدية دون أي حق أو غطاء.
- تراجع الصناعة والتجارة، إلى جانب الزراعة أيضاً التي عانت من إهمال وتسيب يتعلّق بتجهيل الفلاح وقلة تعليمه.
- تزايد الملكية الإقطاعية، وازدياد الطلب على أنواع معينة من المحاصيل التي تحتاجها سوق الدولة المنتدبة.
- بدأ تيار هجرة كبير من الريف إلى المدينة، بسبب كل النقاط السابقة وغيرها.

3.1.1- العوامل الاجتماعية

- اشترك سكّان مدينة حلب على اختلافهم وتنوّعهم بسلوكيات ومُثل المشرق العربي المعتادة؛ نتيجة البيئة والموروث الحضاري والديني والعادات والتقاليد، وقد ظهر ذلك بـ:
- الغنى والتنوع العرقي لمدينة حلب نتيجة توالي الهجرات الجماعية التي حدثت خلال الحروب وخاصة في الربع الأول من القرن العشرين من شراكسة وأرمن وغيرهما، إلى جانب العرب والترك والكرد...الخ.
 - التوزع السكاني المشترك والمختلط للأديان والمذاهب على امتداد مدينة حلب، يعكس نموذج العيش المتسامح والمرن.
 - تقبّل مدينة حلب لكل الأعراق والفئات الاجتماعية، واستيعابها لكل من يفد إليها، والذين أصبحوا فيما بعد جزءاً أساسياً من كيائها وهويتها الاجتماعية.

4.1.1- العوامل الدينية

- الفوارق الدينية لم تفصل الأديان والمذاهب والطوائف إلى عوالم منعزلة وكان الخلاف محدوداً؛ نتيجة التشابه في الجانب العملي الذي كان يرشد سلوك سكان مدينة حلب، وقد تجلّى ذلك بـ:
- حسن الجوار بين الفئات العرقية والدينية، القائم على التعاون واحترام الخصوصية الثقافية والدينية لكل فئة تجاه الأخرى.
 - تضمن الحي الواحد على أبناء الديانات الثلاث، إضافة إلى التعدّد المذهبي لكلّ دين على امتداد المدينة.

- التّنوع الفسيفسائي البشري والديني والمذهبي، ضمن جوّ من الودّ والتسامح والأخوة.

إلا ما جرى من محاولات لاستغلال هذا التّنوع لتحويله من نعمة إلى نقمة عبر اللعب على الوتر الطائفي من قبل الانتداب الفرنسيّ، ودعم طائفة على حساب أخرى، واستخدامها في نشر ثقافته وتعاليمه ومعارفه، إلا أنّ الطوائف السوريّة لم تستجب لهذه المحاولات، وحافظت على مكانة اللّغة العربيّة، ولقّنت المتعلّمين مبادئ وطنيّة.

5.1.1- العوامل الفكرية

رغم وطأة الاستبداد والاستعمار الذي لاحق مدينة حلب، أسهمت العوامل الفكرية في جعل حلب محوراً للنّهضة العلميّة والثقافيّة والأدبيّة في المنطقة من خلال:

- استخدام المطبعة لأول مرة في المشرق في مدينة حلب عام 1706م.
- نشاط الصّحافة الرّسمية عام 1867م، والصّحافة الأهليّة التي بدأت على يد المفكّر "عبد الرّحمن الكواكبي" عام 1877م.
- إنشاء عديد من المكتبات العامّة والخاصّة التي اتسمت بالموسوعيّة في المخطوطات والكتب النّادرة، والصّور والدراسات وغيرها، مثل: المكتبة الوطنية بحلب، ومكتبة خير الدين الأسدي.
- ترجمة تفتح الوعي الأدبي والفكري والتاريخي عبر تأسيس الأندية والجمعيات، مثل تأسيس جمعية "العاديات" عام 1924م التي تهتمّ بحماية الآثار والتّراث، وإصدار النشرات والمجلات.

2.1- ما الملامح العامّة لنظام التّعليم في مدينة حلب؟ وما الذي يتضمّنه من نوعيّات ومراحل

وصفوف ومناهج وشهادات وميزانية...الخ؟

توزّعت مؤسّسات المجتمع السوريّ إلى ثلاثة أنواع، إضافة إلى التّعليم الذي يجري في دور العبادة:

1.2.1- التّعليم الرّسمي (الحكومي)

وهو التّعليم الذي يُؤسّس ويُدار من قبل السّلطات والهيئات الرّسميّة، ويمكن إيراد بنيته كالآتي:

• المراحل:

وتضمّن مراحل التّعليم الآتية:

(رياض الأطفال - الأوليّة والابتدائيّة - الثانويّة {حلقة متوسطة وتامة} - التعليم المهنيّ - دور المعلمين والمعلّمات الابتدائيّة - التعليم العالي [كلية الهندسة]).

• القيد والقبول:

وكان القيد في:

- مرحلة رياض الأطفال (ثلاث سنوات) من عمر (3) إلى ما دون (6).
- المرحلة الأوليّة (أربع سنوات أو صفوف) من عمر (6) حتّى (9).
- المرحلة الابتدائيّة (خمس سنوات أو صفوف) من عمر (6) حتّى (10).
- المرحلة الثانويّة (سبع سنوات أو صفوف) الحلقة الأولى من (11) حتّى (14) والحلقة الثانية من (15) حتّى (17).

- مرحلة التعليم المهنيّ (أربع سنوات أو صفوف) حلقة متوسطة من عمر (11) حتّى (14).
- دور المعلمين والمعلّمات الابتدائيّة (تراوحت من سنة إلى أربع سنوات حسب النظام المعمول به)، من عمر (15) حتّى (18)، ومرحلة التعليم العالي (أربع سنوات أو صفوف) من عمر (19) حتّى (22).

• الشهادات:

توزعت الشهادات حسب مراحل التعليم على النحو الآتي:

- "مصدّقة الدّروس الأوليّة"
- "مصدّقة الدّروس الابتدائيّة" (السّرتيفيكا).
- مصدّقة المرحلة الأولى من التعليم الثّانويّ أو ما يسمّى التعليم الإكماليّ العام أو المهنيّ (البروفة/الصّفّ الثّاسع).
- مصدّقة المرحلة الثانية من المرحلة الثّانويّة "البكالوريا الأولى" ثمّ "البكالوريا الثّانية".
- شهادة "معلّم" في دُور المعلمين والمعلّمات.
- إجازة في كلّية الهندسة من الجامعة السّوريّة في فرعها بحلب.

• المناهج:

فاشتملت على:

- اللغة العربية والفرنسية بالمرحلة الابتدائية.
- اللغة الإنكليزية بالمرحلة الثانوية.
- العلوم الطبيعية والدينية والرياضية.
- التاريخ والجغرافية.
- بعض المواد العملية: كالخط والرسم والأشغال والموسيقا والتربية البدنية وغيرها، يضاف إلى ذلك المواد الاختصاصية بكل صف أو فرع.

• الامتحانات:

وتُجرى غالباً على قسمين شفهي ونظري.

• التمويل:

وتُموّل المؤسسات الرسمية من الموازنة العامة للدولة التي تخصصها لوزارة المعارف، وكان التعليم شبه مجاني وغير إلزامي لقلّة عدد المدارس الرسمية.

2.2.1- التعليم الأجنبي

وهو التعليم الذي يُؤسّس ويُدار من قبل الأفراد أو الهيئات الأجنبية، ويمكن إيراد بنيته كالآتي:

• المراحل:

ولقد تضمّن كلّ مراحل المدارس الرسمية ما عدا مرحلة التعليم العالي، وتشكيلات المدارس الرسمية أصلاً ما هي إلا نسخة طبق الأصل عن تشكيلات معارف فرنسا.

• القيد والقبول:

تنطبق مسألة قيد المتعلمين في المراحل التعليمية في هذه الفئة من المدارس مع المدارس الرسمية.

- **الشهادات:**

تتبع معارف الدولة الأجنبية التي تصادق على هذه النتائج، إضافة إلى منحها أيضاً شهادة وزارة المعارف السورية.

- **المناهج:**

تكون هذه المدارس باللغات الأجنبية، ويخصّص منها قسم للغة العربية أيضاً.

- **الامتحان:**

يُختبر المتعلمون عبر لجان أجنبية.

- **التمويل:**

تُمول عبر أجرة معلومة تأخذها من المتعلمين، إضافة إلى مسانبتها من موازنة الدولة الأجنبية التابع لها، أو المفوضية الفرنسية العليا كما في حال المدارس الفرنسية.

3.2.1- التعليم الأهلي (الخاص)

وهو التعليم الذي يُؤسس ويُدار من قبل الأفراد والجماعات الوطنية، وقد توصل البحث إلى توزيع هذا النوع من المدارس إلى (6) فئات:

1.3.2.1- المدارس الإسلامية الشرعية (الوقفية)

إن المدارس الإسلامية الشرعية (الوقفية) تتبع وزارة الأوقاف، وتتشكل بنيتها كآلاتي:

- **المراحل:**

أغلب مدارس هذه الفئة لا يوجد فيها صفوف منتظمة بل حلقات.

- **القيد والقبول:**

وهي لا تحدّد سنّاً أو مدة محدّدة للانتساب والقيد أو الانتهاء من التّعلّم، وتشتمل أيضاً على نظام المجاورة (الإقامة الداخلية)، وشروط الانتساب تعود لواقف المدرسة، فتختلف من مدرسة لأخرى.

• الشهادات:

قد يُجاز المتعلّم عن شيخه بعلم واحد دون غيره، أو يجيزه عن كلّ علومه، وذلك بشهادة شفهيّة أو خطيّة موقّعة من شيخه وإدارة المدرسة والأوقاف ومفتي المدينة. وهذه الشهادات غير معترف بها.

• المنهج:

يشتمل على العلوم الدّينيّة دون الكونيّة.

• الامتحان:

ليس هناك شكل ونظام محدّد، ويغلب على هذا النّوع من الامتحانات الصّبغة الشّفهيّة، وكلّ هذه الشّهادات غير معترف بها رسميّاً.

• التمويل:

تُموّل هذه المدارس من أوقاف المسلمين، التي تمنح كلّ العاملين والمتعلّمين فيها راتباً معلوماً.

2.3.2.1- المدارس الإسلاميّة الخاصّة (المأجورة)

إنّ المدارس الإسلاميّة الخاصّة (المأجورة) تتبع وزارة المعارف، وجاءت هذه الفئة تعويضاً عن تراجع حال المدارس الإسلاميّة الشرعيّة (الوقفية)، وتتشكل بنيتها كالآتي:

• المراحل والقيد:

تخضع قيودها وصفوفها في الانتساب والانتهاء لقوانين وزارة المعارف.

• الشهادات:

يتقدم متعلّموها إلى المدارس الرّسميّة لنيل الشّهادات.

• المنهج:

تتضمّن العلوم الدّينيّة والنّقليّة والعقليّة واللّغات.

• الامتحانات:

تتم عبر المدارس الرّسميّة.

• التمويل:

عبر أجرة معلومة تأخذها من المتعلمين.

3.3.2.1- المدارس المسيحية الخاصة (التبشيرية) و 4.3.2.1- المدارس اليهودية الخاصة

وكانت هذه المدارس من نوع المدارس الدينية، غير أنها تطوّرت بعد ذلك بسرعة وتحوّلت إلى معاهد تعليمية عصرية بكل معنى الكلمة، وهذه الفئة من المدارس تتشابه نظمها وتشكيلاتها مع المدارس الأجنبية، ويمكن إيجازها بـ:

• المراحل:

بعضها يتضمّن إضافة للمراحل المعروفة، مرحلة التعليم العالي في السنتين الأولى والثانية (Junior College).

• القيد والقبول:

تقبل هذه المدارس أبناء الديانات الثلاث، ويتم قيد المتعلمين فيها بنفس طريقة فئات المدارس الأخرى.

• الشهادات:

تقوم بمنح شهادات خاصة بها، إضافة إلى الشهادات الفرنسية أو الأمريكية، وشهادات بعضها تؤهل لمتابعة الدراسات في جامعات عالمية.

• المناهج:

تشتمل على مختلف العلوم العقلية والعقلية واللغات المختلفة، وكانت تسير على مناهج خاصة بها، تختلف باختلاف أديان الجماعات ومذاهبها، وكثيراً ما كانت تستلهم خططها ومناهجها من المدارس الأجنبية المؤسسة داخل البلاد أو من البلاد الأجنبية نفسها.

• الامتحانات:

لديها امتحانات خاصة بها إلى جانب الامتحانات الفرنسية.

• التمويل:

عبر أجرة معلومة تأخذها من المتعلمين، وقد تقبل الفقراء مجاناً، إضافة إلى مسانبتها من موازنة الدول أو الهيئات الأجنبية التابعة لها، أو المفوضية الفرنسية العليا.

5.3.2.1- المدارس المهنية الأهلية (الخاصة)

وأغلب المدارس الأهلية المهنية ملحقة بمدارسها ذات التعليم العام وينطبق عليها ما ينطبق على مدارسها الملحقة بها في القيد والقبول والمناهج والامتحانات وغيره، وبعضها مستقل، وتعدّ مقراً للأيتام أيضاً حيث يتلقون فيها التربية مع التعليم، ومنهجها يغلب عليه الطابع العملي، إضافة إلى مواد التعليم العام، وامتحاناتها مرتبطة بالمدرسة الملحقة بها.

6.3.2.1- الكتاتيب

هي بمنزلة مدرسة أولية شعبية، غايتها التربية والتعليم.

• المراحل والقيد:

تقبل المتعلمين دون قيد أو شرط.

• الشهادات:

لا تمنح شهادات رسمية، بل تمنح الخريج اعترافاً شعبياً قد يؤهله للانتقال إلى نظام الحلقة في المساجد.

• المنهج:

تعليم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وأغلب معلمها غير مؤهلين تربوياً وتعليمياً، فنظامها التعليمي كفي، حسب القدرة والحاجة المطلوبة.

• الامتحانات:

لا تتضمن امتحانات فعلية.

• التمويل:

وهي تأخذ على التعليم أجرة زهيدة تُعرف "بالخميسة"، وبعضها وقف يدخلها الولد مجاناً.

4.2.1- التعليم في دور العبادة

لا تشتمل على نظام تعليمي واضح، فهي تقبل وتُعلِّم كلَّ الأعمار والفئات، وربما تعلِّم القراءة فقط، أو القراءة والكتابة، أو كلَّ ذلك مع مهارات أخرى كالحساب وغيره، ومن الصعب جداً إحصاء عدد متعلّميها، وغير ذلك من أساسيات نظم التعليم. وتشتمل هذه الفئة على المساجد والجوامع والتكايا والزوايا والخانقاهات الإسلامية، والكنائس والأديار المسيحية، والكنس اليهودية، وهذه المؤسسات لا تصنّف ضمن إطار مؤسسات التعليم النظامية، بل هي رديف له، وربما يمكن عدّها جزءاً أصيلاً، إذ تقوم بتثقيف العامة من الناس والمعتكفين والملازمين لها وتهذيبهم ووعظهم وإرشادهم بحلقات العلم، إلى جانب بعض العلوم الابتدائية التي تعين الإنسان في حياته اليومية، وتشتمل أيضاً على تأثير ثقافي يتمحور حول الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية عبر رجال الدين المسيحي، الذين كانوا أحد أسباب نمو العلم وازدهاره.

كانت الجوامع والكنائس والكنس ذا قيمة وظيفية إلى جانب العبادة، فغالباً ما تلحق بها المدارس أو الكتاتيب لتعليم الأطفال، وكان من ألوان الاجتماع والثقافة حضور أهل الحي حلقات الدرس، والمناسبات الدينية المختلفة فيها، لكنّها أخذت تفقد تأثيرها الوظيفي، واكتفت بكونها مكاناً للعبادة فقط، وتلاشت أو تقلّصت منها حلقات التدريس شيئاً فشيئاً، خاصة في عهد الانتداب الفرنسي؛ لانتشار تشكيلات المدارس الحديثة.

3.1- ما الجوانب التربوية لأبرز المفكرين والمربين والمعلّمين في مدينة حلب آنذاك؟

وقد حاول الباحث عرض عينة تمثّل أبرز التيارات الفكرية التربوية والتعليمية من أساتذة وشيوخ ورهبان وحاخامات ومستشرقين نظّروا أو عملوا أو نشؤوا في ميدان التربية والتعليم في مدينة حلب خلال مدة البحث، إضافة إلى ذكر نموذج من الإناث، وهم: أنموذج عن فئة المعلّمين الأساتذة "العلامة خير الدين الأسدي (1900-1971م)"، أنموذج عن فئة المعلّمين الشيوخ "الشيخ محمد راغب الطباخ (1877-1951م)"، أنموذج عن فئة المعلّمين المسيحيين "المطران إيسيدروس فتال (1886-1961م)"، مجموعة مختارة من الحاخامات والأساتذة اليهود، أنموذج عن فئة المستشرقين والمعلّمين الأجانب "الدكتور ألفورد كارلتون (1903-1983م)"، أنموذج عن فئة المرتبات والمعلّيات "المرتبة عائشة الدباغ (1927-2020م)". وقد أسهم هؤلاء وغيرهم في:

1.3.1- السياسة التربوية التعليمية: في نبذ التقليد والتوريث وتقديم التربية على التعليم، وجعل المتعلم محور العملية التربوية، واستخدام اتفاقية سلوكية في التعامل مع المتعلمين، وتعزيزها بالثواب والعقاب، وتكليف المتعلمين بأنشطة لا صفية تدمج التعليم بالتراث والثقافة، وإدخال العلوم الكونية والعصرية واللغات الأجنبية إلى المدارس، وجعلها مدارس ذات صفوف محددة، وكتب وعلوم معينة ونظام مرجعي.

2.3.1- المناهج التعليمية: في إحياء اللغة العربية وتعزيزها، وذلك بتأليف الكتب العربية المدرسية والاختصاصية، والاشتراك في المجمعات العلمية لتعريب الدولة والمعارف والعلوم، وزيادة حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية لمواكبة التطور والحداثة، وإتقان هذه اللغات وتلقيها للمتعلمين قراءة وكتابة واستماعاً ومحادثة.

3.3.1- الطرائق التعليمية: استخدام عديد من استراتيجيات التعلم النشط التفاعلية، مثل: التمثيل الفني والمسرحي، ولعب الأدوار، والسرد القصصي، والتعلم التعاوني، والعصف الذهني، والابتعاد عن الحفظ والاسترجاع ما أمكن.

4.3.1- تقنيات التعليم: أورد الباحث استخدام الأسدي تقنية تعليم الخط وتحسينه، وكذلك تقنية تلحين قواعد اللغة العربية كأغنية، مما يساعد على بقاء أثر التعلم.

5.3.1- العملية التربوية والتعليمية كلها، تتجلى بإلهام المتعلمين وتشجيعهم على البحث والتفوق والدراسة، وتخصّصهم في ميادين العلم والمعرفة، وإنشاء المدارس والكلّيات الجامعية، ومواكبة حركات التربية والتعليم اللاصفية مثل "الحركة الكشفية"، والمساهمة في النهضة الثقافية والفكرية والعلمية والأدبية وغيرها من ميادين المعارف والعلوم، وتلقين المتعلمين حب الوطن والدفاع عنه، والإخلاص في القول والعمل.

2- تفسير نتائج البحث ومناقشتها

وبعد دراسة النتائج السابقة من الوجهة الكيفية، لا بد من دراستها وبيانها من الوجهة الكمية؛ للحكم على مدى مصداقية هذه النتائج بلغة الأرقام والواقع والمنطق، والنظر بمدى تطابقها مع الناحية الكيفية، وذلك بالتعرف إلى عدد المدارس بأنواعها، والمعلمين، والمتعلمين وجنسهم، مقارنة بنفوس مدينة حلب، وصولاً إلى ميزانية التعليم

السَّنويَّة للدولة. وهنا ينبغي الإشارة إلى أنَّ هذه الإحصائيات تقتصر إلى الدَّقة المطلقة لأسباب عديدة، منها: غياب بعض الإحصاءات التفصيلية حول أعداد النفوس والمُعَلِّمين والمتعلِّمين وجنسهم ومدارسهم في المحافظة أو مركز المدينة، ولجوء بعض مؤرخي مدة البحث للتصويب والتَّخمين لإتمام العمليَّات الإحصائية لظروف ذلك العصر، لكنَّها تقدم بطبيعة الحال نظرة واضحة وشاملة، وأقرب ما يمكن للدَّقة والصواب.

ولم يورد الباحث كَلْيَّة الهندسة بحلب التابعة للجامعة السُّوريَّة بدمشق في إحصائيات تفسير النتائج، فأوَّل إحصائية لها بدأت في العام الدَّرَاسيَّ 1946/1947، وعدد طُلَّابها كان (34) طالباً، (11) منهم في السَّنة الأولى، و(23) في السَّنة الثانية، ولم يتخرَّج أحد منها إلَّا بحلول صيف 1950م. وكذلك المدارس الأهلية المهنيَّة إذ كان أغلبها ملحق بمدارس التَّعليم العام أو بمراكز للأيتام، ولم تكن مستقلَّة بذاتها وكوادرها ومتعلِّميها، وقد تكون أعداد هؤلاء المتعلِّمين ضمن تعداد مدارس التَّعليم العام، إضافة إلى إغلاق بعضها زمن الإحصائية النَّهائية للدَّرَاسة 1944/1945م، ويذكر أنَّ أعداد متعلِّمي مدارس التَّعليم المهنيَّ لا تشكِّل فرقاً كبيراً في الإحصائية النَّهائية كما يبيِّن الجدول (19). ويبدو الأمر مشابهاً بالنسبة إلى دُور العبادة، التي لا تملك نظاماً تعليمياً واضحاً في أعداد المتعلِّمين وطبيعة التَّعليم وغيرها من مكوِّنات العمليَّة التَّربويَّة التَّعليميَّة كنظام شامل ومحدَّد؛ نظراً للغاية الدِّينيَّة التي تتوخَّاهَا بالدَّرَجة الأولى، والتي أنشئت من أجلها، وقد بلغ عددها (361) مؤسسة عام 1925م، وهي: الجوامع (120)، المساجد (180)، الزَّوايا والتَّكايا (34)، الكنائس المسيحيَّة (16)، الكنائس اليهوديَّة (11). وأغلبها استمرَّ حتى عام 1946م، وهذا يفسِّر وصول متعلِّمي الكتاتيب إلى (7027).

ولم يذكر ساطع الحصريَّ عدد المُعَلِّمين إلَّا في المدارس الابتدائية الرِّسميَّة (ربما لتعذُّر وصوله إلى ذاتية العاملين في المدارس الأجنبية والأهليَّة أثناء الانتداب الفرنسي)، وقد بلغ عددهم (236) في مدينة حلب 1945م، (136) معلِّماً، و(100) معلِّمة (الحصري، 1946م، ص39).

ومنه يمكن تلخيص نتائج إحصائية الدراسة من خلال الجداول الآتية:

الجدول (20) المؤسسات التعليمية حسب النوع عام 1945/1944م

عدد المتعلمين	عدد المدارس	
12287	31	المدارس الرسمية
7430	32	المدارس الأجنبية
14479	74	المدارس الأهلية
34196	137	مجموع المدارس والمتعلمين
7027	غير معروف	الكتاتيب
41223	لم يكتمل	مجموع المدارس والكتاتيب والمتعلمين
79	2	دور المعلمين والمعلمات

الجدول (21) المؤسسات التعليمية حسب المرحلة عام 1945/1944م

عدد المتعلمين	عدد المدارس	
29899	117	المدارس الأولية والابتدائية
3938	16	المدارس الثانوية
359	4	المدارس المهنية
34196	137	مجموع المدارس والمتعلمين
7027	غير معروف	الكتاتيب
41223	لم يكتمل	مجموع المدارس والكتاتيب والمتعلمين
79	2	دور المعلمين والمعلمات

الجدول (22) المؤسسات التعليمية حسب النوع والمرحلة والجنس عام 1945/1944م

المجموع	عدد المتعلمين		المجموع	عدد المؤسسات			
	الذكور	الإناث		المختلطة	الإناث	الذكور	
							المدارس الرسمية
10492	6577	3915	26	-	6	20	الأولى والابتدائية
1575	1121	454	3	-	1	2	الثانوية
220	220	-	2	-	-	2	المهنية
							المدارس الأجنبية
5367	2741	2626	22	9	8	5	الأولى والابتدائية
1924	1408	516	8	2	3	3	الثانوية
139	33	106	2	-	1	1	المهنية
							المدارس الأهلية
14040	7800	6240	69	21	10	38	الأولى والابتدائية
439	411	28	5	-	1	4	الثانوية
-	-	-	-	-	-	-	المهنية
34196	20311	13885	137	32	30	75	المجموع

وإذا علمنا أنّ نفوس مركز مدينة حلب بلغ (156749) نسمة عام 1922م (الغزي، 1923م، ج1، ص334)، و(323167) نسمة عام 1944م، ولقد لوحظ أنّ عدد النساء زاد عن عدد الرجال بنحو (3700) نسمة (عيتابي وعثمان، 1993م، ج3، ص215). أي أنّ نسبة الإناث من مجموع النفوس (51.14%)، والذكور (48.58%). نستنتج أنّ عدد سكان محافظة حلب أو مركزها يتضاعف مرة واحدة كلّ ربع قرن، وذلك نتيجة التزايد الطبيعي، هذا وقد كان متوسط حجم أولاد الأسرة في محافظة حلب (6.3) مقابل (1.9) في أوروبا الغربية، وهي النسبة التي تميّز معظم الأقطار الفقيرة والنامية والفتية، التي تتّصف بنسبة توالد مرتفعة، ونسبة وفيات لا تكف عن التّدني (حميدة، 1992م، ص139).

ومن خلال إضافة مجموع المتعلمين الذي توصل إليه البحث إلى عدد النفوس في مدينة حلب يمكن

تشكيل الجدول الآتي:

الجدول (23) مجموع المتعلمين مقارنة بنفوس مدينة حلب عام 1944م

العدد والنسبة	
323167	مجموع النفوس في مدينة حلب
34196	مجموع المتعلمين في المدارس
10.58%	نسبة متعلمي المدارس على النفوس
41223	مجموع المتعلمين في المدارس والكتاتيب
12.75%	نسبة متعلمي المدارس والكتاتيب على النفوس

ونتيجة لغياب إحصائية من هم ضمن أعمار (3-18) سنة، يمكن تخمين أن قطر مثل سورية ومدينة مثل حلب-بناء على ما سبق- غالباً ما يكون فيها نسبة الأطفال ما دون (18) سنة تتجاوز ثلث نسبة السكّان (33%) تقريباً، وقد توصل البحث إلى أن نسبة المتعلمين الفعليين (10.58%) وعددهم (34196) دون متعلمي الكتاتيب، و(12.75%) وعددهم (41223) مع متعلمي الكتاتيب، من نفوس مدينة حلب البالغ (323167) نسمة عام 1944م، أي يمكن الاستنتاج أن (20%) من المتعلمين خارج منظومة التعليم والبالغ عددهم تقريباً ضعف النسبة الموجودة في المدارس والكتاتيب، ويقارب عددهم من (80000) متعلماً.

وإذا لاحظنا كذلك عدد المتعلمات من خلال الشكل (11) نسبة توزع المتعلمين على أنواع المدارس في مدينة حلب عام 1944/1945م، مجموعهما (34196)، الذكور (20311) ونسبتهم (59.39%)، الإناث (13885) ونسبتهم (40.60%). يتبين أنه لا تتطابق نسبة الإناث في نفوس مدينة حلب مع عدد المتعلمات بفارق (10%) تقريباً.

وأخيراً كانت ميزانية المعارف عام 1945م (9953568) ل.س إلى ميزانية الدولة السورية (103678000) ل.س، أي نسبة وزارة المعارف من الميزانية العامة (9.60%) (قوطرش، 2001م،

ص139).

بعد عرض النتائج من الوجهة الكمية والكيفية، يمكن تفسيرها وإيجازها بالمجمل عبر النقاط الآتية:

- إهمال العثمانيين للمدارس واللغة العربية، ومنعها بمدارس المعارف، وفرض التنزيك بمختلف مرافق الدولة، واقتصار تدريس اللغة العربية على المدارس الشرعية الوقفية المهمة أصلاً، وفُتح باب الامتيازات للمدارس الأجنبية والإرساليات الدينية، التي أدارت شؤونها التعليمية كما تشاء.
- تصعيد الاتجاه القومي العربي خلال حكم الملك فيصل، وتعريب الدولة والمعارف والدواوين، وتأسيس المجمع العلمي العربي، وتأليف الكتب العربية المدرسية، وجعل التعليم باللغة العربية، وإعادة افتتاح عديد من المؤسسات التعليمية المدرسية والعالية التي أُغلقت أثناء الحرب العالمية الأولى.
- تحكّم المندوب السامي الفرنسي ومستشاريه ووكلائه بالتربية والتعليم على أرض الواقع.
- اعتماد سياسة ومنهجية تربوية وتعليمية طبق الأصل عن معارف فرنسا، وقد بيّن الحصري في تقارير وزارة المعارف مشاكل جمة تتعلق بذلك منها: معاملات التعيين، وملاك موظفي التعليم، وتشكيلات وزارة المعارف والمعاهد التعليمية، ودور المعلمين وقلة عددهم، والمباني المدرسية، وأنظمة الامتحانات، والمناهج، وغيره الكثير.
- عرقلة مساعي المدارس الحكومية وتهميشها وإضعافها، في العدد والمراحل في محافظة حلب، وحتى في مركز المدينة، إذ لم تُنشأ خلال ربع قرن أي جامعة أو كلية في المحافظة، أو أي مدرسة ثانوية في أفضية مدينة حلب، أو مدرسة ثانوية مهنية ذات حلقة تامة، إضافة إلى قلة توفر المدارس الابتدائية، واقتصار الأمر على الكتاتيب في الأعم الأغلب في أفضية محافظة حلب وأريافها.
- تثبيت مهمة المدارس الأجنبية ومدارس الطوائف والإرساليات الدينية وتعزيزها، وبالتالي زيادة أعداد المتعلمين لدى هذه المدارس، مما يؤدي إلى تغيير ثقافة المجتمع حسب السياسة والفلسفة التربوية المراد تحقيقها.
- تقديم مصلحة فرنسا على مصلحة الشعب السوري، ففرضت الضرائب الباهظة، وكبّلت السوريين بالكثير من الديون العمومية والالتزامات، نتيجة خلق الدويلات السورية، وزيادة كوادر المؤسسات من مختلف

الوزرات، ومنح حق الامتيازات وعقد الاتفاقيات مع الشركات الأجنبية، مما عمل على دمار سورية اقتصادياً، وخاصة مدينة حلب.

- اعتماد الانفصالية والطائفية بواسطة التعليم أداة لتحقيق غايات استعمارية، لكن الوعي لدى فئات المجتمع السوري حافظ على مبادئ الوحدة الوطنية.

- انفتاح حلب على العصر الحديث ومساهمتها في النهضة الثقافية قبل غيرها من المدن العربية والإقليمية، بدليل دخول المطبعة إليها أولاً قبل سائر المدن، إضافة إلى وجود نشاط لا بأس به للصحافة والمفكرين والمكتبات والجمعيات والصالونات الفكرية والأدبية، مما انعكس على مختلف ميادين العلوم والفنون والمعارف.

- تصنيف نظام التعليم في مدينة حلب على ثلاثة أنواع: رسمي، أهلي، وأجنبي. اختلف بمراحله وعدد مدارس وقيدته وشهاداته ومناهجه وتمويله وجودته، إلا أن هذا التنوع أدى إلى التكامل والغنى الثقافي والفكري والتعليمي.

- تأدية دور العبادة من مساجد وجوامع وتكايا وزاويا وخانقاهات وكنائس وأديار وكُنُس لوظيفة تربية تعليمية توعوية إلى جانب وظيفتها الأساسية، ساندت به التعليم النظامي رديفاً ومعيناً على الرغم من فقدان أثرها التعليمي شيئاً فشيئاً على حساب المدارس النظامية بدءاً من مطلع الربع الأول من القرن العشرين.

- ظهور عشرات الأساتذة والشيخو والرهبان، إضافة إلى حاخامات ومستشرقين ألفوا أو عملوا أو نشؤوا في ميدان التربية والتعليم في مدينة حلب خلال مدة البحث، وقد أغنوا التيارات الفكرية التربوية والتعليمية عبر تأليف عديد من المناهج التعليمية العربية، وإدخال سياسات وطرائق وتقنيات تربوية تعليمية حديثة.

صفوة القول: لأن الانتداب الفرنسي قد غطى أكثر من 92% من مدة هذا البحث، يمكن القول إنَّ الفضل في تطوّر التعليم وتحسين جودته من حيث ارتفاع عدد المدارس والمتعلمين والمعلمين والمنظومة التعليمية كلها بين الحربين العالميتين، هو تطوّر طبيعي، لا يعود إلى فرنسا وما قدمته إلى معارف سورية عامة وحلب خاصة

فحسب، فقد كان هذا التطور موجَّهاً ونفعياً، هدف إلى إحلال سياسة فرنسا ومصلحتها ومعارفها ولغتها وثقافتها. وقد أدى هذا الأمر من جهة أخرى إلى عدم قبولية نظام التعليم الذي تشكّل من عدة أنماط وتيارات ثقافية وفكرية وتربوية وتعليمية، مما منح مساحة للتعليم والتفكير المبدع والخالق، وهذا الاختلاف أفرز مخرجات تعليمية شكّلت نهضة في تاريخ سورية الحديث.

3- مقترحات البحث

ينبغي الإشارة إلى عدّة أمور يمكن الاستفادة منها:

- القيام بأبحاث رديفة ومتممة لأهداف هذا البحث، في تفصيل أحوال المؤسسات التعليمية التي لم تذكر، إما لغياب المعلومات الكافية عنها، أو لذكر نموذج مشابه لها.
- أفراد عدد من عناوين هذا البحث - بالتفصيل - دراسات وأبحاثاً مستقلة؛ لغياب سعة البحث على إتيانها، وخروجها عن أهداف البحث وحدوده، مثل: دور المعلمين، وأنظمة الامتحانات، وعدد المسجلين والرّاسبين والنّاجحين في "السّرنيقا" و"البروفه" و"البكالوريا"، وغيرها من الأبحاث.
- دراسة المزيد من الشخصيات التربوية في سورية وحلب، خاصةً التي لم تتلحقها من التحليل والتفسير والمناقشة، وقد ذكر البحث عديد الأمثلة عنها في فئات المعلمين، مثل الدكتور جميل محفوظ.
- بحث الحالة التعليمية للمدة السابقة واللاحقة لمدة البحث، وبيان مدى تطوّر التعليم أو تراجعها في القرن الأخير.
- إجراء إحصاء أو دراسة مجتمعية شاملة عن نسبة المتعلّقات والجامعيات في المجتمع السوريّ لكلّ مرحلة زمنية سواء كان ذلك بالمدن والقرى، للحكم حكماً موضوعياً وتقييم حال المرأة التعليمي في سورية؛ لغياب وجود جواب بحثي جامع وموثّق عن هذه القضية.

المراجع العربية

1. الأحمّد، عبد المنعم (2004م)، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدينة حلب خلال فترة الانتداب الفرنسي: 1920-1946م، رسالة دكتوراة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق: سورية.
2. إدلبي، ناويفطوس (1983م)، أساقفة الروم الملكيين بحلب في العصر الحديث، مطبعة الإحسان، حلب: سورية.
3. الأسدي، خير الدين (1951م)، حلب: الجانب اللغوي من الكلمة، ط: 1، مطبعة الضاد، حلب: سورية.
4. الأسدي، خير الدين (1961م)، رسالة خير الدين الأسدي عام 1961م إلى وزير الثقافة، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: <https://www.facebook.com/groups/42449822148/permalink/10152401496242149>
5. الأسدي، خير الدين (2009م)، موسوعة حلب المقارنة، النسخة الرقمية (جمعية العاديات)، تحقيق: محمد كمال، حلب: سورية، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: https://www.dig-doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=MjQ4&lan=YXl
6. الأسدي، خير الدين، (2006م)، أحياء حلب وأسواقها، حققه وزاد عليه: عبد الفتاح رواس قلعجي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق: سورية.
7. إسماعيل، حكمت علي (1998م)، نظام الانتداب الفرنسي على سورية: 1920-1928م بحث في تاريخ سورية الحديث من خلال الوثائق، ط: 1، دار طلاس، دمشق: سورية.
8. أسود، محمد عبد الرزاق (2009م)، المدارس الإسلامية وأوقافها بحلب منذ القرن السادس الهجري حتى اليوم، (د. ن)، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي عن الأوقاف: حلب- غازي عنتاب.
9. ألتونجي، محمد (2001م)، معجم أعلام النساء، ط: 1، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان.
10. الألوسي، جمال الدين (1966م)، محمد كرد علي، مديرية الثقافة العامة، دار الجمهورية، بغداد: العراق.
11. الإمام، سامح. والخوري، سليمان. وبيطار، أحمد (1976م)، تاريخ العرب الحديث، مديرية المطبوعات والكتب المدرسية، وزارة التربية، دمشق: سورية.
12. الأويسى، عبد الرحمن (2003م)، نخبة من أعلام حلب الشهباء من أنبياء وعلماء وأولياء، دار الرضوان، حلب: سورية.
13. جامعة حلب (2008م)، ذاكرة جامعة حلب في عيدها الذهبي 1958-2008م، (د. ن)، حلب: سورية، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: https://www.dig-doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=MTU5&lan=YXl
14. برج، محمد عبد الرحمن (1969م)، أعلام العرب: ساطع الحصري، ط: 1، دار الكاتب العربي.
15. البطوش، محمد سالم (2004م)، تاريخ الحياة الاجتماعية في مدينة حلب في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة مؤتة: الأردن.

16. بكرو، كمال الدين (1998م)، التعليم الشرعي في حلب منذ عام 1918 إلى عام 1958، ط: 1، (د. ن) حلب: سورية.
17. بيات، فاضل (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني: دراسة تاريخية إحصائية في ضوء الوثائق العثمانية، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول: تركيا.
18. البيطار، عبد الرحمن (2019م)، لواء الإسكندرونة والسياسة الاستعمارية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق: سورية.
19. بيهم، محمد جميل (1950م)، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج: 2، ط: 1، مطابع دار الكشاف، بيروت: لبنان.
20. توتل، فردينان (1964م)، وثائق تاريخية عن حلب: أخبار اللاتين والروم وما إليهم 1855-1963م، المطبعة الكاثوليكية، بيروت: لبنان.
21. جابر، يوسف حامد (1988م)، قضايا الإبداع في قصيدة النثر، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق.
22. الجاسر، لمياء (2000م)، مدارس حلب الأثرية: تاريخها وعمارتها، ط: 1، دار الرضوان ودار الأنصاري، حلب: سورية.
23. الجاسر، لمياء (2016م)، دار المعلمين والتطبيقات الابتدائية عام 1916م، تم الاسترجاع 1/آب/2022م:
<https://www.facebook.com/page/1376251709338168/search/?q=%D8%AF%D8%A7%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D9%82%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%A8%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9%20%D8%B9%D8%A7%D9%85%201916%D9%85>
24. جحا، فريد (1988م)، الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر، ط: 1، دار الأهالي، دمشق: سورية.
25. جسومة، عبد الله (2006م)، هذه قصتي مع التجهيز، مجلة ثانوية المأمون، كتاب غير دوري مؤقت، تذكاري بمناسبة احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، (د. ن)، حلب: سورية.
26. الحتملة، غنى سامح (2019م)، مسكوكات مدينة حلب في الفترة الأيوبية، من مجموعة متحف البنك الأهلي الأردني للنميات، رسالة ماجستير، كلية الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، إربد: الأردن.
27. حجار، عبد الله، (2011م)، إضاءات حلبية: تاريخ ومعالم وتراث، ط: 3، شعاع للنشر والعلوم، حلب: سورية.
28. حريثاني، محمد عدنان (2018م)، أوراق الخريف: حكايات حلبية من الزمن الجميل، نسخة جديدة، [ملف PDF]، تم الاسترجاع:
<https://www.facebook.com/groups/42449822148/posts/10155735244647149>
29. حريثاني، محمود (2008م)، تاريخ اليهود في حلب، ط: 1، دار شعاع للنشر والعلوم، حلب: سورية.
30. حريثاني، محمود (2012م)، حلب وأوروبا عبر التاريخ، دراسة تاريخية محكمة، شعاع للنشر والعلوم، حلب: سورية.

31. حريري، باسل (2018م)، من كنوز حلب "الزاوية الهلالية"، بحث وتقديم وحوار: باسل حريري، توثيق: سها شعبان، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: <https://m.facebook.com/groups/817051321663604/permalink/2014611758574215>
32. الحسناوي، وسيم عبد الأمير وهيب (2017م)، سعد الله الجابري ودوره السياسي في سورية حتى عام 1947م، قسم التاريخ، كلية التربية، -جامعة القادسية: العراق.
33. الحصري، ساطع (1944م- أ) آراء وأحاديث في التربية والتعليم، مطبعة الرسالة، القاهرة: مصر.
34. الحصري، ساطع (1944م- ب) تقارير عن حالة المعارف في سورية واقتراحات لإصلاحها، ج: 1، مطبعة الجمهورية السورية، وزارة المعارف، دمشق: سورية.
35. الحصري، ساطع (1946م) تقارير عن أحوال المعارف في سورية خلال سنة 1945م، ج: 2، مطبعة الجمهورية السورية، وزارة المعارف، دمشق: سورية.
36. الحصري، ساطع (1949م)، جولية الثقافة العربية، السنة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، القاهرة: مصر.
37. الحصري، ساطع (1951م)، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، مطبعة الرسالة، القاهرة: مصر.
38. الحصري، ساطع (1964م)، الإقليمية: جذورها وبذورها، ط: 2، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان.
39. الحصري، ساطع (1985م) آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة، ط: 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: سورية.
40. الحصري، ساطع (د. ت)، يوم ميسلون، طبعة جديدة {غالباً 1964م}، دار الاتحاد، بيروت: لبنان.
41. الحكيم، يوسف (1991م)، سورية والانتداب الفرنسي، ط: 2، دار النهار للنشر، بيروت: لبنان.
42. حميدة، عبد الرحمن (1992م)، محافظة حلب، ط: 1، وزارة الثقافة، دمشق: سورية.
43. حنا، فاضل. وحلاق، محمد (2016م)، تاريخ التربية، منشورات جامعة دمشق، كلية التربية.
44. خباز، حنا (1928م)، فرنسا وسورية (مبادئ السياسة الفرنسية في الشرق) أو (لماذا حاربت سورية فرنسا)، ج: 1، مطبعة علم الدين، مصر.
45. خباز، حنا (1929م)، فرنسا وسورية (خطبات الموظفين الفرنسيين)، ج: 2، مطبعة المقتطف والمقتطم، مصر.
46. دافيد، جان كلود. وحريتاني، محمود (2011م)، حلب مدينة التاريخ، دار الشعاع، حلب: سورية.
47. الدباغ، عائشة (1972م)، الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ط: 1، دار الفكر، بيروت: لبنان.
48. الدهان، سامي (1955م)، محمد كرد علي: حياته وآثاره، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق: سورية.
49. ديك، اغناطيوس (د. ت)، مدارس حلب المسيحية في العصر الحديث، (د. ن)، حلب: سورية.

50. الرفاعي، أنور رفاعي (1947م)، معالم التاريخ الحديث، مكتبة الشرق، دمشق: سورية.
51. الرفاعي، شمس الدين، (د. ت) تاريخ الصحافة السورية 1918-1947م (الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال)، ج: 2، دار المعارف، القاهرة: مصر.
52. الرفاعي، محمود فيصل (1996)، حلب بين التاريخ والهندسة، معهد التراث العلمي العربي، منشورات جامعة حلب: سورية.
53. الزركلي، خير الدين (2002م)، الأعلام (قاموس تراجم) لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج: 2 و 5 و 6 و 7، ط: 15، دار العلم للملايين، بيروت.
54. السفيناني، هلال محمد علي (2020م)، طرائق التدريس العامة، ط: 1، كلية التربية ومركز التعلم عن بعد، جامعة حضرموت: اليمن.
55. سلطان، علي (1987م)، تاريخ سورية: 1918-1920م، ط: 1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق: سورية.
56. سليمان، محمد طلال (2018م)، العلامة محمد خير الدين الأسدي: فن حرب الحياة، حلب، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: <https://www.facebook.com/groups/42449822148/permalink/10156258696012149>
57. سليمان، محمد طلال (2019م)، ما بين "أوسكار وايلد" و"خير الدين الأسدي"، حلب، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: <https://www.facebook.com/groups/42449822148/permalink/10156425061752149>
58. السيد، علاء (2014)، تشريع الثاني، 11، قصة محاولة الجنرال الفرنسي افتتاح مدرسة اللايك العلمانية في بركة المسلخ بحلب 1922م، دار الوثائق الرقمية التاريخية {ملف فيديو}، تم الاسترجاع: <https://www.youtube.com/watch?v=aF-kMVqUogw&list=UUZwfxGUaj-w0vLZ-BRrTAOW>
59. السيد، علاء (2015م)، تاريخ حلب المصور: أواخر العهد العثماني 1880-1918م، ط: 2، شعاع للنشر والعلوم، حلب: سورية.
60. السيد، علاء (2020م - أ)، تاريخ ومستوى التعليم في مدرسة الأميركان الحلبية، دار الوثائق الرقمية التاريخية، تم الاسترجاع 2022، أيلول، 3. https://www.dig-doc.org/index.php?page=YXJ0aWNsZQ==&op=ZGlzcGxheV9hcnRyY2xIX2RldGFpbHNfdQ==&article_id=NzA=&lan=YXI
61. السيد، علاء (2020م - ب)، مدرسة الأخوة المريميين عام 1939م، دار الوثائق الرقمية التاريخية، تم الاسترجاع 2022، أيلول، 3. <https://www.dig-doc.org/index.php?page=cGhvdG9fZ2FsbGVyeQ==&op=ZGlzcGxheV9waG90b19nYWxsZXJ5X2RldGFpbHM=&id=NDg=&lan=YXI>
62. السيد، علاء (2020م - ج)، مدرسة ودير ومبتم الفرنسيين عام 1935م في حلب، دار الوثائق الرقمية التاريخية، تم الاسترجاع 2022، أيلول، 3. <https://www.dig-doc.org/index.php?page=cGhvdG9fZ2FsbGVyeQ==&op=ZGlzcGxheV9waG90b19nYWxsZXJ5X2RldGFpbHM=&id=NjQ=&lan=YXI>

63. السيد، علاء (2021م)، ذكر الزاوية الصوفية الهلالية الخلوتية في حلب، دار الوثائق الرقمية التاريخية، تم الاسترجاع 2022، أيلول، 3.
https://www.dig-doc.org/index.php?page=dmlkZW8=&op=ZGlzcGxheV92aWRlbn19kZXRhWxzX3U=&video_id=Mjc2&lan=YXI
64. الشلق، مقبولة (1948م)، النهضة الفكرية، مجلة المرأة، عدد مختار، ص-ص: 25-31، دمشق: سورية، [ملف PDF]، تم الاسترجاع:
https://www.dig-doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=MzM0&lan=YXI
65. الشهابي، مصطفى (1957م)، محاضرات في الاستعمار، ج: 2، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدولة العربية، القاهرة: مصر.
66. الطباخ، محمد راغب (1939م)، ترجمة نفسي بخط يدي، مخطوط بمكتبة جمعية العاديات بحلب برقم 9062.
67. الطباخ، محمد راغب (1988م)، إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهداء، ط: 2، ج: 1 و 2 و 3 و 7، تحقيق: محمد كمال، دار القلم العربي، حلب: سورية.
68. الطباخ، محمد راغب، (1950م)، الثقافة الإسلامية، مكتبة طباخ إخوان، حلب: سورية.
69. الطباخ، محمد يحيى (1957م)، محمد راغب الطباخ: حياته وآثاره، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة السورية، دمشق: سورية.
70. طحان، محمد جمال (د. ت)، يوميات حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، كتاب توثيقي، (د. ن)، حلب: سورية، [ملف Word]، تم الاسترجاع:
<https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%8A%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%AD%D9%84%D8%A8-%D8%B9%D8%A7%D8%B5%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-pdf>
71. طلس، محمد أسعد، (1956م)، الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب، مطبعة الترقى، دمشق: سورية.
72. عبد المحسن، محمد حسن (2017م)، الأسدي علامة حلب في حضرة الغياب، حلب: سورية، [ملف PDF]، تم الاسترجاع:
<https://www.facebook.com/groups/42449822148/permalink/10155682902537149>
73. عثمان، هاشم (1997م)، الصحافة السورية، ماضيها وحاضرها: 1877-1970م، منشورات وزارة الثقافة، دمشق: سورية.
74. العقاد، مسلم (1954م)، كشاف سورية: الدرجة الثانية، اللجنة التنفيذية العليا، منشورات كشاف سورية.
75. علي، عيسى (2018م)، إدارة مؤسسات التربية ما قبل المدرسة، منشورات جامعة دمشق: سورية.
76. عمر، أحمد مختار (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة: مصر.
77. عموس، جان (1968م)، مقابلة صحفية، المأمون... الذكرى الماسية 75 عاماً، كتاب وثائقي، (د. ن)، حلب: سورية.
78. عيسى، جورج (2006م)، أول دراسة في التاريخ بعدها دكتور في "ليس"، مجلة أيام الشام، عدد خاص عن حلب، العدد 11، ص24-30.

79. عينتابي، محمد فؤاد. وعثمان، نجوى (1993م)، حلب في مئة عام: 1850-1950م، ج: 1 و 2 و 3، معهد التراث العلمي العربي، منشورات جامعة حلب: سورية.
80. غرفة تجارة حلب (1947)، المجموعة الاقتصادية السنوية لغرفة تجارة حلب، السنة التاسعة والعشرون، المطبعة المارونية، حلب: سورية.
81. الغزي، كامل حسين (1342هـ/1923م)، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج: 1 و 2، المطبعة المارونية، حلب: سورية.
82. غلوطي، أحمد (1968م)، عشرون عاماً في ثانوية المأمون، المأمون...الذكرى الماسية 75 عاماً، كتاب وثائقي، (د. ن)، حلب: سورية.
83. فضة، فاضل (2015م)، الأوسط تلتقي الدكتور ناهد كوسا في مناسبة تخصيص جائزة في مونتريال لإحياء تراث العلامة خير الدين الأسدي، جريدة الأوسط، مونتريال، كندا، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: <https://www.facebook.com/groups/42449822148/permalink/10152838738997149>.
84. قجة، محمد (2006م)، حلب مطلع القرن العشرين، ط: 2 (د. ن)، حلب: سورية.
85. قجة، محمد (2016م)، حلب في نصف قرن: 1875-1925م، ط: 2، (د. ن)، حلب: سورية.
86. قجة، محمد (2021م)، القدود الحلبية والتراث الإنساني في اليونسكو، تم الاسترجاع: 2022، أيلول، 5. <https://www.facebook.com/100004466256351/posts/2189951201163734>
87. قجة، محمد (2022م)، أعلام راحلون من حلب وجمعية العاديات "عائشة الدباغ بنت الشهباء"، تم الاسترجاع: 2022، أيلول، 5. <https://m.facebook.com/groups/244866816732086/permalink/685926682626095>
88. قلعه جي، عبد الفتاح رواس (1980م)، العلامة خير الدين الأسدي: حياته وآثاره، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: https://www.dig-doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=MTkw&lan=YXI
89. الكاتب، بشير (2006م)، ثانوية المأمون...خواطر وآمال، مجلة ثانوية المأمون، كتاب غير دوري مؤقت، تذكاري بمناسبة احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، (د. ن)، حلب: سورية.
90. كاتبي، محمد عدنان (2006م)، التعليم الشرعي ومدارسه في حلب في القرن الرابع عشر الهجري، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: https://www.dig-doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=MzM1&lan=YXI
91. كاتبي، محمد عدنان (2008م)، علماء من حلب في القرن الرابع عشر هجري، ط: 1، (د. ن) حلب: سورية.
92. كاتبي، محمد عدنان، (2021، تشرين الأول، 5)، المدرسة الفاروقية بحلب، الموسوعة التاريخية لأعلام حلب، تم الاسترجاع: 2022، أيلول، 4. https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=pfbid0252wFKYuk6YFBabdYKK2ALpCYMPVjHRbLQUFJyvtDCR4MQQmrdLSKVsw9A8fnC5vgl&id=1041017155927655

93. كاظم، أحمد خيرى. وجابر، جابر عبد الحميد (1973م)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة: مصر.
94. كرد علي، محمد (1343هـ/1925م)، القديم والحديث، ط: 1، المطبعة الرحمانية، مصر.
95. كرد علي، محمد (1345هـ/1926م)، خطط الشام، ج: 4، مطبعة الترقى، دمشق: سورية.
96. كرد علي، محمد (1347هـ/1928م)، خطط الشام، ج: 6، مطبعة المفيد، دمشق: سورية.
97. كرد علي، محمد (1948م)، المذكرات، ج: 1، مطبعة الترقى، دمشق: سورية.
98. كعيد، أحمد تيسير (2008م)، موسوعة الدعاة والأئمة والخطباء في حلب: العصر الحديث، ج: 1، ط: 1، دار الرفاعي للنشر ودار القلم العربي، حلب: سورية.
99. كمال، محمد (2010م)، الأبعاد التربوية للمعتقدات الشعبية، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: <https://www.facebook.com/groups/42449822148/permalink/10153968444887149>
100. الكواكبي، سعد زغلول (2009م)، ذكريات من ماضي حلب، ط: 1، (د. ن)، حلب: سورية.
101. الكواكبي، عبد الرحمن (1931م)، أم القرى، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة: مصر.
102. الكوراني، أسعد (2000م)، ذكريات وخواطر: مما رأيت وسمعت وفعلت، ط: 1، رياض الرئيس للكتب والنشر، بيروت: لبنان.
103. كوسا، ناهد (2012م)، جمعية العاديات، جريدة الجماهير، [ملف PDF]، تم الاسترجاع: <https://www.facebook.com/groups/42449822148/permalink/10152364270427149>
104. الكيالي، سامي (1957م)، محاضرات عن الحركة الأدبية في حلب 1800-1950، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية: القاهرة.
105. الكيالي، عبد الرحمن (1946م)، الجهاد السياسي، ط: 1، المكتبة العصرية، حلب: سورية.
106. الكيالي، عبد الرحمن (1958م)، المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني من عام 1926 حتى نهاية عام 1939م، ج: 1، مطبعة الضاد، حلب: سورية.
107. كيالي، سعد طه (2020م)، شهادة التحصيل الابتدائي لسيدى الوالد، تم الاسترجاع: 2022، أيلول، 12.
- <https://www.facebook.com/groups/244866816732086/search/?q=%D8%B4%D9%87%D8%A7%D8%AF%D8%A9%20%D8%B3%D9%8A%D8%AF%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF>
108. اللجنة المركزية لكشاف سورية في حلب، (1938/1939م)، دروس المبتدئ للكشاف، اللجنة التنفيذية العليا.
109. مبيض، عامر رشيد (2004م)، مئة أوائل من حلب: أعلام- معالم أثرية - صور وثائقية 1901-2001م، مج: 1 و 2 و 3 و 4 و 5 و 6، ط: 1، دار القلم العربي ودار الرفاعي، حلب: سورية.
110. محد، زردومي (2010م)، الملتقى الوطني الأول حول تعليمية المواد في النظام الجامعي: مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، [ملف PDF]، تم الاسترجاع:

https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&url=https://profpm.files.wordpress.com/2014/09/ishkalyat-ta3alem.pdf&ved=2ahUKEwit6cX8wev5AhXR_bsiHW_iBEgQFnoECBsQAQ&usg=AOvVaw3IT0x8l4vRn5jc_4SHIGGD

111. محفوظ، إياد جميل (2021م)، حكايات الجميلية، ط: 1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية: سورية. وقد زود المؤلف الباحث بالصفحات المتعلقة بدراسته، بواسطة ملف PDF.

112. المحمودي، محمد سرحان علي (2019م)، مناهج البحث العلمي، ط: 3، دار الكتب، صنعاء: اليمن.

113. المسوكر، ضياء الدين (2006م)، ثانوية المأمون... تراث حضاري، تاريخ نصالي، وصرح تربوي علمي عريق، مجلة ثانوية المأمون، كتاب غير دوري مؤقت، تذكاري بمناسبة احتفالية حلب عاصمة الثقافية الإسلامية، (د. ن)، حلب: سورية.

114. معمار، بسام (1968م)، المأمون... الذكرى الماسية 75 عاماً، كتاب وثائقي، (د. ن) حلب، سورية.

115. مكانسي، ميادة (2016م)، حلب: قبة الأسد وأغانيه، [ملف PDF]، تم الاسترجاع:

<https://www.facebook.com/groups/42449822148/permalink/10154297317617149>

116. الملاح، عمرو عبد الإله مرعي (2015م)، العلامة خير الدين الأسدي: مسيرة حياة، [ملف PDF]، تم الاسترجاع:

<https://www.facebook.com/groups/42449822148/permalink/10152727120222149>

117. الملاذني، سهيل (2006م)، الاتجاهات الفكرية العربية في الصحافة 1920-1946م: حلب أنموذجاً، أعيد طبع الكتاب بمناسبة حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، (د. ن)، حلب: سورية.

118. منصور، علي وآخرون (2013م)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، منشورات جامعة دمشق: سورية.

119. الموسوعة التاريخية لأعلام حلب، 2016م - أ، ناهد كوسا، تم الاسترجاع: 25/تشرين الثاني/2022م.

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=1219831251379577&id=1041017155927655

120. الموسوعة التاريخية لأعلام حلب، 2016م - ب، محمد كمال، تم الاسترجاع: 25/تشرين الثاني/2022م.

<https://www.facebook.com/1041017155927655/posts/1194521650577204/>

121. موسى، سليمان (1986م)، الحركة العربية: المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924م، ط: 3، دار النهار للنشر، بيروت: لبنان.

122. النحاس، أديب (د. ت)، الكتاب الأسود: عن أوكار الاستعمار في المدارس الأجنبية، أصدرته نقابة التعليم الخاص بحلب أواخر الخمسينيات وربما في العام 1957م، [ملف PDF]، تم الاسترجاع:

https://www.dig-doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=MTgz&lan=YXl

123. هلال، حكمت (2011م)، العلامة اللغوي: خير الدين الأسدي، مجلة العاديات، عدد خاص (تراث حلب غير المادي/ الأسدي وموسوعته) السنة 8، العدد 2، ص 36-40.

124. هلال، فؤاد (2006م)، حلب القديمة والحديثة: دراسات تاريخية وأثرية واجتماعية وثقافية واقتصادية وإدارية عن حلب، [ملف PDF]، تم الاسترجاع:

=https://www.dig-doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=NDUy&lan=YXl

المراجع الأجنبية:

المتجمة

1- أتينجر، صموئيل (1995م)، اليهود في البلدان الإسلامية 1850-1950م، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، دار عامر للمعرفة، الكويت.

2- دافيد، جان كلود (2004م)، الديناميات المدنية وإنتاج الفضاء العمراني في سورية: نموذج حلب، المدينة في سورية وأقاليمها: الموروثات والمتحولات، ترجمة: محمد الديبات، ط: 1، ص-ص: 391-420، دار الجندي للنشر والتوزيع، دمشق: سورية.

3- دو روترو، جورج بلوا (2002م)، حلب عبر العصور، ط: 1، ترجمة: زبيدة القاضي، مركز الإنماء الحضاري، حلب: سورية.

4- راسل، ألكسندر وباتريك (1997م)، تاريخ حلب الطبيعي في القرن الثامن عشر، ترجمة: خالد الجبيلي، [ملف PDF]، تم الاسترجاع:

=https://www.dig-doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=MjQ1&lan=YXl

5- ريمون، أندريه (1991م)، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، ط: 1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة: مصر.

6- سوفاجيه، جان (1941م)، حلب: دراسة توسع مدينة سورية كبيرة منذ نشأتها حتى منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة: فريد جحا، [ملف PDF]، تم الاسترجاع:

=https://www.dig-doc.org/index.php?page=Ym9vaw==&op=ZGlzcGxheV9ib29rX2RldGFpbHNfdQ==&book_id=NTM5&lan=YXl

7- غاوبه، هاينتز. وفيرت، أويغن (2007م)، حلب: دراسات تاريخية وجغرافية حول البنية العمرانية والتركيبية الاجتماعية والحركة الاقتصادية لأحد مراكز التجارة الدولية في الشرق الأدنى، ترجمة: صخر علبي، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق: سورية.

8- قوطرش، خالد (2001م) التعليم في سورية: نشأته وتطوره، ترجمة: نزار أباطة، ط: 1، دار الفكر، دمشق: سورية.

غير المترجمة

1- American Aleppo College, (2015), Dr. Alford Carlton, Retrieved from 5/August/2022:

<https://www.facebook.com/AleppoCollege/photos/a.957087444333552/957087741000189>

- 2- American Aleppo College, (n. d), **History of Aleppo Scientific Institute**, Retrieved from 5/August/2022: <https://www.facebook.com/AleppoCollege>
- 3- Mansel, P (2016), **Aleppo: The Rise and Fall of Syria's Great Merchant City**, I.B.Tauris and Co.Ltd, London- New York.

Abstract

The study **aimed** to identify: the most important factors that were affecting the education in Syria in general and Aleppo in particular between the years 1918-1946 AD, and to define the general features of the education system in the city of Aleppo, in terms of its types, stages, formations, curricula, certificates, budget, management...etc. In addition to presenting the educational aspects for the most prominent thinkers, educators and teachers in the city of Aleppo at the time.

The study adopted the historical **approach**, and came to several **conclusions**, most notably: The factors influencing education were political, economic, social, intellectual and religious. The education system was formed from three types of schools: official, foreign, and private with its different categories. The study determined the stages of education, the instructions for enrolling and accepting learners, the granted certificates, the types of curricula, the nature of exams, the method of funding, in addition to mentioning the nature of education that was occurring in the places of worship.

The study attempted to show the impact of the most prominent scientific and educational personalities on the renaissance of education at that stage, and they were among them those who wrote, worked, or grew up in the field of education in the city of Aleppo, in addition to mentioning a model of female educators. The contribution of these figures and others was evident in the educational policy, the educational curricula, the educational methods, the educational technologies, and others.

Keywords: Education during the (Arab) Faisali era, education during the French Mandate period, Aleppo.

Syrian Arab Republic
Damascus University
Faculty of Education
Department of comparative Education



Education in Aleppo between the years (1918 -1946 AD)

**A dissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the
degree of Master in Comparative Education and Educational Management**

by:

Mostafa Kamal Ahmad Kassas

Supervisor:

Dr. Mohammad Ahmad Hallak

A Professors in the Department Comparative Education

2022/2023